

حسن المناويشي

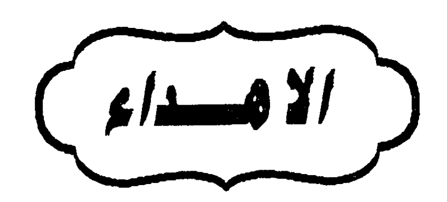


٦٠ شارع القصر العيني - أمام روز اليوسف
(١١٤٥١)القاهرة
ت : ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

العربى للنشر والتوزيع
٦٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) - القاهرة
ت : ٣٦٠٤٥٣٩ فاكس : ٣٦٤٧٥٦٦

الطبعة الأولى
١٩٩٥

اوردى ليمان ابو زعبل
المؤلف : حسن المناويشى
تقديم : عبد الخالق الشهاوى
الغلاف للفنان : ابن المؤلف أحمد المناويشى
المعالجه اللونيه : خالد الصواف
عدد صفحات الكتاب : ٢١٤



الاهـــداء

الـــى الـعـزيـزيــن

احمـد ، أمنيــة



الى كل الشباب الصاعد المحب للحيــاة

والحريــة والديمقراطيــة الــى كـــل

مـــن يـرفــض أســاليــب

التعذيــب والقهــر الــى

انصــار حقوق الإنســان

فــى العــالم كــلــه

اهدى هده التجربة المتواضعة

حسن المناويشى

المؤلـف

الاسم / حسن احمد محمود دوارة والشهرة حسن المناويشى

تاريخ الميلاد / ١٩٢٩/٦/١٦

البلد / الاسكندرية

المهنة / بدا عاملاً بشركة مصر للحرير الصناعى و انتهى رئيساً لأقسام مخازن المنتجات .

المؤهل الدراسى لايوجد مع اجادة القراءة والكتابة من ابوين فقيرين .

اخرجه والده من المدرسة ليعمل فى شركة سباهى للغزل والنسيج بالأسكندرية ليعاونه فى تربية خمسة بنات وطفل صغير حيث كان أكبر اخواته وقد عمل فى جميع شركات الغزل تقريباً بالإضافة الى العمل مع جيش الاحتلال البريطانى قبل الجلاء وقامت ثورة يوليو ١٩٥٢ وهو يعمل بشركة مياه الاسكندرية تبع احد موردى العمال الذى يشبه مقاول الانفار فى الريف وتخليداً لذكرى هذا المقاول اطلق اسمه على احد شوارع الاسكندرية الهامة (عبد المنعم سند) وقد فُصل من عدة شركات بسبب إما النقابة او بتهمة الإضراب عن العمل .

الحالة الاجتماعية متزوج واب لأحمد وأمنية .

صدق البسطاء وتكلف الكبار

الحديث الصادق نوع من العدل .. أنه كلمة حق فى محكمة الحياة ، من أتيح له سماعها أو قراءتها أدرك مع حكماء مصر الأقدمين أن كلمة الحق والصدق تتيح لابن الانسان خلود اسمه أبد الابدين ، لان العدالة بلسانه تاخذ مكانها فى وجدان الخلق، والظلم ينفى من الارض .

ومن أعز الأمانى فى الحياة أن يكون للانسان صديق مخلص طيب وعادل ، ذو قول بسيط ، وبيان غير متحذلق ، ولكنه بعيد عن الغموض ، يصبح بمعنى واضح ، صادر عن قلب طيب، ووجدان مبرأ عن الهوى والغرض الشخصى ، أمين ، واسع الصدر .

والحديث عن هذا الانسان البسيط التلقائى هو العدل فى صورته العذبة ، التى لا تخفيها زخارف القول وحذلقة الثقافة ، ولذلك فإن العامل حين يكتب يكون أمام خيارين : إما أن يتحدث بلغة نافذة الحس صادقة اللهجة ، أو أن يستعير لغة قوم آخرين لا يجيدها ، فيرى هو نفسه فى الصياغة وينسى ما استقر فى نفسه مما يريد أن يقول ، وليس أصدق فى الحياة من آهة مريض متعب ، وزفرة مهموم ضاق صدره بهمومه فإن لـم يطلق ما بصدره على الطبيعة والسجية ، وقع فى الصيغة ، وأخفق فى بيان مكنون ضميره ، وتكون الثقافة من هذه الناحية نوعاً من الاغتراب عن الطبيعة الانسانية ، وعن صدق السليقة ، أنه حينئذ يكون الهارب من طبقته ، ليتحدث عن آلامها وأحلامها بمنظور وأدوات الآخرين .

استساغت الحركة الثورية عندنا أن يأتى المثقفون من طبقات البورجوازية ليتحدثوا عن العمال ، ويعبروا عن آلامهم وآمالهم ، وهى أمانة ما أثقلها ، تختلف القدرة عليها من إنسان لاخر،حسب ما يستطيع رؤيته بنفاذ رأى، وصدق إدراك، وحس مرهف ، وعين ذكية ، وتجربة رحبة.

ولذلك قل من المثقفين من حمل أمانة التعبير عن العمال والفلاحين ، بنفس راضية ، وروح سامية .

ولكننا لا نملك الا أن نقارن مرة أخرى بين مثقف يتحدث بلغة عن العمال ، وعامل يستعير لغة المثقفين لتحدث عن إخوانه وأبناء طبقته .

ولكن هذه المقارنة تؤكد ضرورة العودة الى الأصول ، والتعبير من الروح بالروح بنفس لسانه الأصلى ، بعد أن يجيد النظر والبحث ، ويدقق فى الحقائق ، ذلك هو التعبير من نفس الموقع الطبقى ، وهو الحق والعدل ، الذى يؤدى الى الاستمرارية الاجتماعية بنمط هى لرؤية الواقع والتاريخ ، حتى لو افتقد الحذلقة الثقافية والبيان المرصع بالمحسنات .

ولكن ذلك يدفع بنا الى تناقض آخر معناه ، أن الثقافة هى نوع من الكذب والطلاء الزائف والحقائق المزورة ، وهذا المعنى يحمل من الخطورة ما يدفع الى محاولة تداركه :

أولا : يفهم الثقافة الحقة ، إذا أنها التى تؤدى الى أن يعبر الانسان عن نفسه صادقا ، لا ينهم بعدم التميز ، ولا بسوء اختيار الكلمات حتى لو اختفت خلف المحسنات .

وثانياً : برفض تصوير الثقافة علي أنها مهنة ، وأنها إطار اجتماعى يضم جماعة أوفئه ، أن هذا الفهم هو نفسه الذى يحكم على الآخرين بعدم القدرة على التعبير عن أنفسهم ، وهو بهذا يحكم بغير العدل ويسئ اختيار الميزان ،إذا أن الحقيقة ، أن كل أنسان مثقف على نحو ما ، وبقدر ما يستطيع التعبير عن ذاته حتى وأن لم يعرف القراءة والكتابة .

بهذا تكون الثقافة إحساسا وادراكا ونفاذ بصيرة ، فالعامل اليدوى الذى يجيد حرفته ، ويسعى الى تجويد ما يعرف، والعامل على الآلة الذى يريد الحوار مع آلته والرقى بها ، والفلاح الذى يدرك سر الارض والطبيعة ويحبها الحب الصحيح ، ويكره لها ما تكره ، كل هؤلاء على مستوى ثقافى لا يستطيع بلوغه أصحاب الحذلقات الفصيحة والكلمات الرنانة .

وبهذا ينقسم المثقفون إلى قسمين : المحترفون . الذين يتخذون من الثقافة مهنة يتكسبون بها ، فهم يتفننون فى صياغة أفكارهم وتقديمها بما يتفق مع مصلحتهم ومكاسبهم المادية، ومطالبتهم بالاستقلال الفكرى والحياد إزاء القضايا والنظرة العلمية المجردة يرون فيه مطلبا مثيرا للفزع واليأس لأنه فوق قدراتهم ، وضد مصالحهم ، فمفهومهم هو احتواء الدور الإنسانى للثقافة ، وإخراجه عن إطاره ، وتسخيره للمصلحة الشخصية دون رؤية للمصلحة العامة أو حتى للمصلحة الطبقية مدعين أن الثقافة فكر مجرد . أما مثقفو الحياه ، وهم النوع الثانى فهم هؤلاء الذين لا يتميزون بالمعرفة عن أصولهم ، بل يزدادون التصاقا بالجذور فلا ينعزلون عن المتابع .

نحن مع المفكر السياسى الإيطالى « جرابش » الذى يرى ! أن كل الناس مثقفون ، بل وفلاسفة ، والصدق الثقافى يكون بتعبير الإنسان عن ذاته بكل بساطة دون حاجز طبقى أو اجتماعى ، وبدون أن تكون الثقافة نفسها هذا الحاجز الذى يجعل من التعبير عن الآخر كذبا ونفاقا وزورا و بهتانا ، ويجعل من المثقفين منافقين عظاما آثمين يخفون بحذلقتهم ماضيهم الحافل بالاثام، ويجعلون من الكذب ستارا لتضليل عين الضمير الجادة المبصرة ستارا يسمونه البلاغة والفصاحة ، لكنه مهترئ أو هى من خيط العنكبوت .

وهنا نحن أمام إنسان . إنسان من الناس ، بسيط ، يحكى آلامه كخيط فى نسيج الألم العام، ويتحدث عن تجربة التعذيب ، والسجن ، والأسوار ثقيلة الوطأة ، يتحدث عن ذلك باعتباره عنصرا فى نسق ، ونغما فى بكائية جماعية ، أو صرخة فى ضجة احتجاج هادر جماعى عظيم ، إنه لا يتحدث عن نفسه ليعزلها عن الآخر ولا يفتتن بالكتابة فيعتبرها زينة خاصة ، ولا يحاول لفت نظر القارئ بما يشغله عن جوهر القضية ، ولا يعتبر الكلام عن التضحية والألم بدلاً عن التضحية والإحساس ، بل إنه يعتبر تجربته الخاصة جزءا من التجربة العامة ، ليس المعتقلين فحسب ، بل لجموع الجماهير التى أصابتها هذه التجربة فى أهدافها .

ذلك شئ لم نجده تعبيرا فيما كتبه المثقفون فى نفس الموضوع ، لقد تحدثوا عن أنفسهم ، وتناسوا وتجاهلوا غيرهم من زملاء المحنة تجاهلاً لا يعرف الرحمة ، واحتقروا تضحيات الآخرين احتقاراً مغلفا بثقافة كاذبة ، وفصاحة منافقة ، وحكمة باردة لا تستحق سوى الازدراء .

من ذا الذى اعتقل ولم يذق سوء العذاب ؟ ولقد ذقنا العذاب مرتين ، واحدة فى ذاتنا ، والأخرى إذ ينظر كل منا لى الآخر فالتعبير عن الألم الخاص شئ عادى ولا نقلل من شأنه ، ولكن الألم للآخرين ، والتعبير عنه والإحساس الصادق به شئ من النبل السامى .

وكلنا سار عاريا تحت وطأة السياط والهراوات ، وكلنا جرى بين صفين من العساكر فى طريق طويل ملئ بالعصى والهراوات الضاربة ، وفى نهاية الطريق كان كل منا يمثل أمام همت ، فينا الصغير والكبير ، والسليم والمريض ، والقوى والضعيف ، فمن رأى هذا الألم العارم . وجعل من إحساسه لحنا فى أغنية الإعصار ، وتألم لنفسه وللآخرين فذلك هو الإنسان . ثم هو بعد ذلك إنسان أيضا إذ يتذكر ليس آلامه فقط ، وإنما آلامه مع الآخرين . والتذكر بأنواعه يختلف نوعا عن الآخر ، فالذكريات فى الحديث غير التذكر فى الكتابة ، ثم إن هناك فرقا بين من يجعل من ذاكراته

أداة إبداع فى رواية يكتبها أو فى شهادة يدلى بها . ولكن قمة حالات التصور والتذكر حينما يكون ذلك مسئولية إنسانية وتاريخية . إنه لا يكون سردا للأحداث بل إعادة تصويرها واستعادتها أحداثا وآلامـــا .

ممارسة الزعامة فى الكتابة :

وتكون القمة أعلى من كل القمم حين يتصدى لهذا التصـور ، ولهذه الذكريات زعيم وقائد كان بين جنوده ، يعانى معهم محنة الأسر

وحين يتحدث هذا الزعيم عن تجربتة مع جنوده فى الأسر ، فإن تفسير ما يكتب لا يمكن أن يكون عملا لغوياً ، أو نشاطا إنشائيا يخص دراس اللغة أو أساتذة النقد الفنى . إن هذا النص يصبح ممارسة للزعامة يخرج عن إطار الثرثرة أو الأعمال الأدبية ، ففيه تبدو قيمة دور الزعيم فى عملية القيادة ، وفى إطار المهمة التى من أجلها أصبح قائدا ، ويجب هنا ألا نخجل من البحث عن أنفسنا فى رؤية الزعيم وفى الصورة التى يقدمها عن تجربته مع جنوده فى الأسر . ورؤية هذا النص من هذه الزوايا يخلق حركة جدلية بين الزعيم والحدث ، وبينه وبين الجنود ، وبينه وبين النص وأدوات الرواية ، وبينه وبين العناصر الخارجية عن النص وظروفة .

وحينما يصبح النص الذى يقدمه الزعيم نفيا لدوره وانكار المسئولية ، وضربا لما يجب أن يكون من علاقة بينه وبين جنوده ، وحين يتخلى الزعيم عن كل ذلك ليتحدث عن نفسه ، ويجعل من ذاته حائلا بينه وبين دوره وقضيته ، لينتحل لنفسه كل المجد ، وتتحول علاقته بجنوده إلى مستوى التمرد والإنكار المتبادل ، حينئذ يستخدم الزعيم أدوات الزعامة فينفى الآخرين من التجربة وينكر دورهم ويستولى على كل أمجاد المقاومة لنفسه ، ولذوى الحظوة لديه متجاهلا الآخرين .

ولأننا إزاء نص يصور حوارا اجتماعيا فكريا وسياسيا ، فإن هذا النص لا يعتبر تقريرا جامدا ، بل يعتبر عملا ثقافيا ، يكون الزعيم فيه هذا المثقف المغترب عن الطبيعة الإنسانية، وعن زفرات لا يمكن أن يطفئها التجاهل . وسواء كان هذا الاغتراب بادعاء ما ليس من حقه فى بطولات الآخرين ، أو بعجزه عن الرؤية نظرا لعمى الألوان الذى ينتابه فلا يستطيع التفرقة بين العامل الشخصى والعامل الإنسانى ، فيقع فى الفردية المتعالية .

لقد كان الأمر أسمى من ادعاءات الأدعياء ، فتحت نظر الزعيم ، وبأدنى حد من

إمكانيات الرؤية كان يمكنه أن يرى مسرحا يموج بالبطولات التى يعجز عن إدراكها فلا يستطيع إبصارها ، بحر من التضحيات يحتاج إلى حالة من ضبط النفس حتى لا نغالى فى تقديرها .

بحر من التضحيات فى وضح النهار ، موسيقاه رنين الهراوات على الأجساد وقرقعه الخطوات المتكسره بين صفين من الجنود يضربون بلا تمييز وحين يأتى الليل ، ويأوى الرفاق إلى أرض جرداء بزنازين مظلمة تحوم فى الجو أسئلة بكماء ، وإجابات هائمة ، وخيالات الأسرى عن يوم من أيام الصحراء دونوا فيه أسماؤهم فى سفر مجهول أمام هولاكو يدعى «همت» ، ذكرى لم تمض عليها ساعة .. صورة ميدان التعذيب ، والأنفاس الطاهرة النشوى بنشيد الآلام ، والأجسام المشوقة بالجوع تسارع ركضا ، والآفاق المعبرة ؟ حين العودة ، وضجيج الضحكات ترحب بالزنزانة وأمان الجدران ، ضحكات ساخرة مما كان .. نحن عرايا .. الكل أمام الآخر عريان ، لكن البسمة هزمت قهقهة الجبار المجنون .. هولاكو ...

وينام الأسرى ، يحرس عيونهم الحنين إلى الحرية .. وحين ينامون يحلمون بكل شئ طيب ، ويبتسمون . وبهذه الروح .. كان حسن المناويشي يرى أن فتره اعتقاله هى من أهم وأخصب مراحل حياته ، لأنها كانت فرصة ، ليرى أوسع وأكبر مجال للتضحيات .. وليرى أبطال هذه التضحيات على حد قوله : « من رجال العلم والفكر والثقافة » .. هذه النخبة العظيمة ، والصفوة الفريدة التى تمثل ضمير الشعب المصرى بأسره ..

ولأول مرة فى التاريخ لا تثير الزنازين الضجر .. ويكون صوت المفتاح فى الأبواب كنعيق الغربان .. هيا يا صفوة مصر .. اصطفوا فى ساحة السجن .. هولاكو سوف يراكم .. وتسير القصة مثل الكابوس .. هيا سيروا نحو الصحراء .. كنا لا ندرى أين نسير .. حتى قال البعض سندفن ثم يعود هولاكو منتصرا ..

منهج **المناويشى** : لماذا هو متفرد ؟

هذه الفترة من حياتنا .. وقبلها وبعدها يتحدث عنها **حسن المناويشى** .. ويمكننا أن نقارن بين نوعين من الكتابة عن أيام السجون والاعتقال ..

النوع الأول : محاولات المثقفين .. الذين يعتبرونها تجربة ذاتية ، فنراهم يسجلون معاناتهم الشخصية ، وحتى معاناة الآخرين التى لم يكن من الممكن تجاهلها .. ولكن دائرة الرؤية ، والوصول إلى الآخرين تكون عندهم دائرة مغلقة بالذات ..

ومصدر الخطأ عند هؤلاء هو الانفعال الأنانى بالحدث ، وغياب الرؤية الشاملة .. رغم أنها تثرى ما يكتبون لو كانوا يعلمون . ولكنهم يكتبون من زاوية المصلحة المباشرة . وخطأهم هنا ليس خطأ أخلاقيا أو تفسير اسلوكيا ولكنه مرتبط بالتكوين الفردى الانعزالى .

أما النوع الثانى : فقد كانت محاولات الزعامة لتسجيل المعركة باعتبارها مجدا من أمجادها .. وأيا كان دور هذه الزعامات .. فقد كانت هذه المعارك بصورتها السالفة ، معارك الجماعة لا الأفراد .. وهنا فإن الكتابة عنها ليست رأيا فى حدث ، بل هى محاولة لإعطاء وأرائهم ودورهم قيمة أكثر مما تستحق .. ومع ملاحظة أن كل من شهدأ معركة « همت » كانوا من السياسيين الذين خضعوا لضغوط عديدة ولمحاولات تصفية متواليه .. ومن بقى منهم صامدا توجه إليهم همت .. ليدمر آخر قلاع الصمود .

وبالطبع .. وفى منفى كالواحات .. يكون بين المعتقلين حوار ، آراء تتصارع . وخلافات .. ومعارك فكرية .. جو محمل بزائحة الديمقراطية والحضارة الفكرية فالخلاف فى الرأى نوع من الثراء التقدمى أوالإفرازات الدسمة لهذا الخلاف تنتج بغزارة وعياً نقياً ذا ألوان حبيبة ، وحين تأخذ الحدة بعض جوانب هذا الصراع الفكرى ، وتبدأ فى الظهور إفرازات سوداء كئيبة ، يجب على القيادة أن تحكم قبضتها حتى لا يفلت الأمر من أيديها . ولكن .. حينما تصب هذه القيادة النار على الزيت ، وتهب ريح الفرقة مدعومة بسلطة قيادة ، فان كل شئ يتوقف عن النمو .. وتدنو الظاهرة من الموت وشيئاً فشيئاً .. تصبح القضية مجرد أصوات متباعدة ، تتحول إلى آهات وتنهدات وخيبة أمل ورجاء .

ويشتد الصراع بشكل لا مبادئ فيه ، وتتحول القيادة من زعامة فكرية إلى سلطة تريد إقرار الأمن والنظام ، وترى الخلاف الفكرى معها نوعا من الخروج على إرادتها الشرعية ، وتسلك طريقا ساقطة ، تعطى لآرائها قيمة أكثر مما تستحق ، وتفترض فى هذه الآراء نوعا من الحصانه والقدسية ، وتضفى على الآراء المعارضة صفات غير ما يمكن إطلاقه على الآراء ، وتدعى أنها أفكار إنهزامية ، تجرد أصحابها حتى من إمكانية المقاومة ، ويصبح الخلاف الفكرى من جانب القيادة ، نوعا من الاستعلاء والسيادة .

وتصبح آراء القيادة فوق ستوى المناقشة ، وقراراتها «ديكرتيو» أو فرمان ، وتصبح مجرد مناقشة هذه الفرمانات مؤامرة من « عملاء البورجوازيه » ولاعقى الأحذية ، والمنهارين . وغير

ذلك مما يسيل من أفواههم ، فهم وحدهم المناضلون وغيرهم لا يستحقون الحياة ، وهم وحدهم أصحاب الحق فى التضحيات ، وفى شرف المقاومة .

ومضت سنوات كثيرة على هذه الأحداث . وابتعدنا عنها بما يكفى لإعادة التفكير الهادئ بعيدا عن التوترات الانقسامية ، وكان يمكن أن يرى الجميع أن الآخر لم يكن معصوما ، وأن الخلاف لم يكن حراما ، وأن المقاومة كانت قسمة عادلة بين الجميع ، والإنجازات فى أرض المنفى كانت انجازات الكل . ولكن .. ها نحن بعد عشرات السنين نقرأ لهذه الزعامة ما يجعل استيلاءها على تضحيات الآخرين عملا قيادياً « شرعياً » ، ويجعل وجودهم القيادى هو الزعامة الوحيدة المشروعة ، مدعين الانفراد بالبطولة مستمرئين حرمان الآخرين من حقهم فى الألم والمعاناة الذى نالهم تحت وطأتين ، وطأة النظام ، وضراوة زبانيته ، ووطأة الزعامة ، وإسرافها فى أمرها على أنفسها وعلى الناس وانفعالها الكاذب المحموم الذى لم تهدئه السنون . ليس مطلوبا من حسن المناويشى أن يكتب كل شئ ، وأكثر من هذا لا يمكن أن نحاسبه على شئ نسيه ، أو حدث لم يقدره حق قدره . إنه ليس زعيما يتحدث باسم كل الجنود ويعبر عن كل التجربة ، ويرسم مسيرة كل الكتيبة ، عندما يكتب الزعيم فإنما ليعطى صورة الماضى الذى يعيش بيننا الآن بكل عناصره بمقدماته ونتائجه ، ومن حقنا أن نرى ، أو أن نطمع فى أن نرى صور المستقبل فى حديث الزعيم عن الماضى ، أما عبادة الذات ، والسطو على بطولات الآخرين ، وإنكار حق الآخرين فى الاحتفاظ بالامهم ، فإنها لا تعنى من الزعيم خطأ أو هفوة أو نسيانا .. إنها تعنى اختياراً وهدفا .

حسن المناويشى يكتب ما يذكره ، وهو يعتبر نفسه من أكثر الناس فى المعتقل حظاً فى الضرب والألم ، وإذ يقرأ ما كتبه هذا الزعيم او ذاك فلا يجد لنفسه صورة فى ملحمة التضحيات ، فقد كان من حقه أن يعامل الزعيم بالمثل .. ولكنه كان أكرم نفساً ، يكتب على أوراق متسامحة ، يتنفس الصدق ، ويتحدث بالعدل . ويعطى الزعيم حقا أنكره الزعيم على الآخرين . ذلك إنسان بسيط يتحدث . فلا بأس إذا لم يذكر كل شئ .

ولكن الزعيم الذى خرج من السجن ليمارس حقه التاريخى فى القيادة ، القيادة التى أتته منقادة تجرر أذيالها ، هذا الزعيم ، وتحت يده مستندات حزبه ، وأوراق أركان حربه ، ورؤية المساعدين والأتباع ، وذاكرة كثيرين كانوا معه وحوله ومن ورائه .. هذا الزعيم لا يمكن له ، ولا يقبل منه ، ولا يجوز أن يترك شيئا مما لا يجوز لحسن المناويشى أن يتركه .

حسن المناويشى بسيط .. طيب القلب ، مستعد أن يذهب إلى آخر الدنيا ليفعل شيئا طيبا وبسيطا ، وأغلب الظن أن بساطته هذه كانت مستهدفة فى الصراع داخل السجن ، وفى تسجيل الذكريات بعد عشرات السنين . ولكنه احتفظ بها كنزا ، يكفينا منه أنه فى آخر الأمر ، ينظر للماضى نظرة عادلة .

كنا حزبا .. والحزب نموذج مصغر للدولة التى يسعى لإقامتها ، بل إنه نموذج مركز ، والروح الحزبية هى روح الجماعة ، ونبض الجماهير ، الجماعية هى جوهر الحزب قيادةً وقاعدةً ، وهى بين الجماهير صمام أمان من بين الأغلبية والأقلية ، والفردية داخل الحزب ، وبخاصة من الزعيم ، سوء سلوك .. وتصرف حيوانى منحط ، لا يمكن اعتباره عملا سياسيا أو قيادة ثورية .

لقد جربنا ، وسرنا وتعثرنا ، وانحنينا إلى الأمام وإلى الخلف ، ولم يكن مع أى منا غير حنان ولسان ، وصدر متسع للرأى ، ومكشوف للسهام (وفى الكتب التى أصدرها عدد ممن احتلوا مكان الصدارة عن عناصر تجربتنا نلاحظ ما يلى) : -

أولاً : اعتبروا أن رأيهم دون بقية الآراء ، وموقفهم ومن معهم دون بقية المواقف هو الموقف والرأى الذى كان ، والذى هو الآن كائن ، وفى غد ما يجب أن يكون .

ثانياً : وبناء على ذلك ، فما يزالون حتى اليوم يتحدثون عن تضحيات الجانب الصحيح ويتجاهلون ما قدمه الآخرون ، وينكرون حقهم فى آلامهم .

ثالثاً : ولأن المنهج ينمو باستخدامه ، فقد أصبح هؤلاء وحدهم فى مقابل الآخرين.. الآخر هو ماعدا شخوصهم ، وبدلا من أن تصبح قيادته شاملة وموحدة ، أصبحت ندية مقيته ، وأنانية كريهة ، وضيق أفق لا يتسع إلا لما تتسع له النازية والفاشية .

وأضرب عدة أمثلة مما وقع تحت بصر هؤلاء ، وسمحوا به ، وتناسوه عامدين متعمدين حين كتبوا عن التجربة .

المثال الأول : فى كتاب اصدره احدهم فى الخارج أسقط جريمة اغتيال المناضل النقى **لويس اسحق** الذى قتل بالرصاص فى الوقت الذى بدأت فيه الحكومة تفرج عن الشيوعيين.

المثال الثانى : تناسى آخر الحق أن تجاهل متعمدا اغتيال **شهدى عطيه**

الشافعى . صحيح ان شهدى وأفكاره كان شخصيه خلاقيه ، لكنه سقط تحت الراية التى كان يسير تحتها الكاتب وهو رفيق له فى المسيره بل ويسبقه فيها ، وليس من حق أحد ان يفتش فى السرائر ليصنفه فى خانة معينة ثم يصدر قرار بالونا بحرمانه .

المثال الثالث : وتجاهل مؤلف آخر من المتصدرين العم **زكى عثمان** ، من فى كل سجون مصر لا يذكره ؟ .. إن لم يكن بالاسم والمعرفة الشخصية ، فبالسمع والذكرى ، كل الرفاق قاصيهم ودانيهم يعرفونه ، الرجل الذى فقد بصره ، ولم يحل ذلك بينه وبين أن يدفع ضريبة النضال على قدم المساواة مع غيره من الأبطال ، لم تمنعه ظلمة الطريق من ارتياده وتحمل مخاطره، وبكل المقاييس فإن الاعتقال بالنسبة تجربة أشد مرارة وقسوة من كل ما نعرف ، وفى يوم همت التف الجنود حوله كالبهائم يضربون ويركلون ، لم تظهر على وجوههم بقية من كرامة إنسان ، وكان من المستحيل أن ينتظر منهم رأفة أو رحمة ، أو حتى معاملة تفرق بينه وبين الرفاق الذين أحبهم ، وأشفق أن يردوا موارد الهلاك بدونه ، كانت رغبة الخلاص فى قلبه نورا أقوى مما فقده فى عينيه ، أشعة وهاجة كانت تلك الرغبة الجبارة . ولعل هذا ما استفز الذئاب من حوله يوم أطلقهم همت ، وصاروا يضربون كأنهم يريدون الانتقام من إرادته واصراره .

ماذا كان يعلم المصدر صاحب الكتاب عن **زكى عثمان** ، لم يجد فى كتابه سطرا واحدا يتحدث به عن صاحب هذه المعاناه المضاعفة فى حملة « **همت** » ولكنه تحدث عن بطولته الشخصية فى مواجهة **همت** وحماته ، فهل خطر بباله باعتباره **الزعيم** ، والمسئول الأول عن كل زملاء المعركة ، فى واحدة من أقسى المواجهات ، هل خطر بباله أن يسأل نفسه كيف واجه **زكى عثمان** الموقف ؟ . كيف سار وهو لا يرى بين صفين من العساكر ، وكيف قطع الطريق الطويل من العنبر وكل الزملاء كانوا يسرعون الخطى بل ويجرون حتى تقل الضربات التى تنالهم فهل كان **زكى عثمان** يستطيع أن يجرى بين صفين من العساكر الذين يضربون بلا قلب ولا وعى ! ..

إن الإحساس بالمسئوليه يهدى إلى سواء السبيل ، وكان جديرا بالمؤلف أن يتحلى بهذا الإحساس حتى لا يسقط من حسابه معاناه الأستاذ **زكى عثمان** ، فإن افتقد الاحساس بالمسئولية فهل افتقد العنصر الإنسانى فى إحساسه ؟ ، **حتى الجلادين الطغاة** نحن نطالبهم بشئ من الإنسانية يحد من طغيانهم ، ولكن لعلن الله التعصب حين يأخذ بمجامع **قلب الزعيم** ، فيطفئ فى روحه مشعل المسئولية ، والمحبة الإنسانية للناس ، ويختار الظلام عميقا يرتاده طوال

مئات الصفحات ، لا يحدوه سوى التعصب ، فقد كان الأستاذ **زكى عثمان** على غير رأى المؤلف فى صراع الآراء .

المثال الرابع : انفرجت الغمة فى الصحراء ، وذهب « **همت** » إلى حال سبيله ، حاملاً قلبه الحاقد ، **وضميره** الميت ، ولكنه خلف أسلوبا وضحايا ، وقد فرضت أحكام الطوارئ **فى المعتقل وفى** « الطابور » اليومى من العنابر إلى الصحراء حفاه **فوق الأشواك** ، وحين العودة من « **طابور** » العذاب تغلق علينا الزنازين ، وقد كنا بحاجة لمن يتطوع ، **كنس** الممرات بين الزنازين ، والتحايل لنقل المساعدة ، والنجدة الممكنة للذين كانوا يعانون دون شكوى أو دموع .

ومع ذلك فلم يخطر ببال المؤلف أن يذكر شيئا فى كتابه عمن تطوع لهذه المهمة ، كان يقاسى لكى يقوم بمهمة التخفيف عن زملائه ، تحت ظروف لا ترحم ، وحساب شديد لكل لمحة ولفتة!..

المثال الخامس : كان من النتائج القاسية فى **حملة همت** أن أصيب عدد من الزملاء إصابات مختلفة ما بين كسور ورضوض ، وجروح . وبعض هذه الإصابات كان نزيفا **فى الكلى** تطور إلى **بولينا** فى الدم ، ونقل **إلى مستشفى أسيوط** ، وأجريت له عملية **جراحية** أفاق بعدها ليجد نفسه فى حجرة عفنة كانت مخزنا للمخلفات . وقد قيدت يداه وهو ما يزال مخدراً ببنج العملية وشبت العيد فى قوائم السرير ، حتى إذا أفاق لم يستطع حراكا فهل سأل **المؤلف** نفسه عن متابعتة لضحايا المعركة ؟.

المثال السادس : وهو ليس مثالا ، ولكنه عشرات الأمثلة ، فالمواجهة بين **الشيوعيين وعبد الناصر** لم تكن فى السجن ، كانت أرجاء الوطن تعج بالمواجهات ، فى كافة سجون المحافظات ، وأنواع التعذيب فيها مشاهد لا تنسى ، **السجون** الحربية **فى القاهرة والاسكندرية** ، والذين أطلقت عليهم الكلاب من المعتقلين الذين كانوا **مجندين** قبل **الاعتقال** ، والذين عانوا الأمرين فى **سجون** قنا وغيرها ، والذين أضربوا عن الطعام فى ظل ظروف أصعب كثيرا من ظروف **الاضراب** عن الطعام فى الواحات .. وغير ذلك .. وغير ذلك كثير .

لسنا نطالب بتسجيل دقيق لكل الأحداث فهى أكثر من أن تحصى ، وإحصاؤها فوق الطاقة ، ولكننا نناقش قواعد الاختيار والتصنيف ، ولو كان الاختيار عادلا لما هانت على الناس أنفسهم إذا لم يجدو مكانا فى القائمة . وإنما هى العدالة .. افتقدناها فى المجتمع ، ودخلنا السجن لنفتقدها فى رؤية بعض المتصدرين .

ولعل الواضح البين أن القاسم الأكبر فى الأمثلة التى قدمناها هو افتقاد عنصر **الإنسانية** ، وحين يكون كتاب مفتقدا هذا العنصر من بدايته إلى نهايته تصبح كلماته صماء خرساء .

وسائل أكرر أن أيا من الكتاب الذين تناولوا هذا الموضوع ، لو أغفل واقعة أو بعض الوقائع أو كثيرا منها دون أن يريد إيقاع الضرر بالآخرين فلا لوم ولا تثريب ، والذى يكتب تجربته الشخصية غير مطالب بذكر لم يره ، ولا يطالب بالتعرض لتاريخ عام يشمل كل الأحداث ، ويحيط بكل الآراء . ولكن من كتبوا كانوا يتعرضون للتاريخ العام . ولكن اصبحوا كما **قال انجلز** : « كثير من الناس تجد راحة كبيرة فى اعتقاد أنه يمكنه أن يصنع كل التاريخ والحكمة السياسية والفلسفة فى جيبه بأقل تكلفة وبلا عناء .. إنهم يعتادون النظر إلى السياسة ، وبالتالى إلى التاريخ كما لو كان سوقا للسذج وسابقة فى ألعاب السحر وخفة اليد » .

لقد كنا جميعا فى خندق واحد ، من الصباح حتى المساء ، ومن المساء حتى الصباح، يحيطنا سور واحد ، والعصا **والسوط وهمت** كان لنا جميعا ، والسقف الواطىء الثقيل كان يرهق أنعاس الجميع وحرارة الصحراء وأشواكها **وثعابينها** لم تكن تفرق ، ولم تكن ذات رأى سياسى . والجوع وحش بلا قلب أرهقنا جميعا ، وحتى **الإضراب** عن الطعام دخله الجميع فلم يكن انجاز رأى دون آخر ، والخلاف الفكرى كان يمكن أن يكون وسيلة للثراء الفكرى وللنمو الوجدانى ولرؤية صحيحة للطريق ، ولتوحيد صادق لهذه الرؤية بدلا من التراشق البائس الذى يزهق الأمل ويقتل بهجة الروح السامية بالتضحيه .

لقد حولنا حياتنا فى المنفى إلى أغان وحياة ، وجربنا مقدرتنا وطاقتنا فى بناء المسرح ، وإنشاء المزرعة سبرا لأغوار طريق المستقبل ، وغيرنا عمل السخرة والتعذيب إلى إنتاج راق يشبع البهجة والسعادة : وكان يمكن أن يبقى أثرنا هناك خالداً لو التزم الجميع الحقيقة عن كل جوانبها كان يمكن أن نظل حزبا سياسياً يقوم فى المجتمع المدنى بذات الوظائف التى تقوم بها الدوله ، وكانت تجربة المعتقل نوعا من مثل هذا العمل اقتصاديا وثقافيا . وكان يمكن اعتبار هذه الفترة تمهيداً لنشاط واسع بين الجماهير عند الافراج عنا . حيث يقوم الحزب بنفس الدور الذى قامت به الجماعات المتطرفة بين الفقراء والعاطلين كان من الممكن أن نحاول إنشاء مجتمعات مدنية ، وكيانات فكرية وثقافية ورياضية على نحو أكمل من تجربة المعتقل .

وقد كان يلزم لذلك أن نقدر قيمة التجربة التى خضناها فى الواحات ، وأن نجعل منها ثروة يمتلكها الجميع .. ولكن الصراع فى كل نواحيه قد حسمَ بطريقة سلطوية . مثلما حسم على مستوى المجتمع حينما أردنا أن يكون لنا رأى فى الوحدة القومية وفى التنمية الاجتماعية . الحكومة تخلصت من **الآخر** بالاعتقال وبعض القادة فى المعتقل تخلصوا من **الآخر** بإنكار فكره ودوره.

وهنا أدركت لماذا تكلم **حسن المناويشى** ، ولماذا يجب أن يتكلم أمثاله ، وهم كثير . لقد أراد أن يحتفظ باسمه عنوانا لتضحياته ، وبكامل حقوقه الشرعيه فيما بذل من آلام ، وفيما كان يرجو من أحلام .. وهو إذ يذكر أيام العذاب لايتأوه ، ولكنه يصرخ من فداحة الظلم .. إذ كان يعانى من سجنين ، واحد يحكمه العساكر والضباط وآخر يحكمه الزعماء والقادة ، حتى إذا ظننا أنة قد أفرج عنا ، وعدنا إلى الحرية نملك فيها أمرنا تاريخا وحاضرا ومستقبلاً ، إذا **بالزعيم** يباد ويجمع كل الأمجاد ليسطرها باسمه بعد أن يمحوا أسماءنا ويتركنا للأيام بلا عنوان . وكان ذلك استكمالا لدور الدولة فى تخريب البيئة الفكرية والثقافية ، وترك الناس طعما لاتجاه ينمو سرطانيا **أ**صبح يسمى فيما بعد بالإرهاب .

ولكن هيهات . لقد قالها **چوركى** من قبل ! « فى الضباب يولد وينمو شئ هائل على نحو لا يدرك ، مملوء جلبة نانة » وسوف يكون هذا الشئ لنا .. نكتب عليه أسماءنا ، إلى جوار الأسماء الحقيقية لأصحاب الأمجاد من الأجداد الذين لم يطمسوا أسماء الآخرين ، ولم يستكينوا لمحاولة محو آثارهم .

حسن المناويشى لم يحلم يوما أن يصير كاتبا . لقد كان يعتبر المثقف « عضوا فى الصفوة الفريدة التى **تمثل الشعب المصرى** بأسره » .

وحين يعود التوازن للبيئة الفكرية المدمرة فى كل الوطن ، ويصبح الصراع الفكرى نوعا من السمو والنمو ، وتزهر فى كل الميادين آلاف الأنواع من الزهور ، ويتوقف النمو السرطانى الذى يتغذى بدماء **الآخر** . حينئذ يكون قد تحقق حلم **حسن المناويشى** بالمثقفين الصفوة ، بدلا من هؤلاء الذين جعلوا من أنفسهم مثار سخرية وتنذر .

ليست الكتابة نوعا من السحر يعرف أسراره الكهنة ، ولكن الذين يعرفون سر الحياة ويمسكون بمفاتيح القلوب ويضيئون جوانب الطريق وأنحاء الساحة ، ويصبح المثقف مجرد إنسان

بسيط يعتبر الثقافة نوعا من الريادة الفكرية والأخلاقية تماما مثل **الاشتراكية** التى ستتخلى عن كونها مجرد شعار وطلاسم ، لتصبح هى الأخرى نبراسا ، **للعلم ، والعدالة ، والصدق ، والجمال ، والتقدم** .

وهذه المعانى على وجه الدقة هى ما افتقدناه فيما كتب عنا ، ولذلك ومع الأسباب الأخرى التى قد مناها – طرحت المشكلة نفسها على حسن **المناويشى** ، وحينئذ فقد طرح هو نفسه فى المقابل على المشكلة ، وقد وضع القضية على الصورة التالية : –

بما أن الاعتقال هو أهم وأخصب فترات حياته ، حيث كانت فرصته العظيمة لكى يكون له شرف التعرف على أكبر تجمع من رجال الفكر والثقافة ، فقد تصور حينما يخرج من المعتقل أن يرى شيئا من تضحياته ، وملامح من صورته فيما يكتبون عن هذه التجربة .. ولكنه اكتشف أن « باب النجار مخلع » على حد قوله .

لم يكن يريدهم أن يكتبو عنه باسمه ، بل بصفته .. العامل البسيط المناضل ، الذى عانى الأمرين فى السجون فى سبيل رأيه ومواقفه ، ولم يكن يريدهم أن يكتبو عنه كنوع من الشكوى ، بل كان يريد أن يرى رؤيتهم ، وكيف سيفضحون سياسة التعذيب ، وكيف سيتنادلون ما حصل سواء كانت وقائع ما حصل لنا أم علينا . ذلك فى رأية كان السبيل الوحيد لاستخلاص الدروس المستفادة من هذه التجربة .

لم يكن يريد أن تكون التجربة نهبا لكل من هب ودب ، وميدانا تشيع فيه الفوضى فى تداول الأحداث والآراء .. إنه يريد نصا يفرض احترامه ، نصا مثقفا غنيا يقدر عليه صفوة رجال العلم والثقافة . لم يكن يريد نصا متحذلقا يلف ويدور حول القضايا دون أن يصل إلى جوهرها .. أدرك بحسه أن التعامل مع اللغة هو نوع من التعامل مع الحياة . وإذا كان الكتاب يسعون إلى إقرار حقوقهم والبحث عن سبل حمايتها ، فإن حسن المناويشى فى المقابل يسعى إلى حق القراء ، خصوصا إذا كانوا موضوع التجربة والكتابة إن معاناة الإنسان عنده هى جزء من صورته ، بل هى أهم الخطوط والملامح فى الصورة . بل أكثر من ذلك إن الانسان هو ما يعانى .. والمعاناة هى كل الصورة وليست ملمحا من ملامحها . المعاناه هى حياة الإنسان إذا تجاهلها هو أو تجاهلها الآخرون فقد حكم عليه بالموت تجاهلاً .

وقد عذب أكثر بكثير من آخرين ، وأحيانا يقول إنه أكثر من ضرب ، وهو هنا يقف

موقفا خاصا من عملية التجاهل التي تمت لكثير من جوانب التجربة والمعاناة ، إن الاهتمام بنا هو جزء من كرامتنا وشرفنا .

هل أحس المناويشي بالتجاهل المهين في كتابات « رجال العلم والثقافة » .. وهل رأى أن سبب هذا التجاهل هو أنه عامل بسيط .. هذا احتمال .. واحتمال آخر أنه لا يريد الحديث عن شخصية بل يريد وجهة نظره في الحدث ، وهنا تكون المسألة خلافا فكريا لا شخصيا .. أما الاحتمال الثالث فهو أن الذين كتبوا كان همهم الأصلي أن يكتبوا عن أنفسهم .

والأخطر من كل هذه الاحتمالات أن يوظف إنسان ما معاناة الآخرين لهدف شخصي ومنفعة ذاتية ، وذلك بإسقاط هذه المعاناة من الصورة حتى تفسح مجالاً أوسع لصورة الكاتب نفسه، أو تحجيم صورة الآخرين ، ووضعها في خلفية صورة الزعيم ، زينة وإسرافا في الأنانية .

وبهذا يكون النص السياسي ، وبخاصة في مجال الذكريات في مثل موضوعنا ، الذي يعتبر التذكر فيه على درجة من الجماعية عالية .. أقول يكون هذا النص والذكريات مجالا للتغير الذي لا يستطيعه الكثيرون ، إن التفسير يضفي إلى النص أبعاده ، خصوصا إذا كان المفسر من خلال نفس مجال الذكريات .

وطرح المسألة على هذا النحو يؤدي إلى ضرورة إعادة النظر في كل ما كتب عن أيام المعتقلات والسجون من كافة الزوايا .. ليس لأنها أحداث شخصية ، أو معاناة أفراد أو حتى جماعات ، بل لأنها في حقيقة الأمر تتعلق بتاريخ شعب ومعاناه أمة ، تحتاج إلى رصد دقيق من زاوية الأحداث ، وعلاقتها بالتاريخ العام للوطن ، ومن زاوية التفسير من كل وجهات النظر ، حتى تتضح علاقة الأحداث بالصورة العامه .

ولتحقيق هذه الأهداف يلزم عمل كبير ، وجهد ضخم قبل أن تسقط من ذاكرة الأمة علامة مميزة من علامات تاريخها .

عبد الخالق الشهاوي !



كانت فترة الإعتقال - التى مازالت حاضرة فى ذهنى - هى من اهم واخصب مراحل حياتى فهى بالنسبة لى فرصة لم ولن تتكرر مرة اخرى لكى يكون لى شرف التعرف على اكبر تجمع من رجال العلم والفكر والثقافة فلولا هذه الحبسة وهذا الأعتقال ما تقابلت مع هذه النخبة العظيمة والصفوة الفريدة التى تمثل ضمير الشعب المصرى بأثره فقد اعطت ولم تأخذ حتى الآن .

ولقد توقعت ان اقرأ باقلام هؤلاء العظماء - وخاصة من اصحاب القلم عن ما حدث من تعذيب وامتهان لحقوق الإنسان داخل السجون والمعتقلات خلال الفترة من سنة ١٩٥٩ حتى سنة ١٩٦٤ تحديداً من ٢٨ مارس ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤/٤/٤ وهى الفترة التى قضيتها فى سجون مصر ضمن كل الشيوعيين والديموقراطيين والليبراليين من كتاب وصحافيين واساتذة جامعات ورجال قانون وفنانين كبار واصحاب دور نشر للكتب والمعرفة ومن رجال العلم والثقافة بشكل عام وعدد ضخم من الاطباء وبعض الضباط الأحرار .

ويقول المثل الشعبى « باب النجار مخلع » فقد توقعت ان يكتب الكل او البعض عن هذه الفترة الخصبة بكل ما فيها من وقائع سواء كانت هذه الوقائع لنا ام علينا وان يفضحوا سياسة التعذيب التى لم تحدث فى أى عهد من العهود السابقة على الثورة حتى فى عهد الملك والرجعية لم يحدث لبشر مثل الذى حدث معنا فى سجن القلعة

وسجن ابو زعبل ومعتقل العزب بالفيوم وسجن قنا وكذا مع ما حدث فى سجن النساء بالقناطر الخيرية .

ويظهر ان الأساتذة امتنعوا عن الكتابة خشية على مراكزهم التى تبوءوها بعد إنتهاء الحبسة او لعدم الإحراج والذين كتبوا عن هذه الحبسة لم يركزوا على ماتم من امتهان كرامة الإنسان مثل طابور العذاب الصباحى الذى كان يطلب منا ان نلف للتفتيش ونحن نمسك (دكة) البنطلون القريب من الشاش أى الحزام فى يدينا مع نزول الجريد والشوم والكرابيج السودانى والعصى الخيرازان على ظهور الرجال وكثيراً ما كانت تسقط الدكة من ايدى كبار السن والمرضى ليسقط البنطلون أو السروال لتظهر عورات الرجال ليضحك ويقهقه السيد مأمور سجن اوردى ليمان ابو زعبل بشكل مرضى يدل على ان هذا المأمور يعانى من مركب نقص جعله يتلذذ بهذه المناظر التى تتنافى مع ابسط قواعد الانسانية . ولم اجد ما يشفى غليلى فى القليل الذى كُتب عن هذه المرحلة التاريخية الخطيرة من تاريخ مصر الحديث وكما قلت لم يكتب احداً من الأساتذة خوفاً من الكسوف او الحرج علماً بأن هذه الفترة تعتبر وساماً على صدر من خاضوها وشرفاً لهم فقد دخل الجميع السجن من اجل تحقيق حياة افضل على ارض مصر الحبيبة فى ظل حكومة وطنية وزعيم وطنى بكل المقاييس الا **وهو الرئيس جمال عبد الناصر** اول حاكم مصرى صميم يحكم مصر وهو زعيم الأمة العربية ومحقق القومية العربية مهما اختلف البعض .

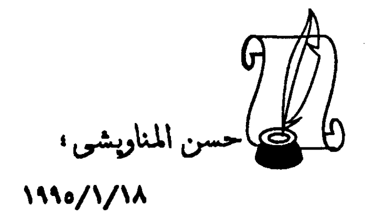
ومن اغرب ما حدث ان الحكومة الوطنية بزعامة الرئيس عبد الناصر هى التى صفت اوعملت على تصفية القوى الوطنية ومن كافة الاتجاهات وكان الاتهام بالشيوعية هو الشماعة الجاهزة لتعليق من يراد تعليقه عليها فقد ضمت الحبسة كل الشيوعيين من مؤيد ومعارض بالاضافة لأصحاب الرأى من غير الشيوعيين لدرجة ان

احد الفلاسفة قد اطلق تعبير غير مهذب على الشارع المصرى حيث قال ...

(ان حكومة الثورة قد قامت بعملية خصى سياسى لكل اصحاب الفكر على جميع المستويات) وانا لا اوافق على هذا التعبير لأن اصحاب الرأى الحر الصادق لا يمكن ان يتم خصيهم مهما كانت النتائج ولقد خرج اغلب الزملاء وهم على نفس المبدأ والثبات على نفس الفكر وها هم اصحاب الأقلام الشريفة والرأى السليم صامدون شامخون مهما صادفوا من معوقات .

لكل ما تقدم قررت ان اكتب تجربتى الذاتية عما حدث معى بالفعل مظهراً كل الحقائق والمواقف كما حدثت بدون مبالغة او افتئات على احد مظهراً كل المواقف الايجابية وغير الايجابية بغرض استخلاص الدروس المستفادة من هذه التجربة وقد كان من الممكن وقف اساليب التعذيب لو ان القيادة المسؤلة عن هذه الفترة قررت اتخاذ موقف واقصد بذلك قيادة الحركة الشيوعية المصرية التى قبلت على نفسها وعلى كوادرها ما حدث من امتهان فقد كان لبعض الزملاء الابطال مواقف عظيمة وشجاعة مثل فوزى حبشى فى الفيوم واسماعيل صبرى عبد الله فى الأوردى وعبد الخالق الشهاوى فى الواحات الذى احتضن زميلاً رقيقاً لأخذه من الظلم همت وزبانيته محتملاً الضرب المكثف ذلك بالإضافة الى زملاء اعزاء تصدوا للواء اسماعيل همت رافضين بكل شجاعة هذا الأسلوب المتخلف مع اصحاب الرأى الآخر المخالف لرأى النظام ليس فى كل المواقف ولكن فى بعضها فقط فقد وقفنا مع الرئيس جمال عبد الناصر فى كل المواقف الوطنية بدون تحديد فهذا حق بلدنا علينا من نفس المنطلق الوطنى الذى اتخذه عبد الناصر فى مواجهة سياسة الأحلاف وملء الفراغ والهيمنة الاستعمارية ورفض الاستعمار الاستيطانى الدخيل على المنطقـــة ..

هى تجربة ذاتية متواضعة اردت ان اسجلها قد تحمس بعض الأساتذة من اصحاب القلم للكتابه فهم اجدر واعظم منى فى توصيل هذه الاحداث الى الاجيال القادمة من اجل وقف اساليب التعذيب الوحشى الذى ما زال يمارس فى اغلب بلدان العالم الثالث او العالم النامى او العالم المتخلف ونحن مقبلون على القرن الحادى العشرين .



حسن المناويشى ،

١٩٩٥/١/١٨

صلاة على هامش الدفتر

الحمد لله وانا عطشان   ماشربتيش
زلال غيرك
الحمد لله وانا محروم   ماكلتش
حرام خيرك
الحمدلله وانا مظلوم   ماخبطتش
خطوط سيرك
وكنت لك عزوة وانا وحدانى
ماصغرتش
وكنت لك عنوة من قلبى
ولاكتبتيش
فرحان ومأزوم لو متهوم
مافرطتش
غريب قريب حرمتنى الهوا الطيب
ماحرمتش
اتمنى يابلدى انعس وابكى
فوق صدرك
واشم طيب عزتك واحلم
بنور فجرك
واحس مرة وانا فى أخر
مشاويرى
إنى باكمل بأخر خطوة
فى سيرى
خطوة بداية واول هام
مشاويرك

الشاعر والفنان : سمير عبد الباقى

قبيـــل الاعتقـــال

الحالة السياسية قبيل الإعتقال فى مصر بعد قيام الوحدة بين كل من مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ .

اشتد الخلاف بين القوى الوطنية على مستوى العالم العربى كله فقد اعترضت بعض هذه القوى على اسلوب القيادة المصرية فى اتمام هذه الوحدة التى كانت ومازالت تمثل الأمل كل الأمل للشعوب العربية ورأت القوى الوطنية ان حرمان الشعب فى كل من مصر وسوريا من مقوماته الديمقراطية شعب يضر بمستقبل هذه الوحدة التى يجب ان تستمر الى الأبد وكان من ابرز المعرضين لأساليب القيادة المصرية هم الشيوعيون فى مصر بأن تكون الوحدة وحدة ديمقراطية من خلال السماح لهم بحرية العمل السياسى بشكل علنى ومشروع مع حق استمرار الحزب الشيوعى السورى بقيادة خالد بكداش بدون حل كما كان قبل قيام الوحدة ولكن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر رفض بشدة تواجد أى نوع من الاحزاب فى كل من مصر وسوريا وكان لابد من اشتداد المعارضة للاسلوب الدكتاتورى وقد اشتدت ايضاً مطاردة القوى المنادية بالدمقراطية واشتدت ايضاً الرقابة البوليسية داخل الجامعات والمدارس الثانوية والمصانع وفى كافة المجالات كانت توجد عيون للمباحث العامة وفى اغلب الأحيان يكون المرشد او رجل المباحث العامة من بين العاملين انفسهم كما حدث معى .

وبرغم ما حققه النظام الوطنى المصرى بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر من مكاسب لصالح الفئات الشعبية والعمالية الا ان العناصر ذات الوعى السياسى كانت تقابل هذه الإنجازات بكل حذر .. بل ان الخوف بدأ يسيطر على العمال المصريين خاصة بعد احداث كفر الدوار فى أخر ١٩٥٢ واعدام مصطفى خميس ومحمد حسن البقرى وما شاب المحاكمة من سرعة وتنفيذ حكم الإعدام فى هذين الشهيدين .

حتى الأسرة الواحدة كانت تشعر بعدم الأمان عند اى حوار او مناقشة مما يصور الحالة التى كانت مسيطرة على الجو السياسى فى مصر على الأقل والحديث عن هذه المرحلة يحتاج الى دراسة تحليلية ولقد اردت ان أشير الى الحالة النفسية والسياسية التى كانت مسيطرة على بعض من يعملون بالسياسة أو فى مجال العمل النقابى والنشاط الطلابى داخل الجامعات وقد ظل هذا

الجو الذى شرحته حتى بدأت عملية الاعتقال لستة من قيادات الحركة الشيوعية المصرية فى شهر سبتمبر سنة ١٩٥٨ اذكر منهم المرحوم غنيم مصطفى غنيم واسماعيل عبد الحكم بكر وآخرين وبدأ الشيوعيون يتوقعون عمليات اعتقال أخرى ولم يتوانون عن المطالبة بالأفراج عن الستة المشار اليهم ولم تستجب الحكومة لنداء الحزب الشيوعى المصرى ، خاصة وان هذا الحزب بدأ يتسع نشاطة بعد ان ضم كل بل معظم التنظيمات الشيوعية فيما يسمى بوحدة الشيوعيين فى حزب واحد كبير فى يوم ٨ يناير سنة ١٩٥٨ ومن هذا اليوم ، اصبح فى مصر حزب شيوعى واحد معترف به من احزاب الدولية الثالثة التى تضم كل الاحزاب الشيوعية والاشتراكية على مستوى العالم مما زاد من سخط القيادة السياسية فى مصر وعلى رأس هذه القيادة الرئيس جمال عبد الناصر وكانت حملة يناير سنة ١٩٥٩ ثم حملة مارس فى نفس السنة وتعتبر هذه الحبسة هى اطول حبسة فى تاريخ مصر السياسى الحديث وقد مارس جهاز المباحث العامه كافة اشكال التعذيب الوحشى على اشرف رجال مصر من اساتذه ومحامين وبعض القضاه وبعض القيادات العمالية الشريفة وبعض كبار رجال الفكر والصحافة والموظفين ومنهم الشيوعى وغير الشيوعى وكان قرار القبض على الشيوعين ينص على الشيوعين ومن يتواجد معهم ساعة القبض وبذلك ضمت الحبسة عدد كبيراً من الذين ليس لهم فى الطور او فى الطحين .



الضيـــف الثقيـــل

فى صباح اليوم الثامن والعشرين من شهر مارس ١٩٥٩ الموافق ١٨شهر رمضان المعظم وفى تمام الساعة الثالثة والنصف صباحاً داخل شركة مصر للحرير الصناعى بكفر الدوار ، كنت اعمل ضمن اربعة غيرى من العاملين فى قسم صناعة خيوط النايلون ، كنا على وشك تناول وجبة السحور بعد ان قمت بتجهيز الوجبة والإنتهاء من تحضير صنية الكنافة الممزوجة بالسكر والسمن البلدى الذى احضره لنا احد الزملاء خصيصاً لهذه الليلة ، حيث كنا نحتفل فيها بزميل عريس تزوج قبل حلول الشهر الفضيل ، وعندما جلسنا الى الطعام فوجئنا **بدخول رئيس الوردية ومساعده ومعهما** ثلاثة رجال يحملون المسدسات ، يتقدمهم رجل يلبس بدلة شيك ويرتدى على رأسه طاقية صوف حتى اذنيه وقد تخطى سن الخمسين متجهم ، الوجه ، ووقفنا احتراماً للقادمين ونحن فى حالة ذهول من هول المفاجأة حيث ان الزيارات تحدث فقط فى وضح النهار اثناء مواعيد العمل الرسمية الصباحيه.

تقدم منى رئيس الوردية وقال لى ..

السيد كمال الباز مفتش المباحث العامة عاوزك !؟ ودار هذا الحوار بينى وبين هذا الضيف الثقيل ...

– **انت اسمك حسن احمد محمود دواره الشهير بالمناويشى ؟ .**

– نعم انا .

– **ما هى العلاقة بين اسم دواره واسم المناويشى ؟**

– دوارة هو اسم العائله .. إما إسم **المناويشى** فهو اسم شهرة يخص والدى .. ثم قلت له مين حضرتك ؟

– انا **كمال الباز** رئيس المباحث العامة بكفر الدوار ومعى أمر باعتقالك .. ثم قال .. هل ترغب فى الإطلاع على امر اعتقالك ؟ .. قلت لا ..

كنت اتوقع الإعتقال ولكن ليس داخل الشركة حيث كنت داخل الشركة اشعر بالأمان والدفء بين زملائى الذين احبهم من صميم قلبى .. كما ان الحياة بشكل عام فى مصر كانت تمر بتطورات سريعة جداً والرئيس **عبد الناصر** رحمه الله كان يخطب فى اليوم الواحد اكثر من ثلاث خطب

ضد الشيوعيين وضد العراق وضد الأحلاف العسكرية الاستعمارية والصهيونية وبخاصة خلف الأطلنطى ، وكان للشيوعيين موقف من الوحدة الاندماجية مع الشقيقة سوريا فقد كان هناك اكثر من تحفظ على هذه الوحدة التى كانت ومازالت تمثل امل كل شعب عربى فقد طبقت **حكومة الجمهورية العربية المتحدة** قرار منع كل **الأحزاب فى سوريا كما فى مصر** وكان **رأى الشيوعيين فى كل من مصر وسوريا** ان تكون وحدة وديمقراطية وان يكون لكل بلد خصائصه مع إطلاق حرية الأحزاب فى البلدين . وكانت هذه المواقف تخالف رأى **القيادة السياسية فى مصر** لذلك كنت اتوقع الإعتقال ولكن خارج الشركة .. **قلت لضابط المباحث** ما هو سبب الاعتقال .. ؟ قال بحدة .

– لا تسأل وسوف تعرف فى **مركز الشرطة** فوراً ثم طلبت منه ان احضر الجاكت الخاص بى من دولابى فنظر الى بحدة اكثر وهو يقول باستغراب شديد هو انت لك دولاب هنا ؟ .

– نعم لى دولاب .. وماذا فى ذلك ؟ قال ..

– وساكت ليه ؟ .

عندما فتحت الدولاب ازاحنى بطريقة حادة من امام الدولاب واخذ يفتش محتويات الدولاب وقذف بها على الأرض حتى الجاكتة القى بها بعد ان فتشها تفتيشاً دقيقاً عسى ان يجد ما يبحث عنه .. ثم وجد دفتر الحضور والغياب الخاص بالعاملين بالوردية الأولى التى كنت اعمل بها ويحتوى هذا الدفتر على اسماء العاملين وارقام السجلات لكل وظيفة قرين كل اسم .اعتقد الضابط بأن هذه الإسماء ما هى إلا اسماء الشيوعيين داخل شركة الحرير الصناعى وقال بفرح ظاهر .

– هما دول اعضاء التنظيم الشيوعى .. واين هم الآن ؟!

– قلت .. هذا الدفتر يخص العمل وهذه الاسماء هى اسماء العاملين وانا احتفظ بهذا الدفتر حتى يتم صرف المرتبات لتراجع المرتب مع ايام الحضور ثم نسلم هذا الدفتر للأرشيف ولم يقتنع بهذا الكلام وواصل حديثه عن الشبكة الشيوعيه داخل الشركة ولم يقتنع ايضاً بأن الدفتر خاص بالعاملين إلا بعد ان قام محمد سعد مساعد رئيس الوردية بأحضار دفتر مماثل خاص بشهر **مارس** الجارى والفاق بين الدفترين ان الدفتر الموجود طرفى يحمل تاريخ شهر فبراير وبه نفس الأسماء ونفس الأرقام .

وقبل ان نتحرك الى خارج مصنع خيوط النايلون كان خبر الاعتقال قد إنتشر بسرعة البرق فتجمع عمال الوردية الليلية فى بهو المدخل الرئيسى للمصنع فطلبهم مفتش المباحث ان يعود

كل واحد الى شغله . ولكن لم يتحرك احد فطلب منى ان تعود العمال باعتبارى انا المسئول عن هذا التجمهر فقلت له .. بأنهم لن يخرجوا من باب المصنع ولكن الضابط تفوه بعدة الفاظ منها كلمة يهايم لولاد .. وقرب خروجنا من باب المصنع تقدم مني محمد سعد وسألنى .

– معك نقود ؟

– مائة وخمسون قرشاً فقط ..

– خذ مائة وخمسين أخرى قد تحتاج شئ ..

وفجاة صرخ فيه الضابط وهدد باعتقاله لولا تدخل رئيس الوردية موريس اسحاق ملطفاً الموقف وقال للضابط

– لا يمكن أن تاخــذ الأستاذ محمد لأنه هو المسئول عنه ادارة هذا المصــنع . وانصرفنا الى خرج المصنع والضابط فى حالة غيظ شديد وعبارات نابية بصوت مسموع ..

وجدنا أمام باب مصنع النايلون سيارة ملاكى سوداء ركبت فى الخلف وسط اثنين من المخبرين وركب الضابط بجوار السائق وعند البوابة الرئيسية للمصانع طلب منى النزول ثم توجهت الى رئيس وردية الحراسة الليلية وطلبت منه اثبات خروجى بصحبه مفتش المباحث ودار حوار ساخن حول اثبات خروجى من البوابة بين رئيس وردية الحراسة والضابط الذى كان يرغب فى عدم تسجيل لحظة خروجى واسباب هذا الخروج وقد أصر رئيس وردية الحراسة على اثبات الحالة ولما رفض الضابط التوقيع على محضر الخروج ؟! كتب رئيس الوردية امام الواقعة رفض سيادته التوقيع .

وجدت امام البوابة الرئيسية اكثر من سيارة كبيرة محملة بعدد كبير من جنود بلوكات النظام – الأمن المركزى – يحملون الهروات والصدادات ويلبسون الخوذ الحديد وايضاً توجد سيارة بوكس فورد وقد توهمت اننى خطير جداً لدرجة تستدعى وجود هذا الجيش وبقدر ما كنت خائف بقدر ما فرحت بنفسى فقد شعرت بأننى دخلت التاريخ من اضيق الأبواب .

أمرنى الضابط بالركوب فى البوكس ولما جلست بين عدد من المخبرين وكان الظلام حالكاً سمعت صوت يقول لى باحترام .

– اهلاً يا زميل حسن ؟! .. اعترض رئيس المخبرين قائلاً ...

– ممنوع الكلام يا محمود .. فرد محمود ..

- ايه يا حضره **الصول** ؟ ثم اردف قائلاً خذ سجارة ثم اعطى باقى المخبرين سجاير وانتقل يجلس بجانبى وانا لم اتعرف عليه ولم اره قبل اليوم ولم تطل دهشتى فقد بادرنى بقوله ..

- **انا محمود عطا الله رئيس نقابه غزل كفر الدوار ...**

- صحت بفرحة اهلاً يا ابو حنفى ..

كنت اسمع عن **محمود عطا الله الذى اختاره العاملون فى شركة مصر للغزل الرفيع بكفر** الدوار وذلك بعد احداث كفر الدوار الدامية والتى اعدم بسببها **مصطفى خميس ومحمد حسن البقرى** عند اول صدام بين قيادة الثورة والعمال وكان هو ايضاً يسمع باسمى دون ان يرانى إلا فى هذه الليلة المظلمة وساعتها فقط ادركت السبب فى حشد هذه القوة من الجنود فقد كان **محمود عطا الله** هو السبب نظراً لمواقفة الشريفة وتمسكه بحقوق العاملين فقد كان محبوباً من الجميع خاصة بعد صموده امام **الشركة** عند نظر **القضية** المرفوعة ضدها امام **القضاء** بعد الاحداث الشهيرة فى مصانع كفر الدوار وكان لابد ان يتحسب رجال المباحث عند القبض على **محمود عطا الله** خاصــة وان المنطقة كانت فى حالة غليان بشكل دائم وكان **محمود عطا الله** هو رمز التحدى ولقد كان الرجل عند حسن ظن زملائه رحمه الله ولم تغره اية وعود أو وظائف من اجل ان يتنازل عن القضية المرفوعة امام القضاء .

وقفت بنا السيارة امام مكتب المباحث العامة الموجود فى دائرة المصانع وبعد ان قام الضابط باعطاء التمام بالتليفون ثم قام بعدة اتصالات ومنها اتصال بأسرته ليطمئنهم بأن المهمة تمت بسلام ومكثنا فى مكتب المباحث ما يقرب من ساعة ثم اخذنا الضابط فى نفس البوكس الى بندر شرطة كفر الدوار ووضعنا فى إسطبل الخيل بعد ان اخلاه من بعض المحجوزين وسطكم من القانورات وروث الخيول لمدة ٩٠ دقيقة تقريباً ثم حضر من قام باستلامنا من مفتش المباحث لتذهب الى سجن المركز فى دمنهور حوالى الساعة السابعه صباحاً .

كان وجود **محمود عطا الله** بسيارة البوكس عند خروجى من بوابه الحرير ومقابلتى معه له فعل السحر فقد ارتفعت روحى المعنوية وعادت ثقتى بنفسى وشعرت نحوه كما لو كنا نعرف بعض من زمن قديم وعندما سمحت لنا الرؤيا ان نتبين ملامح بعضنا وجدته رجل فى الاربعين من العمر معتل الصحة ضعيف البصر هادئ الصوت عميق التفكير حيث يتكلم بحساب ولم يكن **محمود عطا الله عضواً باى تنظيم شيوعى** وكان كل ذنبه انه أخذ **الموقف الشريف**

كرئيس نقابة فقد كانت القضية المرفوعة امام القضاء قد حدد فيها حكم ابتدائى لصالح العمال حيث حكمت لهم المحكمة بتعديل الأجر بواقع ستة مليمات فى الساعة لكل عامل على اساس المتوسط الحسابى وبذلك يحصل كل عامل على ٦ ستة مليمات مضروبة فى ثمانى ساعات مضروبة فى ثلاثين يوماً مضروبة فى ١٢٠٠٠ اثنا عشر الفاً عن مدة سابقة حتى تاريخ صدور الحكم أى بأثر رجعى .

لقد رفض محمود عطا الله كل الوعود بالترقى وكذا رفض مجرد الدخول فى أية مساومات واصبح هو العقبة الوحيدة امام ادارة الشركة وكذلك كان موقف سكرتير النقابة فايز علام ولم تجد ادارة الشركة امامها سوى الإستعانة بالمباحث العامة لإزاحة كل من رئيس النقابة وسكرتيرها فقد كانت المباحث العامة تعمل دائماً فى خدمة ادارات الشركات الثلاثة – غزل كفر الدوار – الحرير الصناعى – صباغى البيضاء فجاءت قرارات الاعتقال فرصة مناسبة للتخلص من العناصر الغير مرغوب فيها من قيادات العمال .

مكثنا فى سجن مركز دمنهور لمدة ٢٤ ساعة بالتمام حيث وصلنا فى الساعة السابعة صباحاً لنجد فى انتظارنا عدد كبير من الضباط ورجال المباحث وقد قام الجميع بتفصحنا جيداً ثم ادخلونا الزنزانة مع التوصية بعدم الإقتراب منا وقبل ان ندخل طلبنا من مأمور المركز ان نشترى بعض اللوازم من طعام وسجاير فقام بمشاورة زملائه ثم ارسل لنا من يحضر لوازمنا . وكانت فرصة لى انا ومحمود لمعرفة كل منا بالآخر وقد عرفت منه كل ما تقدم .

عند منتصف النهار فوجئنا بفتح باب الزنزانة ليدخل منه شاب فى الخامسة والعشرين من العمر يرتدى جلباب ابيض ناصع وجوارب سليفر افخم ماركة جوارب قمحى اللون يدل مظهره على انه ابن ناس .

دفعه احد الضابط الى داخل الزنزانه وهو يقول له ادخل يا ابن ... ثم اغلق الباب بسرعة وتركه معنا فنظرت الى محمود فأشار محمود الى جوارب الزبون الذى لم يتوقف لحظة واحدة عن سب وشتم عبد الناصر الظالم عدوا الشعب الخ .. ادركنا انه من رجال المباحث عسى ان يحصل منا على شئ او معلومة وعندما سألنا عن سبب وجودنا هنا اجبناه بأننا لا نعرف السبب ثم سألناه عن سبب وجوده هو ؟ فقال انه تاجر فاكهة وقبضوا عليه بتهمة مخالفة التسعيرة فقال له محمود ..

– بس لا بس شراب شيك وجلابيتك نظيفة وانا خائف تتسخ من تراب الزنزانة .. ففهم اننا فهمناه ثم طلب سيجارة فأعطيناه واحدة وبعد ساعتين تقريباً ساد فيها الصمت البليغ قام الى الباب وطلب من الحارس الذى يقف خلف الباب ان يفتح له .. ثم عاد الحارس بصحبة احد **الضباط** بالزى الرسمى فأخرج الزبون وسمعناه يقول للضابط .

– دول ولاد كلب لم ينطق واحد منهم امامى بكلمه واحدة .

كانت الاربع وعشرين ساعة فى مركز دمنهور كما لو كانت ٢٤ دقيقة نظراً لما جرى بينى وبين **محمود عطا الله** من احاديث شتى عرف كل منا صاحبه وكانت صحبته طوال الرحلة من لحظة الاعتقال حتى وصولنا الى **سجن القلعة** ممتازة ومفيدة جداً فقد تقرر ترحيلنا **الى سجن القلعة فى قطار الساعة السابعة** والنصف من صباح يوم ٢٩ مارس ١٩٥٩ وسط حراسة مشددة من مركز **الشرطة** حتى **محطة القطار** حيث بدأ **رجال الشرطة يفرقون الناس بلا سبب** مما لفت لنا الأنظار وكان بائع الجرائد الموجود داخل المحطة ينادى بأعلى صوت فيقـــول ....

– إقرأ القبض على العصابات الشيوعية فى كفر الدوار ويظهر ان بائع الجرائد كان يجامل رجال المباحث المتواجدين داخل المحطة من كل نوع وكانت جريدة الأخبار قد نشرت بالفعل فى هذا الاسبوع خبر القبض على الشيوعيين وخاصة فى كفر الدوار بالذات وكان عدد المقبوض عليهم من كفر الدوار لا يتعدى ٦ ستة افراد فقط هم :

محسن الاعصر ، فخرى فؤاد عوض وثريا ادهم وحسن المناويشى وهم جميعاً من الحرير الصناعى .

ومحمود عطا الله وفايز علام من **الغزل الرفيع** ولذلك اسمونا بالعصابات الشيوعية وكان بائع الجرائد سبباً من اسباب تجمهر الناس على الرصيف المقابل ولم يحل هذا الموقف إلا حضور **القطار المتجه إلى القاهرة .**

ركبنا فى ديوان بالدرجة الأولى وكان معنا بالديوان ضابط برتبة رائد وضابط برتبة نقيب وصول وشاويش واربعة جنود بالسلاح وعندما وصلنا الى **محطة مصر** وجدنا سيارة بوكس

وأخرى ملاكى فى انتظارنا وتوجهنا مباشرة الى معتقل القلعة ولم اتذكر أى شئ عن القلعة سوى مذبحة المماليك وبرغم ذلك كنت غير خائف من ذهابى الى **سجن القلعة** خاصة واننى لم ازورها من قبل وها هى أولى خطواتى فى دخولى باب التاريخ من اضيق ابوابه .



سجــن القلعــة

كنت مبهوراً بمنظر القلعة من الخارج من نظام الحرس والمدافع الموجوده عند المدخل ولم افق من ذهولى إلا على صوت ضابط من ضباط السجن يقول ...

– اسمك بالكامل . وبعد تسجيل اسماءنا قاموا بالتفتيش اللازم ثم اخذنا عسكرى الى احدى الزنازين وقال لنا هذا مقركما ثم اغلق علينا الباب فوجدنا شخصاً له عيون خضراء مثل قلب الخس بشعر اصفر نوعاً ما وبعد لحظات تذكرت هذا الرجل العظيم انه المهندس فاروق طوبار رئيس نقابة شركة السماد فى السويس ورئيس اتحاد النقابات الكيماوية وهو الذى ساعدنا فى اثبات ان شركة مصر للحرير الصناعى شركة كيماوية ولا تنتمى الى قطاع الغزل والنسيج ومازالت نقابة الحرير الصناعى تتبع اتحاد النقابات الكيماوية بينما الشركة نفسها تتبع مؤسسة الغزل والنسيج حتى يومنا هذا ؟ !! وسوف اعود لهذا الوضع الشاذ فيما بعد .

رحب بنا فاروق طوبار بعد ان حكينا له قصة القبض علينا بالتفصيل .. ثم علمنا منه بوجود مجموعة الحرير ما عدا عبد المحسن الأعصر الذى اودع القصر العينى حيث كان مأيزال فى حالة مرضية بعد اصابة يده وبتر ثلاثة اصابع اثناء قيامه بواجبه كمهندس مسئول فى شركة مصر للحرير الصناعى وقد تم القبض عليه فى شهر فبراير سنة ١٩٥٩ ولم يكن قد شفى بعد من اصابته هذة وموضوع الإصابة له قصة أخرى .

كان فاروق طوبار قد سبقنا الى القلعة بيومين وبدأ يعرفنا بما يحدث فى هذا السجن الرهيب فقد كان السجين فى حركة دائمة لا تهدأ ليلاً او نهاراً بين من هو قادم او مغادر الى سجون ومعتقلات اخرى فقد علمنا بأن السيدة/ ثريا ادهم ذهبت الى القناطر فى سجن النساء فقد كانت الحبسة تضم بعض الزميلات الفاضلات .

وقد علمنا أن بعض الزملاء تم ترحيلهم الى سجن الواحات وبعض الزملاء رحلوا الى معتقل قنا ثم علمنا من فاروق طوبار بوجود عدداً من الشخصيات البارزة من اساتذة الجامعات وكبار الكتاب والصحفين وكان فاروق طوبار شخصية مؤثرة جداً وله سعة افق بالسياسة والثقافة واسعة

جداً والذى عرفنى به هو **محسن الأعصر** عندما سلمناه توقيعات تثبت بأن **الحرير الصناعى شركة** كيماوية وكان هذا العمل سوف يجبر الشركة على زيادة اجور العاملين بنسبة ٥٠٪ وعلى هذا الاساس سوف تقوم الشركة بصرف وجبة ساخنة مع كيلو لبن حليب لبعض الأقسام ونصف كيلو لبعض الأقسام الاخرى حتى موظفى الادارة العامة لهم نفس الحقوق ولكن ادارة **الشركة وممثلها فى ذلك الوقت عبد الرحمن حمادة باشا** - اصر على عدم تنفيذ قرار اتحاد الكيماويات وكذا رفضت حكم المحكمة وطالبت بتعيين خبير للفصل فى النزاع القائم بين النقابة والشركة وتصادف صدور قرارات **اعتقال الشيوعيين** فتم القبض على من ذكرت سابقاً ولم يكتف رجال المباحث العامة بذلك بل اخذ رئيس نقابة الحرير الصناعي .. **حمزة محجوب** الى مكتب المباحث واظهروا له العين الحمراء وإلا وبعد ذلك لم يرشح **حمزه محجوب** نفسه مرة اخرى للنقابة وجاءوا بمن تنازل عن القضية مقابل وظيفة وشقة ومازالت **شركة الحرير تتبع مؤسسة الغزل والنقابة تتبع الكيماويات** الى الآن لكن تبقى هذه الواقعة شاهداً على موقفين نقابيين احدهما صمد امام ادارة مسنودة من المباحث فأعتقل وهو جريح (**وهو المهندس المناضل محسن الاعصر**) وآخر تنازل عن شئ لا يملكه وهو حق من حقوق العمال وعند موعد تناول الغذاء توجهنا مع **فاروق طوبار الى مجموعة الأسكندرية حيث تقابلنا مع مصطفى الحمادى وفخرى عوض وجلال حمودة وعبد اللطيف هنداوى ومحمود شاهين ودرويش مصطفى ومحمود خالد ومحمد عبد الحليم المنداوى ومحمد المليجى ومحمد زيان ومحمود الساعاتى وكمال حسام الدين وعلى المرشدى وعبده الحجار ورؤوف بسطا وفاروق بلبول وعلى صبرى فرغلى** ويؤسفنى ان الذاكرة تعانى من الشيخوخة فأرجوا المعذرة ان سقط سهواً بعض الاسماء العزيزة المناضلة وقد سيطرت على فكرة التعرف على هذا السجن الشهير من داخله فليس من رأى كمن سمع .

كان السجن من الداخل عبارة عن مستطيلين واحدا أعلى من الآخر ثلاث درجات وكل مستطيل يضم عدة زنازين لكل زنزانة باب من الخشب السميك المطعم بالحديد وآخر من القبضان الحديدية يسمح بدخول الهواء والتعامل البسيط من خلال القبضان التى على شكل اعمدة متقاطعة وسعة الزنزانة تقريباً ٢ × ٣ م٢ وكان بودى ان اصف هذا السجن الفريد من نوعه ولكن لم تطل مدة الإقامة إلا اسبوعاً واحداً لا غير وعلى كل حال فهو سجن يشبه سجون العصور الوسطى الى حد ما مع اضافة بعض العنابر الحديثة البناء وتوجد دورة مياه واحدة دائماً فى حالة زحام ومن حسن

حظنا ان هذه الابواب لم تغلق علينا إلا عند التمام بعد الساعة الخامسة مساءً

وبدأت الحياة فى القلعة تسير على النهج التالى .

بدأت كل **محافظة** تبحث عن ابنائها ابتدأت **بالاسكندرية** ثم **المنصوره** **فالقاهره الكبرى** ثم باقى المحافظات . وكان ينتابنى شعور غريب هو خليط من النكد واللهفة والسعادة الحزينة فقد كنت اتمنى ان التقى بهؤلاء الأساتذة الذين كنت اقرأ لهم او اسمع عنهم خاصة اصحاب التيارات الفكرية المتعددة وقد علمت ايضاً بأن بعض الاساتذة قد تم ترحيلهم الى **سجن الواحات** ثم اخذهم من هناك الى الاسكندرية للمحاكمة وكان منهم **الدكتور فؤاد مرسى والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وفخرى لبيب وعبد المنعم شتله ومحمود امين العالم واحد نبيل الهلالى وكمال السيد وامين شرف وعدلى جرجس وريمون دويك ويوسف درويش** وهذه المجموعة من الزملاء تمثل ما يسمى بالقضية **رقم واحد** ثم مجموعة اخرى وتسمى **بالقضية الثانية** وعلى رأس **هذه القضية المرحوم شهدى عطيه الشافعى ومبارك عبده فضل وآخرين** وكل هؤلاء الرجال الشرفاء يمثلون ضمير الأمة المصرية كانت لهفتى شديدة فى التعريف على اكبر عدد من ضيوف القلعة وبدأت اتجول منفرداً للقاء بعض الشخصيات التى طالما اشتقت الى التعرف عليها فتقابلت اول ماتقابلت مع الدكتور **لويس عوض** رحمه الله ولقد حسبته خطاءاً الأستاذ **عبد الرحمن الخميسى** حيث التبس على الشكل فانا لم ار أياً منهما من قبل فقد كنت اعرف شكلهما من صورهما التى تنشر فى الصحف، **فتقدمت من الدكتور لويس** بشكل ساذج وعبيط قائلاً له اهلاً اهلاً بالأستاذ العظيم ..

ابتسم الدكتور وتجاوب معى فى حضن طويل وطبطبة على الظهر بكل حماس فقد كنت فى حالة نشوى بلقائى مع الأستاذ الذى **اعتقدت انه عبد الرحمن الخميسى** الذى اثر فى العبدلله بعد نشر قصته الرائعة بجريدة **الاهرام** فى الخمسينات بعنوان الساق اليمنى ....

قال لى الدكتور ...

- من حضرتك ؟

- انا حسن **المناويشى** احد قراءك

- ماذا قرأت لى ؟

- قصة الساق اليمنى الرائعة .. فنظر لى بدهشة وقال لى

– انت فاكرنى مين ؟ .... قلت وانا كلى ثقة

– **الاستاذ الخميسى طبعاً** ؟ صعق الرجل ودفعنى فى صدرى دفعة قوية وقال لى غور داهيه تقرفك ... وتبدلت حالتى من النشوة الى الخجل الفظيع من فرط غباوتى ومازالت عبارات **الدكتور لويس عوض** تطن فى اذنى حتى اليوم بعد ان اسرع فى الابتعاد عنى وهو يردد خميسى فى عينك يا متخلف .. ووو هذه الغلطة جلعتنى احاذر فى اندفاعى نحو الآخرين بعد ان دست بقدمى فى طاولة العجين ولم اصحح هذا الخطأ إلا بعد مدة طويلة سوف يأتى ذكرها فيما بعد .. فقد كان درساً قاسياً تعلمت منه الكثير حتى اليوم ولقد قاومت رغبتى الشديدة فى الإقتراب من الأساتذة بنوع خاص .

تعرفت بالفنان **حسن فؤاد** رحمه الله وكذلك تعرفت على المستشار **سعيد خيال** وهما من اظرف الشخصيات التى تقابلت معهم بعين طفل حديث العهد بالحياة وكان انبهارى بالشخصيات الذين تقابلت معهم وعرفتهم لأول مرة فى حياتى شديداً ووجدت نفس مشدوداً الى الفنان **حسن فؤاد** وكنت دائماً معه فى كل تحركاته ولكنه لم يأبه ولم الفت نظره نحوى خاصة وانا كنت فى حالة استقبال من الآخرين فقد سيطرت على فكرة ان السكوت من ذهب وكان كل همى ان استوعب وافهم ما يقال من تحاليل سياسية متلاحقة حول الحبسة واسبابها خاصة وان هذه التحاليل صادرة من رجال على اعلى مستوى فكرى وثقافى فى مصر خاصة بعد ان علمت من **فاروق طوبار** بأن هاولاء الناس على ردجة عظيمة من الإختلافات السياسية لأنهم يمثلون عدة تنظيمات شيوعية مختلفة وكانت هذه المعلومة لها فى نفس وقع الصاعقة فقد كنت اعتقد بأن جميع الشيوعيين **يضمهم حزب شيوعى واحد بعد** الوحدة التى تمت بين جميع **التنظيمات والاحزاب الشيوعية فى ٨ يناير سنة ١٩٥٨ ولكن فاروق طوبار** صحح لى هذا الفهم الخاطئ وان **الحركة الشيوعية المصرية** مازالت منقسمة على نفسها برغم الوحدة المذكورة وبما اننى كنت **فى تنظيم يسمى بالحزب الشيوعى المصرى المعروف باسم الرايه** فقد كنت اعتقد بأنه هو الحزب الوحيد المعروف الذى يمثل الشيوعية فى مصر ولقد كنت مخطئاً ولم اتبين هذا الخطأ إلا عند دخولى **سجن القلعة** وقد كان **تنظيم الرايه** هو اقرب الى الصح حيث انه كان يتميز عن باقى التنظيمات الشيوعية الأخرى بعدم وجود **يهود** بين اعضائه وليس معنى هذا ان **الرايه** يأخذ موقفاً عنصرياً ضد اليهود ولكن نظراً لحساسية القضية الوطنية عموماً والعربية بشكل خاص وبذلك كان موقف تنظيم **الرايه** موقفاً صحيحاً من الناحية السياسية خاصة وان

ابناء العم من اليهود موزعين على كافة **التنظيمات الشيوعية المصرية** ماعدا تنظيم **الرايه** وقد وضح ذلك تماماً عندما تجمعنا فى **سجن الواحات** الخارجة وقد كان **لليهود** دور مؤثر فى خط سير **الحركة الشيوعية المصرية** وكان من اخطاء **ستالين** شخصياً **الإعتراف بدولة اسرائيل عام ١٩٤٧** فقد كانت القيادة الستالينية تعلم بأن اسرائيل كيان استعمارى دخيل على المنطقة وانا لست متعصباً ضد **اليهود** كدين ولكننى رافضاً لسياسة **اليهود فى الوطن العربى** وكانت مقولة **ستالين** المعروفة بأن **قرار التقسيم** هو افضل الحلول السيئة بالنسبة للعرب **خاطئه ايضاً** .

وعلمت ايضاً من **فاروق طوبار** بأنه يوجد بعض المستقلين المتعاطفين مع الفكر الاشتراكى واصحاب مذهب الحرية للجميع او المعروفين باصحاب الفكر الليبرالى وانصار جماعة السلام وكان من ضمن كبار الكتاب مفكر معروف من قيادات الحركة الشيوعية المصرية الذين لهم شهرة خارج مصر لم يحتمل يوماً واحداً فى القلعة فقد طلب وبالحاح من قائد سجن القلعة توصيله **بجمال عبد الناصر** شخصياً وقد وافق رجال المباحث على طلب الأستاذ وبالفعل ثم ترحيله بعد ليلة ولم يعد الى المعتقل مرة اخرى حتى رحل رجل عن عالمنا وكانت هذه الواقعة حديث المعتقلين ولم يقلع عنها المعتقلين إلا بعد ان تكونت جمعيتان الأولى بقيادة **حسن فؤاد** باسم **جمعية التفاؤل** والأخرى **بقيادة سعيد خيال** باسم **جمعية التشاؤم** وبسرعة البرق كان لكل جمعية انصارها وهم من كبار المثقين ووجدت نفسى في حيرة شديدة بين الجمعتين فانا حديث العهد بالسجون والمعتقلات وليست لى أبة خبرة تسمح لى بالإختيار وكنت من الناحية العاطفية أقرب الى **جمعية التفاؤل** ولكن من الناحية الفكرية كنت اقرب الى **جمعية التشاؤم** ولم احدد موقفى منهما حتى اليوم ولكننى حرصت على حضور اجتماعات الجمعيتين لمعرفة الخط الفكرى لكل منهما واهم ما افادنى فى حضور هذه الإجتماعات المناقشات الحادة التى كانت تثار بين اساتذة كبار وكانت **جمعية التفاؤل** تقول بأن الحبسة لن تطول اكثر من ثلاثة اشهر فقط وذلك بسبب الموقف الوطنى بقيادة **جمال عبد الناصر** خاصة من موضوع **الأحلاف العسكرية** المعادية للقومية العربية ولابد من تحالف القوى الوطنية ضد هذه الأحلاف وضد الرجعية لذلك سوف يتم الإفراج عنا فى خلال ثلاثة اشهر على الأكثر ..

وكانت **جمعية التشاؤم** على العكس تماماً فقد كانت تقول بأن الحبسة طويلة جداً وغير محددة المعالم نظراً لموقف النظام **بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر من الثورة**

العراقية وانحياز الحزب الشيوعين العراقى للرئيس عبد الكريم قاسم وتعاطف بعض الناس فى كل من سوريا ومصر والأراض المحتلة الى جانب العراق وما من يوم يمر إلا وتحدث الرئيس عبد الناصر وهاجم الاتحاد السوفيتي واتهم جميع الشيوعين بالعمالة لروسيا السوفيتية وكل هذا لا ينفى ان الرئيس عبد الناصر زعيماً وطنياً معادياً للإستعمار ولكنه فى نفس الوقت يحارب الشيوعية على مستوى الوطن العربى كله وكانت جمعية التشاءوم ترى ان هذا الوضع السياسى المتناقض يوحى بأن الحبسة طويلة وان النظام يعادى أى شكل من أشكال الديمقراطية .

وكانت كل جمعية تعرض افكارها وتحليلاتها عند الغروب كل مساء بالتناوب يوم للتفاؤل ويوم للتشاؤم وانا اعرض هنا فكرا الجمعيتين نظراً لجدية الموضوع فقد كانت المناقشات تأخذ طابع الجد وكانت المناقشات فى الجمعيتين ديمقراطية تماماً حتى لمن كان خارج الجمعيتين ورغم اخلاء سجن القلعة فى نهاية الأسبوع إلا ان الجمعيتين ظلتا قائمتان طوال مدة الحبسة التى استمرت اكثر من خمس سنوات حتى يوم الافراج فى ١٩٦٤/٤/٤ .

وكانت جمعية التفاؤل تنتظر يوم ٢٣ يوليو بفارغ الصبر على أمل ان يتم الإفراج عنا وقال حسن فؤاد رئيس التفاءول رداً على المتشائمين قولته التى صارت مثلاً بعد ذلك (لا بد من يوليو) وبدأت كل جمعية سلسلة محاضرات تحدث فيها اعظم الأساتذة عن الديمقراطية وكان الدكتور لويس عوض هو اكثر المتحدثين وكنت انا من اسعد الناس بهذه المحاضرات وبسماع هذه المحاضرات فقد كنت لا اعلم عن الديمقراطية سوى اسمها فقط كما كنت اجهل اصل الكلمة وتطور مفهومها وها هى الفرصة جاءت الى كى اتعلم وافهم معنى الديمقراطية تلك الكلمة التى هلك الملايين فى سبيلها بل قيل فيها الكثير واهم ما قيل من احد الفلاسفة (ايتها الديمقراطية كم من المذابح ارتكبت باسمك) .

ذهبت الى العنبر الذى فيه الدكتور لويس لسماع أول محاضرة داخل السجن من اعظم استاذ للفلسفة عن الآداب اللاتينية ولحنى الدكتور لويس اجلس فى آخر العنبر جالساً بين الجالسين فتوقف قبل ان يبدأ وقال بشكل قاطع للأستاذ حسن فؤاد .

– لن اتحدث الى كل من هب ودب وسوف اتحدث الى الجامعين فقط وممنوع وجود غير الجامعيين فى كل محاضراتى لا دبلوم ولا ثانوى وعلى الباقين مغادرة المحاضرة فوراً .

كان حسن فؤاد فى غاية الحرج من موقف الدكتور المتشدد وقد إنتابنى شعور بأننى المقصود نظراً للخطأ الذى وقعت فيه عند اول لقاء لى مع الدكتور لويس .. ولكن وضح بعد ذلك ان هذا هو موقف الدكتور مع الجميع واكد هذا الكلام ابو ضيف عبد الجليل رحمه الله . واستمر موقف الدكتور حتى فى معتقل الفيوم وكان يقسم المعتقلين الى متعلمين وانصاف متعلمين وغير متعلمين رحم الله الدكتور لويس وبرغم قصر مدة الإقامة فى سجن القلعة إلا اننى قد استفدت وتعلمت الكثير ولم اشعر بالملل ولا بمرور الوقت فقد كانت لا تمر ساعة واحدة بدون مناقشة او محاضرة أو تحليل او خبر وارد مع القادمين الى المعتقل فقد كان سجن القلعة هو المحطة الأولى لكل من اعتقل ابتداءً من ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٥٨ حتى تصفية المعتقلات بعد عدة سنـــوات .

وكانت جمعيتا التفاؤل والتشاؤم لهما الفضل فى شغل الناس بالمحاضرات والندوات المختلفة حتى فوجئ الجميع ذات مساء باحد الضباط يقول لنا استعدوا سوف تغادرون القلعة بعد ان يتم قيد اسماؤكم بعد قليل بواسطة رجال المباحث العامة . وحاول البعض ان يعرف من الضابط الى اين .. دون جدوى حيث قال

- انا نفس لا اعرف الى اين ؟!

بعد حديث الضابط دب النشاط فى جمعية التفاؤل وتوقع عدد كبير بأنه بادرة إفراج بل بداية مرحله جديدة من الديمقراطية على مستوى مصر كلها .. وبنفس السرعة اعلنت جمعية التشاؤم ان الأمور سوف تسوء عما نحن فيه وفجأة استقال عدداً من جمعية التشاؤم وانضموا الى الجمعية الأخرى وشعر سعيد خيال بأنه اصبح اقليه ولكنه قال - سوف نرى ماذا سوف يحدث فسألته قائلاً له .. تفتكرا الى اين يا سيادة المستشار سكت برهة ثم قال - اعتقد الى السجن الحربى - ثم قال مره اخرى .

- فى احسن الاحوال الى جبل الطور او معتقل قنا وشعرت بانقباض شديد بعد سماعى رأى اعظم متشائم فى مصر وكدت انضم الى التفاؤل لولا احساس داخلى بأن موعد الإفراج لم يحن بعد . وان الحملة على الشيوعيين فى مصر والعالم العربى لم تهدأ بل زادت عن ذى قبل... ثم قال لى المستشار .

- اغلب الظن بأن المعاملة سوف تكون وحشية فى المعتقل او السجن الجديد - ولما سألته أى

سجن تقصد ؟ قال ..

– لا تتعجل الأمور سوف نرى وعليك من الآن ان تتعلم الصبر وكان دائماً يشير الى مجموعة قنا ومنهم الزملاء غنيم مصطفى واسماعيل عبد الحكم وابراهيم حسن وسمير كامل الذين اعتقلوا فى شهر سبتمبر سنة ١٩٥٨ أى قبل حملة يناير بثلاثة اشهر وكانو قد رحلوا الى معتقل قنا ولم يمض وقت طويل حتى بدأ النداء بالأحرف الابجدية على الأسماء وكان نصيبى فى احد ضباط المباحث العامه واسمه قنديل الذى سألنى عن اسمى حتى الجد الخامس ثم قال لى .

– انت شيوعى يا حسن ؟ قلت له .

– ابداً من قال هذا ؟ قال .

– تقارير المباحث تقول ذلك قلت له .

– مش صحيح . قال بحدة – فز قوم من هنا .

كان المستشار سعيد خيال هو الذى حذرنى من الاعتراف بأى تهمة توجه الى حيث قال لـــى .

– ان الاعتراف هو سيد الأدلة فخذ حذرك من ردك وانت تتحدث فلا توقع نفسك بنفسك واعتقد ان الجميع اجابوا بنفس اجابتى على الضابط قنديل وغيره من رجال المباحث وكثيراً من الزملاء تحول الى المحاكمة لمجرد انه قال بأنه شيوعى فالقوانين فى مصر تجرم هذا الفكر .

لم يفوتنى ان اذهب الى العنبر المغلق فى سجن القلعة الذى تمت فيه مذبحة المماليك الشهيرة والمكان الذى قفز منه مراد بك بالحصان من فوق القلعة .



الحجلة الأولى ورحلة الى المجهول

كنا فى الأسبوع الأول من شهر ابريل سنة ١٩٥٩ وبدأت **ادارة سجن القلعة** تحثنا على الإستعداد والرحيل وكنت وانا فى فقد تعرفت على كثير من الناس الأفاضل واخشى ان لا نتلقى مره اخرى فقد انتقل التشاؤم الى نفسى وكان **فاروق طوبار** و**محمود عطا الله** من اقرب الناس الى نفسى واخشى فراقهما واكثر ما حز فى نفسى ما علمته عن **إيداع محسن الأعصر مستشفى القصر العينى** بعد القبض عليه عقب خروجه من **مستشفى المواساة بالأسكندرية** التى كان يعالج بها من الإصابة التى تعرض لها اثناء تجهيزه لما كينه الألياف الصناعية داخل شركة **الحرير الصناعى** فى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٨ فقد تعطلت سكينه قطع الالياف وكان محسن هو المدير المسؤل فى تلك الليلة ولما عجز المسؤل الفنى عن تشغيل السكينة قام محسن باصلاح العيب بنفسه حتى لا يتعطل الإنتاج واثناء قيامه بالاصلاح قام احد العمال بدون قصد بادراة مفتاح تشغيل السكينة مما تسبب فى قطع ثلاثة اصابع من اليد اليسرى .. وعندما خرج محسن من المواساه حضر فى زيادة للشركة ولم تشف جراحه بعد وعندما علمت المباحث بوجودة فى الشركة قبضت عليه ورحلته فوراً الى القاهرة .

ولم يشفع **لمحسن الاعصر** انه من اسرة قدمت شهيداً للحركة الوطنية المصرية هو الشهيد **عباس سليمان الأعصر** ضمن شهداء الحركه الوطنيه لمقاومه المستعمر الانجليزى ١٩٥٢ .

صرحت ادارة **سجن القلعة** ان تقدم العشاء قبيل الترحيل بقليل وهذا العشاء عبارة عن قمع حلاوة طحينية وثلاثة ارغفة من الخبز الافرنجي الابيض ولا يوجد شئ أخر غير ذلك وبدأ الاستعداد للرحيل بعد ان حضر عدد من السيارات ذات الحجم الكبير المخصصة لنقل الجنود وكنا قد فرغنا من تناول العشاء المذكور وبدأ الضباط ينادون من كشوفات كل كشف به ثلاثين فرداً تضمهم **حجلة** واحدة وفى أخر **الحجلة** عسكرى مربوط بقفل مع كل حجلة . **والحجلة** هى عبارة عن مجموعة **كلبشات كل كلبش** به حلقتين يضم فردين معاً يمر من بينهما **جنزير** حديد بطول ١٥متر تقريباً بحيث يجمع الثلاثين فرداً متجاورين وهذه الحجلة هى اسوء انواع الكلبشات ولا تليق **بالحيوانات** نظراً لبشاعتها ناهيك عن البشر .. وأى بشر ؟ **انهم ضمير مصر** .

تجمع المعتقلون فى حوش **القلعة** كل ثلاثين فى حِجْلة (بكسر الجيم) حتى الساعة

العاشرة مساء يوم ٦ ابريل سنة ١٩٥٩ وكانت السيارات تدخل واحدة بعد الأخرى لتأخذ حمولتها من خبرة رجال مصر الى حيث لا يعرف احد وبعد اكتمال الحمولة تقف السيارات خارج القلعة وسط حراسة شديدة على غير العادة .

وبصعوبة شديدة جداً تمكنا من الجلوس داخل السيارة وبعد ركوب جميع الزملاء تحرك الركب تصاحبه اعداد كبيرة من سيارات الحراسة باحدث الأسلحة وبين كل سيارة من سيرات الحراسة توجد سيارة ملاكى بها بعض كبار **ضباط المباحث العامة** وكانت رحلة الى المجهول بين التفاؤل والتشاؤم .



معتقل العزب بالفيوم

عندما تجاوزت السيارات ميدان التحرير فى اتجاه محافظة الجيزة كثرت التخمينات حول اتجاه الرحلة خاصة بعد ان تجاوزنا ديوان محافظة الجيزة وتوقع البعض بأننا فى طريقنا الى الأسكندرية للمحاكمة ولكن عندما دخلنا فى طريق الفيوم بجوار الاهرامات خيم الصمت على الجميع بل ان البعض توقع اسوأ الاحتمالات خاصةً وان قيادة الركب المهول كانت تتوقف بعد عدة كيلو مترات لأعطاء التمام عن سير الركب الذى يبلغ طوله مسافات طويلة وقد وضح للجميع اننا متجهين الى احد المعتقلات الحديثه فى صحراء مصر الغربية وبعد رحلة طويلة مغلفة بالأرهاب النفسى من حركات رجال المباحث طوال الرحله من السير ثم الوقوف حتى قرب الفجر عندما دخلنا مدينة الفيوم التى تغط فى نوم عميق وخلو الشوارع تماماً من البشر ايقنا اننا سوف نستقر فى مدينة الفيوم ولم يطل بنا الأمر فقد توقفت السيارات امام احد المعسكرات ذات الطابع الانجليزى تحيط به من كل جانب الأسلاك الشائكة المزدوجة العالية وعلى كل ناحية للمعسكر يوجد برج الحراسة المدعوم بالأنوار الكاشفة مع احدث المدافع الرشاشة وتوقفت جميع السيارات ولم ينزل منها احد وظل هذا الوضع الممل اكثر من ثلاثة ساعات حتى حضر رجال ادارة المعسكر فى حوالى الساعة الثامنة صباحاً وهم مجموعة من الضابط والصولات وجنود الدرجة الأولى بالإضافة الى العساكر المجندين ولقد تلقفنا بعض الأسماء عرفنا منهم قائد المعتقل المقدم أحمد منير غالى والضابط ملازم اول حمدى والضابط ملازم ثان محمد حلمى العيسوى والصول همام والصول عبد العظيم والشاويش محمد غطاس .

بدأنا النزول لندخل الى المعتقل الجديد حجلة حجلة وكان من حظى ان ادخل العنبر رقم ٥ .

ادخلونا العنابر ولم يفكوا من ايدينا هذه الكلبشات اللعينة المسماه بالحجلة وساد التشاؤم بين الزملاء من هذه المقابلة التى لا تطمئن خاصةً وان العنابر كانت فى منتهى القرف والقذارة ورائحتها كريهة لدرجة العفن .

وكانت العنابر على شكل مستطيل بطول ثلاثين متراً تقريباً وله سقف على شكل جمالون خشبى والحوائط بالطوب الأحمر وبكل عنبر عشرة شبابيك تشبه شبابيك المنازل وهى عبارة عن شيش خشبى بدون زجاج مدعم بأسياخ الحديد ويستطيع المرء ان يرى منها كل شئ بوضوح .

ولقد علمنا ان **هذا المعسكر** كان يخص **الانجليز** عندما كانوا فى **مدينة الفيوم** ثم حوله **الرئيس عبد الناصر** الى معسكر **اعتقال لتجار المخدرات** ثم تم اخلائه لكى يستقبل المعتقلين من اصحاب الرأى والفكر بدلاً **من تجار المخدرات** ولست ادرى لماذا ذكرنى هذا المعتقل **بمعسكرات بوخنافلد** حيث الاحذية الثقيلة والمدافع الرشاشة والغريب ان كل الذين تقابلت ومعهم ليس فيهم واحد يستحق كل هذا الإهتمام العسكرى فالجميع فى منتهى الطيبة ولم يحمل احداً منهم مطواه طول حياته فلما كان كل هذا الاستعدادا كما لوكنا اسرى حرب ؟ ! .

تركونا فى **الحجلات** اكثر من ساعة دون أى اهتمام بحالتنا التى ساءت نتيجة طول الرحلة وقد بدأت **الحلاوة والعيش الفينو** يعملا فعلهما داخل **الإمعاء** وبدأت بوادر المغص المعوى تظهر على البعض ومنهم العبد لله واصبح الوضع غير محتمل بالمرة واكثرا لزملاء جدد بالنسبة لى ولم اعرف منهم إلا القليل وقررت ان أنادى على احداً من رجال الإدارة للتفاهم معه بشأن الحالة السيئة التى نحن فيها .

توجهت الى اقرب شباك فى اتجاه الإدارة **فوجدت قائد المعتقل** يقف بين ضباطه وعساكره وصولاته فناديت بصوت عال .

– **انت يا صول ياللى هناك** ثم كررت النداء اكثر من مرة **فقال الصول عبد العظيــم** .

– عاوز **ايه يا مجرم ياللى بتنادى** ؟

– عاوز القائد . حضر **الشاويش غطاس** وقال

– مين عاوز القائد ؟ قلت له – انا فقال القائد شخصياً بشئ من التهكم .. قلت – نعم .. ذهب وجاء **الصول عبد العظيم** وفتح باب العنبر وقال اين اللى عاوز القائد ؟ تقدت منه وقلت له انا ففك يدى من الحجلة وكذا الباقين وذهبنا الى القائد الذى بادرنى بقوله .

– عاوز ايه ؟

– عاوز اذهب الى دورة المياه حيث اننا فى **كلبشات الحجلة** مدة طويلة ولم نذهب الى دورة مياه ولا يوجد بالعنبر دورة مياه ولا حتى **جرادل للتبول** .

طلب القائد من الصول عبد العظيم ان يصحبنى الى دورة المياه لمدة خمس دقائق فقط .

كانت دورة المياه على نفس النمط الموجود فى **معسكرات العمل** عبارة دروة بالصاج به ثلاثة مراحيض بكل منها **دش وحنفية** فخلعت كل ملابسى وأخذت **الحمام** الذى اعاد الى نشاطى مرة أخرى وخلال هذه المدة البسيطة لم يتوقف الصول عن حثى على الخروج خوفاً من صرامة القائد . وعقب خروجى طلبت من **الصول** ان نذهب الى القائد مرة اخرى ولما وجدنى مصرا اخذنى الى **القائد** مره اخرى حيث قلت له .

– ارجو من سيادتك ان تسمح لزملائى فى **العنبر** بالتوجه الى دورة المياه حيث انهم يعانون من نفس حالتى وقد مضى علينا فى الحجله اكثر من اثنا عشر ساعة وكل المطلوب دقائق معدودة فقال تكلم عن نفسك فقط ثم أمر عبد **العظيم** بفتح كل عنبر لمدة **خمس دقائق فقط** . فقال **الشاويش غطاس** .

– يظهر يا بيه انه الزعيم بتاعهم .. فقال القائد لى ..

– انت بأه الزعيم هنا ؟ قلت له

– انا مش زعيم .. انا فقط اطلب منك ان تسمح لنا بالذهاب الى دورة المياة ونحن فى طريقنا الى العنبر سألت **الصول** عبد **العظيم** عن اسماء الضباط فقال لى .

– القصير هو الملازم اول حمدى والطويل الأبيض هو محمد حلمى العيسوى ملازم ثان والشاويش غطاس وانا والصول همام حضرنا من مدرية امن الفيوم خصيصاً لكم وقد اوصونا بكم فقلت له – خيراً ام شراً – فقال الله اعلم وكان **الشاويش غطاس** يمشى خلفنا مباشرة يتسمع الحديث والشر ظاهراً على وجهه .

وعند باب العنبر قال لى عبد **العظيم** .

– انا مبسوط منك لأنك اقنعت القائد بفتح العنابر بس خذ بالك من نفسك وكن فى حالك يا .. قلت له **حسن ثم** اقتربنا من العنبر ودخل الصولوغطاس ووقف جميع الزملاء لمعرفة ما تم قال لهم الصول عبد العظيم ..

– زميلكم ده .. راجل جدع اقنع القائد بفتح **العنابر** لمدة خمس **دقائق** تذهبون فيها الى دورة المياه ثم انطلق الجميع كما البرق الى الحمامات فى الوقت المناسب .

عاد الجميع وهم فى غاية الإنتعاش ثم احتضنى **الفنان** حسن **فؤاد** وهو يقول بصوته

السبق ..

— هكذا الديكتاتورية دائماً سباقين الى المواقف الثورية وبعد الصدام واستعادة التوازن من جراء الصدمة وعقابها بدأت التعرف على الزملاء الذين لم يسبق لى معرفتهم من قبل وكان لى شرف التعرف على كل من الاساتذه العظام فليب زكى جلاب واسماعيل جبر وابراهيم العطار واحمد طه وابو ضيف عبد الجليل وأحمد عرابى وجلال عبد الحميد وانور العطار وجورج فؤاد جرجس وعم حافظ وعادل حسونه وأحمد السيد الشهير بأحمد الطيم والدكتور عبد الرازق حسن وسليمان القائمقام وجلال حمودة ومصطفى الصادى ومحمود عبد الخالق عباس المحامى وممدوح الفكهانى وكان من اول ما قمنا به نظافة العنبر من روث الخراف التى كان تجار المخدرات يربونها داخل العنابر وقمنا بوضع البطاطين فى الشمس للتخلص من كميات القمل الزاحفة والبق التى يسكن الالواح الخشبية الخاصة بالسراير الحديدية بعرض ٦٠ سم فقط واصبحت الحياه داخل العنبر محتملة بعد نظافته وكنا ضيوفاً رغم اتوقنا على معتقل العزب بالفيوم .

نشطت من جديد جمعية التفاؤل فقد كان معنا فى العنبر بعض الزملاء الذين سبق لهم الاعتقال وكان منهم من يتذكر ايام ما قبل الثورة حيث يصرف لكل معتقل خمسة جنيهات شهرياً حتى سنة ١٩٥٦ بالإضافة إلى علبة سجاير واحضار الطعام من احد المطاعم المعروفة كان هذا فى عهد الملكية واستمر هذا النظام حتى آخر حبسة للشيوعيين فى عام ١٩٥٦ ويتوقع بعض هؤلاء اصحاب التفاؤل ان الطعام سوف يأت من اوبرج الفيوم وسوف نأكل سمك من بحيرة قارون ولم يعلق احداً من اعضاء التشاؤم على هذا الكلام ولم يشغلنى هذا الكلام عن شئ الفت نظرى وهو هذا الكم من الجنود الأشداء فى مواجهة رجال لا يملكون سوى سلاحاً واحداً هو سلاح الكلمة والكلمة فقط .

لم اكن اعرف ان مدينة الفيوم بهذا الجمال فهى المره الأولى التى ازورها مكبلاً واقد رأيت الخضرة على بعد اقل من كيلو متر واحد من نافذة العنبر وكان بجوار المعتقل يوجد قبر القديس كالفورى بين الحقول الجميلة وقد رأيت الفلاحين وهم ذاهبون الى حقولهم فى الصباح بملابسهم ذات الوان الجميلة ..

وبدأت الحياه تأخذ سيرها الطبيعى بعد ان حضر الينا رجل من الفيوم قصير القامة يتحدث

بلهجة لاهى صعيدية ولا هى مصراوية ولا هى من الوجه البحرى وانما هى خليط من كل هذه اللهجات .. اسمه المعلم حسين وهو متعهد توريد الطعام لنا يومياً مما يؤكد دوام الإقامة فى هذا العزب بالفيوم وقد تم صرف قطعة صابون خضراء تزن ٤٠٠ جرام تقريباً لكل زميل لزوم النظافة وعندما تسلمها الفنان حسن فؤاد بحث عن عود حطب فى حجم عود الكبريت ليصنع منها اجمل تمثال لوجه فلاحة مصرية مازالت احتفظ به فى منزلى حتى اليوم وبعد ان قام بصبه بالجبس عندما ذهبنا الى الواحات كما عمل عدة تماثيل من نفس هذا التمثال الجميل وهو الذكرى العظيمة من فنان عظيم له فى قلبى وفى نفس اعظم الحب والتقدير .

وكان اهم شئ فكر فيه الزملاء هو تكوين لجنة لادارة الحياة العامة داخل العنبر وكان اول الداعين لهذه الفكره هم اصاحب الخبرة والمعرفة بحياة السجون والمعتقلات ولأول من اكتشف بأننا اكثر من اتجاه فى السياسة والتنظيم وقد ذهلت فى اول الأمر ثم بدأت اتعايش مع الواقع داخل العنبر .

وكان محمود السعدنى من الذين تعرفت عليهم فى الفيوم ولقد لفت نظرى نحوه من شدة حدة الغاظه ونكاته الغير عادية ولفت نظرى اكثر عند مناقشة فكرة الحياة العامة وتعرفت ايضاً على اديب ديمترى وابراهيم مرسى وكان الدكتور عبد الرازق حسن هو الذى يدير المناقشة ومعه حسن فؤاد وفليب جلاب واسماعيل جبر وأحمد طه وبدأت تظهر التصرفات الحزبية الرافضة لحياة عامة واحدة داخل العنبر وبدأ كل تنظيم يستشير قيادته فى دخول الحياة العامة من عدمه ولم يحسم الموقف إلا بعد ان اقترح الدكتور عبد الرازق حسن ان تكون المشاركة بنسبة ٥٠٪ بدلاً من ٨٠٪ وذلك ما وافق عليه الجميع بعد اخذ رأى قيادته ولقد كان لحسن فؤاد الفضل الأول فى هذا الانجاز فهو الذى اقنع الجميع بضرورة قيام حياة عامة واحدة داخل العنبر بصرف النظر عن الموقف السياسى لكل تنظيم . وقد كان للمرحوم ابراهيم العطار ولإسماعيل جبر نفس الموقف .

بدأت لجنة الحياة تتولى التعامل مع الإدارة والمتعهد وقد استطاع الدكتور عبد الرازق ان يقنع المعلم حسين الفيومى باستبدال صفيحة جبنة بيضا بدلاً من رغيفين من الخبز على اساس تسلم ثلاثة ارغفة بدلاً من خمسة على اساس تعويض الفارق فى سعر الجبنة من دخل الحياة العامة وكان بجانب صفيحة الجبنة الأبيض بلاص عسل اسود ذلك بخلاف الوجبة

الرئيسية عند الظهر وكانت الوجبة مكونة من أى نوع مطبوخ من الخضار لا يزيد نصيب كل فرد عن ثلاث ملاعق لاغير مع قطعة من اللحم ٢سم × ٢ سم بدون مبالغة ولولا وجود الحياة العامة لهلكنا من الجوع وقد ساعد على تواصل الحياة داخل هذا المعتقل البغيض أن لجنة الحياة العامة كانت تستكمل النقص الغذائى بشراء مايلزمنا من الكنتين التى تقرر فتحه بالمعتقل بعد الحاح من جانبنا وكنا نتبادل الخبرات والمعلومات مع باقى العنابر حتى تكون المواقف متجانسه على مستوى المعتقل كله وقد حصل .

وكانت اخطر مشكلة تواجه لجنة الحياة العامة هو أن بعض الزملاء من محبى السجاير بداوا يثيرون مشاكل حول أيهما اهم السجاير ام الغذاء ؟!

وكان لأحد الزملاء غير الحزبيين موقفاً ذاتياً فقد دخل الحياة العامة من اجل الحصول على السجاير المخصصه المقررة يومياً وعندما وصلته حواله بريدية بمبلغ خمسة جنيهات قرر الإنفصال عن الحياة العامه وقال مبرراً هذا التصرف ..

– انا رجل صحفى غير حزبى وارتباطى بالحياة العامة يؤكد المباحث التى من اعضاء الحزب الشيوعى وهذا شرف لا ادعيه .. لذلك انا خارج الحياة العامة بدون زعل واصر على موقفه هذا حتى نفذت نقوده من الكنتين فعاد يطلب من حسن فؤاد ان يتوسط له فى دخول الحياة العامه مرة اخرى وكان حسن فؤاد هو الوحيد الذى يملك توبيخ هذا الزميل ولكنه كان يحبه نظراً لخفة دم المتكور الشقى .. وعندما اجتمعت الجمعية العمومية العنبر فى المساء تم عرض عودة الزميل المشاركة مرة أخرى فى الحياة مع صرف النسبة المقررة من السجاير له ولكن أغلب الزملاء اعترضوا على دخول الزميل ولكن الزميل ناضل نضال الأبطال من اجل العودة ثم قال مخاطباً كل من فى العنبر ..

– انكم تعلمون اننى بورجوازى معفن وانتم قادة عظام ترغبون فى الوصول السلطة .. فكيف تعاملون بورجوازى صغير مثلى هذه المعاملة القاسية !! –

ضحك الجميع وعاد الزميل وحصل على السجاير حتى جاءته حواله أخرى فقرر الانفصال من اخرى وحدث هذا عدة مرات طوال الأشهر الثمانية وهى مدة اقامتنا فى الفيوم وعلى كل حال لم يسلم الزملاء من لسان الزميل الساخر ورغم كل ذلك كان موضع حب وتقدير من الجميع .

لاشك ان فكرة الحياة العامة داخل السجون والمعتقلات فكرة رائعة وانسانية فقد كان عدداً من الزملاء ليس لهم دخل يذكر مثل العبد لله ولم يشعر احداً من معدومى الدخل بأى حرج والفضل فى ذلك يعود الى الزملاء القادرين على تغطية مصاريف الحياة العامة حيث كانوا يطلبون من اسرهم زيادة المرسل من النقود وبذلك استمرت الحياة وعنبر رقم ٥ متماسكا حتى مساء ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٩ .

كنا نجلس فى كل ليلة على هيئة جمعية عمومية لمناقشة ما تحصل عليه من اخبار او معلومات ثم مناقشة ماقد يحدث أو يستجد من مواقف وبدأ **فليب جلاب** فى عمل مجموعة مفتوحة من جميع الزملاء الراغبين فيما يسمى بمدرسة الكادر السياسى وقد لخص لنا قصة المناضل **البرازيلى كارلوس برستوس** المعروف باسم **فارس الأمل** وهى قصة نضالية رائعة ثم القاء عدة محاضرات ثقافية وبالذات فى مجال الاعلام والصحافة وصحافة الإثارة مثل الجرائد التى تقلب الاخبار فتقول مثلاً ..

– **رجل عض كلب .. بدلاً من كلب عضه رجل** – مما يجبر المرء على قراءة الخبر ويخرج من الموضوع بدون أية دروس مستفاة من الخبر المثير . ثم القى الدكتور **عبد الرازق** عدة محاضرات اقتصادية رائعة وحدثنا **حسن فؤاد عن الفن المصرى قديماً** وحديثاً ثم طلب من كل زميل ان يقول تجربته فى الحياة مهما كانت بسيطة وان يحكى عن اهم المواقف فى حياته وحدثنا **احمد طه** عن تجربته النقابية اثناء عمله فى شركة **ماركونى** ومحاولة سفره الى الخارج لتمثيل عمال **مصر** فى احد المؤتمرات الدولية ثم تحدث كل زميل بما عنده من تجربة او من معلومات وكان لهذا الأسلوب المبتكر اعظم الأثر فى رفع مستوى وعى العبد لله ويرجع الفضل فى ذلك الى **المناضل البطل فيلب زكى جلاب** .

كان كل من حسن فؤاد والدكتور عبد الرازق الفضل فى لم الخلافات السياسية التى ترد الينا حيث كان ابرز الخلافات تحدث بين اعضاء **الحزب الشيوعى المصرى** وبين تنظيم **حدتو** وخاصة عندما سربت لنا المباحث جريدة الأخبار ثم الاهرام لنقرأ فيهما **حديث الرئيس جمال عبد الناصر لصحفى هندى اسمه كارنجيا** حول مستقبل الحياة السياسية فى مصر وموقف النظام من قضية الديموقراطية والإفراج عن المعتقلين . ولقد فسر كل حزب حديث **كارنجيا** حسب رؤيته وبما **ان حسن فؤاد هو صاحب جمعية التفاؤل** ويعمل

هو أيضا بالصحافة فكان الجميع ينتظر رده على ما جاء بحديث **كارنجيا الهندى** . والمرة الأولى يقول **حسن فؤاد تعقيباً مؤداه** ان الحبسة قد تطول شوية ولكن اطالة الحبسة لا تفقدنا الأمل فى الخروج من هذا الجحيم الذى يتنافى مع ابسط حقوق الإنسان .

وكان لابد للحياة ان تستمر داخل المعتقل **والعنابر المغلقة لمدة ٢٣ ساعة فى اليوم** واستطعت ان اكون فريق لكرة الشراب التى صنعتها من بقايا البطاطين وكون **محمود السعدنى** فريق اسمه **فريق المعزة مقابل فريق الأسد المرعب** و كنا نستغل ساعة الخروج فى غسل الملابس ثم فى لعب الكرة على رهان قدره ٥ سجاير وبكل الطرق وكل الوسائل كان **فريق المعزة** هو الفائز لدرجة ان السعدنى لكى يسجل هدف خلع ملابسه تماماً فاخذ الزملاء فى الضحك فسجل **ابو حنفى** الهدف وحصل على السجاير الـ خمس وكان هذا اخر عهدنا بالحياة الهادئة داخل العنبر حيث بدأ الضابط الذى يتناوب الخدمة بعد الساعة الثانية ظهراً فى شتمنا بالفاظ خونة وعملاء ووالخ يساعده فى هذا الاستفزاز **الشاويش** غطاس . **وكان غطاس هو الذى بدأ** التحرش بنا فقد دخل العنبر ذات يوم وطلب اربعة افراد للحلاقة فخرج ٤ من الزملاء ثم عادوا وقد فقدوا شعرهم المسبسب الجميل حيث أمر **غطاس** الحلاق بأن يحلق لهم بالموس ونفذ الحلاق الأمر وقبل الزملاء هذا الاجراء الغير انسانى !

دخل علينا الزملاء بهذا المنظر الغير متوقع وكنت جالساً على سريرى المقابل لباب العنبر مباشرة وعندما رأيت الزملاء على هذا الشكل قلت بأنفعال كعادتى ..

– ماذا حدث ؟ ولماذا قبلتم ؟ . وكان **غطاس فى** انتظار عدد اخر من الزملاء ليذهبوا الى الحلاق فلما سمع اعتراضى على هذه الحلاقة قال لى بتحد ظاهر ..

– تعال معى الى القائد اذا كنت رافضاً هذا الأمر .. فقلت له .

– هيا بنا الى القائد ومهما حدث لن اقبل هذا الاسلوب حتى لوكبلتونى بالحديد وقبل ان نخرج من العنبر تقدم **اديب ديمترى** موجهاً كلامه لغطاس بكل شجاعة ..

– انا كمان جاى مع حسن عند القائد .. قال **غطاس** للقائد

– حسن **المناويش** رافض الحلاقة حسب اوامر سيادتك و زميله هو الآخر رافض فبماذا تأمر ؟ **قال القائد** موجهاً كلامه **لى ولأديب ديمترى** .

– لماذا ترفضان الحلاقة وهى نظافة لازمة لكم جميعاً ؟

– لأننا نرفض الحلاقة بالموس كما حدث مع زملائنا !؟ ثم تحدث **اديب ويمترى قائلاً للقائـــد** .

– ان الحلاقة بالموس نوع من العقاب ونحن لا نستحق هذا العقاب كما لا تنقصنا النظافة وفهم القائد ان موضوع الموس هو من عند **غطاس** فنظر له برهة ثم قال له ..

– **اذهب بهما للحلاق** ثم وجه كلامه لنا قائلاً حفضوا الشعر شوية .

اعطى كل واحد منا سجارة ونجز للحلاق الذى نفذ طلبنا حسب رغبة كل منا وكان شعر **اديب دمترى** ناعم واصفر نسبياً فظهر شكله الجميل **فأديب دمترى له ملامح الانسان الأوربى** . ولما عدنا الى العنبر قابلنا الزملاء بالتصفيق المتواصل مما زاد فى حقد غطاس على الجميع .

لم يتوقف **الضابط حلمى العيسوى** عن سبنا وشتمنا بالفاظ نابية دون ان يتجاوب معه احداً منا فقد كنا ننظر له على انه ملازم ثان شاب متحمس فرحان بالوظيفة ومعبأ من قبل رجال المباحث العامة لذلك لم يرد عليه احد حتى لا يحدث ما يعكر جو المعتقل .

كان المتعهد يحضر لنا كل صباح حلة بها **فول مدمس ومعه الخبز الطازج** وكنا فى لهفة يوميه كل صباح من اجل استقبال **الفول والبصل الأخضر وقطعة الجبن الأبيض من يد الزميل المرحوم ابراهيم العطار عضو لجنة الحياة العامة** . ولما وصل المتعهد بالفول وانتشرت رائحة الفول فوجئنا بزميل يدرس فى كلية الطب يقول لنا محذراً .

– لا تستلموا هذا الفول لأنه حامض !؟ .. كيف عرفت ؟

– رائحته واضحة .. وقد تم هذا الحوار عقب خروج **الصول عبد العظيم وحسين المتعهد** بقليل وكعادتى اندفعت نحو الشباك وناديت على حضرة الصول وايضاً على المتعهد فحضرا الرجلان ودخلا العنبر وسأل الصول ماذا جرى يا **حسن** ؟ .. قلت

– **الفول حامض** ! فردد ورائى.. حامض ؟ ازاى ومن الذى قال ان الفول حامض؟ قلت له

– لنا زميل دكتور هو الذى قال ذلك وكان الجميع يقفون حول الصول والمتعهد الذى لم ينطق

بكلمة وكان يقف معنا الزميل الذى قال ان الفول حامض مؤكدا ما قاله . وأراد الصول أن يثبت عكس كلامه فقال ..

– هذا فول اسمه فول مكمورة لانه ينضج على نار هادئة وان هذه الرائحة نتيجة كمره فى النار ولكى يقنع حضرة الصول الجميع رفع حلة الفول الى فمه وأراد أن يشرب من غراء الفول وهو يقول .. أدى يا سيدى الفول الحامض .. وفجأة **سقط الكاب الخاص بالرجل** فى وسط حلة الفول حتى نصفه وتحول الموقف الى الحرج الشديد فنظر إلى الصول وقال ..

– عاجبك كده يا **حسن** .. لولا انك ناديت لى لما حدث ان الكاب يسقط فى حلة الفول .. كما ان الفول ليس حامضاً !؟ فأعتذرت عن سقوط الكاب وقلت له سوف انظفه لك ولكن الرجل رفض كما ان الزميل الذى قال ان الفول حامض اعتذر هو الأخر عن تسرعه بالحكم على الفول ولم يسلم هذا الزميل من التريقة والسخرية من الجميع واولهم **السعدنى** : واثناء مناقشة موضوع الفول كان **غطاس** قد حضر بعد أن طال غياب اصول بعنبر رقم ٥ وعلم بالموضوع ووعد الصول بأن ينتقم له وللكاب ثم انصرف الجميع وقد خيم جو من عدم الرضى عن انفسنا بسبب الفول والكاب وعمت حالة من الشوم اللا أرادى طوال هذا اليوم حتى حضر فى الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم **الضابط محمد حلمى العيسوى** واخذ فى سيل من الشتائم اياها ..

– وفى المساء اجتمعت الجمعية العمومية المعتادة لمناقشة ما استجد من احداث اليوم كله وتوقف الجميع عند شتائم الضابط المتكررة وتقرر وقف الضابط عند حده وذلك دون الرد على الشتائم بشتائم ولكن باسلوب ادبى مهذب مثل نحن لسنا خونه ولسنا عملاء . نحن نمثل الشعب المصرى فى المطالبة بحقوقه ومن اهم هذه الحقوق . الديمقراطية و حرية الرأى وخلافنا ليس مع احد من الضباط وانما نحن فى خلاف سياسى مع **جمال عبد الناصر شخصيا** وفوق كل ذلك نحن نرفض هذا الأسلوب من الشتائم والتهم وعليك ان تعلم بأن هنا اساتذة جامعات اكثر منك علماً ولابد من احترامك للجميع .

وهنا كان لابد من اختيار اكثر من واحد لتنفيذ هذه المهمة الجديدة حيث توقعنا ان يرفض الضابط هذا الموقف الذى سوف يفاجئه لأول من من عنبر رقم ٥ .

واقترح الدكتور عبد الرازق حسن ان تتم عملية تطوع لتنفيذ المهمة بحيث يكون الموقف جماعى أى ان يتطوع ٤ من الزملاء فاذا ذهبوا للزنزانة يتقدم اربعة آخرون ثم اربعه وراء

اربعة حتى لا يجد الضابط زنازين تكفى الجميع وبذلك يجد نفسه يتعامل مع العنبر كله مباشرة وطلب الدكتور اربعة متطوعين فكنت أنا واحد من ضمن الأربع الأوائل ولكن حسن فؤاد اعترض على وجودى وطلب منى ان انتظر للدفعة الثانية لأننى اصبحت معروفاً عند الشاويش غطاس بالذات بعد حكاية الحلاقة والفول بالتحديد . فقبلت وتطوع اربعة من الزملاء يمثلون كل الاتجاهات السياسية وتحدد منهم مسئول عن تنفيذ الموقف والرد على الضابط يليه زميل أخر يساعده اذا احتاج الأمر .

وفى صباح اليوم التالى مباشرة حضرت دفعة من المعتقلين قادمة من القلعة وكان من ضمن هذه الدفعة احد الزملاء اسمه جميل حقى والسيد سالم وهما من كفر الزيات ودخلوا فى عنبر رقم ٦ المجاور لعنبرنا مباشرة لم يفصل بيننا سوى عدة امتار قليلة وكان الزميل المسئول عن تنفيذ الموقف مع الضابط يعرف جميل حقى والسيد سالم فحضر هذا الزميل الى الشباك المجاور لسرير عم حافظ وهو من مدينة طنطا ايضاً وبدأ يتحدث مع جميل حقى عبر الشبابيك فحضر عسكرى الحراسة بين العنابر وهو مجند حديث السن وطلب من الزميل عدم الكلام مع العنبر الآخر ولكن الزميل دخل مع العسكرى فى مشادة انتهت بالشتائم بين كل من العسكرى والزميل وللأمانة فقد كان الزميل هو البادئ بالغلط لدرجة ضايقت الزملاء . ولما كان الشباك بجوار سريرى وسرير عم حافظ فقد تدخلت بينهما ملطفاً الموقف وطيبت خاطر العسكرى ببعض الكليمات الطيبة واخذت من العسكرى وعداً بعدم ابلاغ الضابط عندما يحضر وكان هدفى من ذلك عدم افشال الخطة التى اتفقنا عليها بالأمس ولكن حدث شئ غير متوقع تسبب فى تغير كل شئ فقد حدث الآتى : –

كان من عادة الضابط ان يسأل العساكر المجندين عما تم فى غيابه وكان يسبب بعض الرعب لهؤلاء المجندين وعندما قام بسؤاله المعتاد وهو يركز نظره على احد العساكر وكان هذا العسكرى يقف بالقرب من العسكرى صاحب الخناقة مع الزميل اياه . وعندما سأله الضابط اجاب بشكل ميكانيكى رداً على الضابط بقوله .

– مش انا اللى حصلت معه الخناقة .. وهنا عرف الضابط ان هناك خناقة مع احد العساكر تمت فى الصباح فسأل العسكرى مع من حدثت الخناقة ؟ فاشار الى العسكرى الآخر وكان العسكرى قد وعد بعدم الابلاغ فأتكر فى اول الأمر وتحت ضغط الضابط الذى اجبر العسكرى على

خلع القايش الجلد واخذ يضربه به من ناحية التوكة النحاسية حتى اخبره العسكرى بما حدث .

فوجئنا بالضابط والعسكرى يدخلان العنبر والضابط يسوق العسكرى امامه وهو يضربه ويقول له ..

- ارنى الذى تشاجر معك فى الصباح يا ابن ال ....

توجه العسكرى جهة الشباك الذى كانت منه الخناقة وامسك بعم حافظ وقال هو ده يا بيه !!.. كان عم حافظ شيخ فى الستين من العمر نحيف الجسم له شعر بين الأبيض والأسود يماثل شعر الزميل الى حداً ما وكان للعسكرى عذره فى هذا الخلط بين الزميلين فقد كانت الخناقة فى الصباح عقب قدوم الزملاء من سجن القلعة أى فى الساعة التاسعة وكان العسكرى يقف فى ضوء الشمس بينما نحن داخل العنبر حيث لذلك توقع العسكرى ان يكون عم حافظ هو صاحب الخناقة فى الصباح وعندما اشار اليه أخذ الضابط فى ضرب عم حافظ دون ان يسأله مجرد سؤال عما حدث وصرخ عم حافظ من شدة الضرب بالقايش الذى مازال فى يد الضابط وقال لى .

- حشنى يا حسن وقل له بأننى مظلوم ومش أنا .. وقفز خلفى يحتمى بى ولم اتمالك نفس وبلا شعور أو قصد وقفت بين الضابط وعم حافظ حائلاً وقلت للضابط ليس عم حافظ هو صاحب المشكلة . وضربنى الضابط على وجهى بالقلم غير مصدق ما اقول واراد ان يمسك عم حافظ من رقبته وهو يقف خلفى ولم اقصد عندما امسكت بيد الضابط مخلصاً عم حافظ منه فصرخ الضابط وقال ..

- انت كيف تجرؤء على الاعتداء على اثناء عملى وتلوى يدى وكرر ضربى من جديد ولم يتوقف إلا بعد ان تدخل احد الزملاء المتطوعين فى الاربعة الأول وقال للضابط فلان هو صاحب المشكلة ثم وجه كلامه الى الزميل اياه قائلاً لـه .

- لماذا لم تتقدم وتقول للضابط انك الذى تشاجرت فى الصباح مع العسكرى ؟

تقدم الزميل المذكور وقال انا يا حضرة الضابط ..

كان الضابط يضربنى بكف يده على وجهى حتى كلت يداه فقالى لى .

- يا فلق يا ابن الـ .. وقررت ساعتها ان اهاجم الضابط بعد ان تبين له خطئه مع عم

حافظ ثم معى وعندما قال لى

– احذرك ان تتعرض لى مره أخرى اثناء عملى .. فقلت له ما سبق ان اتفقنا عليه فى ليلة الأمس وهو الآتى .

– نحن نرفض اسلوبك فى شتمنا واتهامنا بالخيانة فنحن ندافع عن الشعب المصرى وانت واحد من الذين ندافع عنهم وعليك ان تحترم نفسك ولن نقبل منك بعد اليوم أى اهانة . فوجئ بهذا الكلام وقال لى بتحد سافر امام الجميع .

– يعنى انت عامل رجل وبتتصدى لى .. فقلت له .

– انا لم اتصدى لك ولكنى وزملائى نرفض اسلوبك فى التعامل معنا .. فقال متوعداً .

– تعال معى وانا اوريك شغلك ..

خرجنا من العنبر فى اتجاه الإدارة فوجدنا قائد المعتقل يهم بركوب السيارة عائداً الى منزله بعد إنتهاء عمله حيث كانت الساعة الثانية والنصف بعد الظهر فى اليوم الأخير من شهر ابريل سنة ١٩٥٩ .

– جرى الضابط يلحق بسارة القائد عند باب المعتقل ونحن ورائه بصحبة الصول همام . وقال الضابط للقائد .

– الوادين دول عملين شغب فى العنبر وواحد منهما اعتدى على أحد العساكر .. فقال له القائد من شباك السيارة .

– اعمل لهما اللازم يا حلمى هو انا كل حاجة ؟! ثم انصرف طلب الضابط من شاويش المجندين ان يضرب كبسة وهو اصطلاح عسكرى معناه احضار جميع القوة لمواجهة حالة طارئة غير عادية وهو اصطلاح منتشر عند رجال الشرطة حتى عند مهاجمة بعض الخارجين على القانون.

حضر كل عساكر الكتيبة المجندين بعد سماع الكبسة وأية الكبسة هذه هى ان يتم طرق مثلث من الحديد فيحدث صوتاً اقرب الى رنين الجرس منه الى الحديد وهذا الصوت معروف لدى العساكر فبعد سماعه حضر وكيفما اتفق اللى بملابسه الداخلية واللى بكامل ملابسه وبعضهم كان فى الحمام فحضر والصابون على جسمه ودخلنا جميعاً فى مكتب القائد الذى لم يستوعب اكثر من اربعين ٤٠ عسكرى على الأقل لينفردوا بى جميعاً بعد ان ادخلوا الزميل الأخر فى احد الزنازين القريبة ريثما يفرغوا من العبد الغلبان .

انهالت على عمليات الضرب العشوائى ولكن الضابط أمر العساكر بالتوقف لإنهم بداءوا الضرب بدون اذن منه وبما انه يحب النظام فطلب منهم بانتظار اوامره ببدء المعركة والأمر بالهجوم المرتقب .

كان **مكتب القائد** مزدحم بنا ويقف **الصول همام** بجانب الضابط ويشير الى من خلف ظهره بوضع سبابته على فمه واراد ان يقول لى ما معناه اسكت لا تتكلم .. وقد فهمت قصد **الصول الطيب** الذى لولا وجوده لحدثت مذبحة فى هذا المعتقل الرهيب .

سألنى الضابط بحدة .

– لماذا وقفت فى وجهى ؟ .. فلم ارد ثم كرر السؤال مع الضرب على الوجه وكان لا بد من الرد على هذا الرجل **المولع بالصفع والضرب بالقايش** واشراك اكبر قدر من الجنود فى المعمعة فقلت له رداً على سؤاله ...

– انا لم اتعرض لك ولكنك كنت تضرب رجل شيخ فى سن والدك ظلماً فأردت ان انبهك لهذا الخطأ وايضاً نحن جميعاً نرفض اسلوبك اليومى فى شتمنا واتهامنا بتهم نرفضها من أى أحد .ولم يتمالك الضابط نفسه من الغيظ فقال للعساكر وهو ينعتهم بكل ما فى قاموس الشتائم – سمعين يا اولاد .. وساكتين على هذا الكلام اضرب يا ابن الـ .. منك له ولم اشعر إلا وانا اهرب منهم تحت مكتب القائد فجرونى من قدماى ثم اوقفونى ثم ضربنى احد العساكر بدبشك البندقية فى المقعدة عند نهاية العمود الفقرى مازالت تولمنى الى وقتنا هذا ولم اشعر بعد ذلك فقد كنت فى شبه غيبوبه وسمعت **الصول همام** يهاجم الضابط بقوله .

– كفى هذا انك تقتله وهذا مخالف للتعليمات فهم امانة عند المدرية وليس من حقك قتلهم وغبت عن الوعى تماماً ولم اشعر إلا عندما وضعونى فى بطانية وشالونى مرابعة والقوا بى فى زنزانة **لطف الله سليمان** حيث كان فى **الحبس الانفرادى** بالصدفة وقد نتج عن هذه العلقة الساخنة شرخ فى بعض الضلوع بالقفص الصدرى كانت تعوق تنفسى وألم فى المعدة ودماء تسيل من كل وجهى فقد كدت أموت لولا وجود **الصول همام** .

كان الاستاذ **لطف الله سليمان** يتابع ما يجرى من خلال نافذة زنزانتة القريبة من الإدارة ولقد فوجئ بى محمولاً فى بطانيه ومازالت فى شبه اغماءة وحسب ما قال لى بعد ان عدت الى الحياة او عادت الحياة لى بمساعدة **لطف الله** الذى قدم لى كافة الاسعافات اللازمة وقد صب فى فمى كمية كبيرة من المياه المحلاه بالسكر مما ساعدنى على معرفة ما حولى وبمجرد ان فتحت

عيني سألني عن اسمي وعنواني وبلدي تحسباً لما قد يحدث في المستقبل فقد كانت الحالة تستدعي ذلك وقد علمت من لطف الله بأن زميلي اخذ نفس الطريحة وقد اصيب في عينه وطبلة اذنه لدرجة افقدته السمع نسبياً .

وبعد ان فرغ الضابط من مهمته الخطيره معي ومع زميلي قرر ان يعود للعنبرمره اخرى ليرى رد الفعل عند الزملاء وكانت قد سبقت الضابط إشاعة تقول بأن احد المعتقلين مات واسمه حسن .. نقلها الى العنبر احد جنود الدرجة الثانية ولست ادرى .. هل مصدر هذه الإشاعة هو الضابط نفسه او تبرع بها واحد من العساكر وفي كلا الحالتين كانت الاشاعة قريبة من الواقع .

وعندما دخل العنبر تحدث الى الزملاء بطريقة اكثر هدوءاً عن ذى قبل ناصحاً لهم بأن قد يحدث لهم نفس ما حدث لزملائهم .. وقبل ان ينتهي من مواعظة تصدى له **أحمد البكار** واعاد عليه ما قررت اللجنة مرة اخرى فضرب **أحمد** على وجهه فهجم الزملاء على الضابط الذى كان يحمل كرباجاً فجرى من امامهم وتصادف ان تقابل مع **اسماعيل جبر** فضرب **اسماعيل بالكرباج** على ظهره وفر هارباً وهو ينادى على الجنود ويقول اضرب كبسة عمر السلاح وتعالت الصفافير من داخل العنابر وقذفه **الفنان زهدى العدوى** من النافذة ببعض الزجاج وكبابى الشاى وانتشر الجنود وهم يحملون السلاح والضابط يقول ..

- اضرب في المليان يا عسكرى يا ابن الـ .. وكاد **الصول همام ان يدخل في معركة مع الضابط المصر على عمل مذبحة على ارض الفيوم .**

صرخ الصول همام في وجه الجنود قائلاً وهو يحمل في يده مسدس ..

- كما كنت يا عسكرى ارجع لمكانك ثم قال للضابط كفى وسوف ابلغ المدرية فوراً ليس من حقك قتل هؤلاء الناس وكل ذلك ليس له معنى واتفضل على مكتبك وانا الصول المسؤل عن الأمن وعن ما يحدث وأمر الجنود بالعودة الى خيامهم وتفريغ السلاح من الزخيرة ولو لم تكن العنابر مغلقة لحدثت مذبحة بالفعل فقد كان الزملاء في حالة إستنفار لمواجهة كافة الاحتمالات حتى الموت . **وفي تمام الساعة السابعة مساء نفس اليوم** حضر مدير **امن الفيوم بنفسه** مع مجموعة من رجال من المدرية بالملابس الرسمية فيما يشبه **المجلس العسكرى** وقد شرح لهم **الصول همام** كل ما حدث بامانة وصدق قبل ان يطلبني مدير الأمن للتحقيق معي في اتهام الضابط لي بالتصدى له اثناء قيامه بواجبه في حفظ امن المعسكر حسب تعبير السيد مدير الأمن .

لم استطع الذهاب الى المجلس المنعقد فى مكتب القائد إلا بمعاونة بعض الجنود الذين شاركوا فى ضربى قبل عدة ساعات .. ودار هذا الحوار بين مدير الأمن وبينى على النحو الآتى ...

– اسمك وسنك وعنوانك اجبته لما طلب ثم قال .

– لماذا تصديت لحضرة الضابط اثناء تأدية وظيفته وقمت بلى دراعه ؟!

– لم يحدث .

– هل الضابط يكذب ولم ارد ثم قال .

– انطق ماذا حدث منك بالضبط .

– وبدأت احكى ما حدث وعندما قلت له عن عم حافظ وانه رجل مسن قاطعنى رئيس المباحث العامة بالفيوم وكان اسمه عبد العزيز شاكر تقريباً وقال ...

– هاهم امام سيادتكم فى منتهى الوقاحة وكل واحد فيهم عامل زعيم مما يؤكد لكم ان كلام حضرة الضابط صحيح تماماً ولم يلتفت له مدير الأمن وواصل حديثه معى قائلاً ...

– كان فى استطاعتنا ان نضربك بالنار فى ظهرك ونقول انك حاولت الهرب ونلقى بك خارج الأسوار و نخلص من امثالك .. فقلت له .

– وماذا يمنعكم من ذلك ؟ وواصل رئيس المباحث عباراته الغير واضحة وهى بكل تأكيد شتيمة . ثم وجهت كلامى الى مدير الأمن فقلت له .

– انا طالب الذهاب الى المستشفى وطالب عرضى على النيابه ولم يرد على ثم قال ..

أمرنا بحبس المعتقل وزميله حبساً انفرادياً لمدة خمسة عشرة يوماً .. خذوهما من هنا ..

عدت الى الزنزانه مع الأستاذ لطف الله الذى أخذ فى اعادة اعطائى مياه بالسكر ثم اجلسنى ليقدم لى بعض الطعام المتيسر وفى الصباح طلب من الصول عبد العظيم احضار الدكتور محمد الخفيف لاسعافى نظراً لسوء الحالة وبالفعل حضر الدكتور الخفيف ومعه بعض الأدوية وقال لابد من عرضى على المستشفى حيث يوجد شرخ بالضلوع . وعلق الصول عبد العظيم على ما حدث قائلاً ..

- انا لو كنت بالأمس موجوداً ما حدث ما حصل .

كانت قرارات المجلس العسكرى كالآتى :

عدم عودة المعتقلين الى عنبرهم إلا بعد اختفاء اثر الضرب واسترداد قواهما .. هذا ما حكاه لى لطف الله الذى لم تفوتة كلمة فقد كانت زنزانته قريبة جداً من شباك مكتب القائد .

سادت المعتقل حالة من الهدوء بعد ان عدنا الى شئ من العافية وبدأت معاملة الضابط حلمى العيسوى تتغير الى العكس تماماً فكان يذهب الى عنبرنا ويعتذر عن ما حدث منه وكيف انه كان يصدق ما يقوله له جهاز المباحث العامة وانه كان غلطان وكان ضميره يؤنبه على ما فعله معى ثم مع أحمد البكار وكانت معاملة أحمد البكار اقسى وافظع من معاملتنا انا وزميلى ولقد تسببت هذه المعاملة فى موت أحمد البكار رحمه الله رحمة واسعة .



اول الشهـــداء

قبل حضور السيد **مدير امن الفيوم** بقليل حضر جال المباحث وقاموا باحضار **أحمد البكار** . مكبلاً بالحديد من الخلف لانه هو الذى رد على الضابط بعد ضربنا ولكن رئيس المباحث اتهم **الضابط حلمى** بأنه عديم الخبرة فى تعامله مع الشيوعيين وان عملية الضرب التى تمت لى ولزميلى تمت بغشم وسوف اعلمك كيف تضرب دون ان تترك أثراً يضعك تحت المسئولية كما حدث اليوم .

ولم يعرضوا **أحمد البكار** على مدير الأمن ولكنهم اخفوه فى أحد المكاتب حتى انصرف مدير الأمن وخلا الجو لمفتش المباحث الذى احضر أحمد البكار وقام بضربه بظهر كرباج على بطنه وصدره وهو مطروح ارضاً وايضاً ضربه بظهر الكرباج على وجهه وقد تركوه فى أحد المكاتب وحيداً لا نعلم عنه شئ وقد نتج عن هذا الضرب الوحشى **تهتك فى الامعاء وورم بالصدر والوجه** ولم تتحسن حالة **أحمد البكار** بعد هذا اليوم وعندما رحلونا الى **أوردى ليمان ابو زعبل رحلوه هو الى الواحات** ثم تدهورت حالته الصحية فارسلوه الى **مستشفى القصر العينى** ولما يأس الاطباء من علاجة تقرر الإفراج الصحى عنه وعندما وصل الى الأسكندرية وقبيل منزلة بعدة امتار **فى حى كوم الدكة الشهير لفظ البطل آخر انفاسه** ومات طالب الحقوق المناضل وجاد بروحه فى سبيل اعدل قضية لم ولن انسى شهامة هذا البطل ومواقفه الناضجة وقد كان غزير المعرفة والثقافة فهو الذى حدثنا عن **قصة العجوز والبحر ولمن تدق الاجراس والمسيح يصلب** من جديد ومازال صوته يرن فى اذنى حتى اليوم فقد كان **أحمد البكار** من اصلب الشباب واعظمهم ثقافة لكل ذلك كان أحمد البكار هو أول الشهداء فى السجون والمعتقلات المصرية بعد محمد عثمان الذى استشهد فى قسم ثان بطنطا محافظة الغربية .

لم يكن أحمد البكار هو الوحيد الذى تعرض لمعاملة خاصة من جهاز المباحث العامه فقد كان هناك بطلاً آخر هو المهندس فوزى حبشى الذى دافع عن حق المعتقلين فى معامله تليق بالبشر وطبعاً هذا لم يعجب رجال المباحث فكان جزاء **فوزى حبشى** سلسلة متوالية من التعذيب الرهيب ومازل آثار الكربيج على جسمه حتى اليوم .

وبرغم ما اصاب **فوزى حبشى** من جروح وعاهات مستديمة ظل مدافعاً عن زملائه على

مستوى المعتقل كله رافضاً سياسة الإدارة المنفذة لسياسة المباحث العامه فى معسكر الإعتقال بقرية العزب بالفيوم وكان فوزى حبشى هو القائد الفعلى لكل المواقف الصلبة الصامدة فى الفيوم وهذا الرجل المهذب الرقيق مع الجميع الباسم دائماً المرهف الحس يتمتع بشجاعة غير عادية وكان يخرج مجروحاً من بعض المواقف ليدخل فى موقف آخر ومعارك أخرى قبل ان تلتئم جراحه من المعارك السابقة .

هذا هو فوزى حبشى المهندس الفنان المدافع عن حق الشعب فى حياة افضل .

لقد كان معتقل اليوم هو المحطة التى يمر عليها القادم او الذاهب الى الواحات أى انه يشبه ما يسمى بالترانزيت وقد ورد إلى هذا المعتقل بعض الزملاء الذين تقابلت معهم بالصدفة مثل الدكتور مأمون البسيونى فقد كنت ذاهباً الى الكنتين لشراء ما يلزم الحياة العامة فوجدته وكانت مفاجئة لى ولما سئلته عن سبب وجوده عند الإدارة قال .. انه عاوز يقابل الضابط حمدى ليجرى معه مناقشة موضوعية عن المعاملة القاسية التى تمارسها ادارة المعتقل وتركت مأمون البسيونى دون ان اعرف هل نجح فيما كان يقصده أم لا .. ولكن سياسة التعذيب ظلت مستمرة ولم تتوقف على مدى خمس سنوات .

لم احصر كل من ورد الى الفيوم نظراً لطول المدة التى تغلق فيها العنابر (٢٣ ساعة) يومياً سمعت بوجود المناضل عبد الخالق الشهاوى ولم يسلم هو الآخر من هذه المعامله السيئه ولم يتوانى عن اتخاذ موقف شجاع تحدث به المعتقل كله فلقد كان لعبد الخالق الشهاوى الفضل فى وقف عملية الساقية التى دأبت الادارة على ممارستها مع بعض الزملاء والساقية هى ان يقف مجموعة من الزملاء على شكل دائرة خلف بعضهم البعض ثم يأمرهم الضابط حمدى أو الغطاس بالجرى ومن يطول زميله يضربه على قفاه وإلا تعرض الجميع للضرب المبرح بالكرابيج والخيرزان واراد الضابط ان يكرم الضيف الجديد الذى كان فى طريقة الى الواحات او القاهرة بوضعة فى الساقية عسى ان يجد منه استجابة بعد ان فشل مع باقى الزملاء الذين كانوا فى منتهى الرجولة وكان هذا الضيف هو الزميل الشجاع الذى يرجع اليه الفضل فى وقف عملية الساقية نهائياً هو عبد الخالق الشهاوى وكان رفضة الشجاع ورده على الضابط ومساعدية أمام الجنود ما احرج هذا الضابط وكان هذا الموقف الصلب هو الذى ساعد الزملاء فى الأوردى عندما تكرر موضوع الساقية هناك حيث كان يتردد نداء عبد الخالق الشهاوى فى الفيوم الذى كان يقول فيه ..

– مهما حدث لنا من تعذيب لن يضرب زميل منا زميلاً اخر ابداً فقد كان عبد الخالق هو اول من حذر من هذا الفعل بصوت عال سمع به كل من فى المعتقل ولم أقابله إلا فى سجن الواحات بعد تصفية الأوردى واستشهاد البطل شهدى عطية على باب أوردى ليمان ابو زعبـل .

لم تقتصر المواقف فى الفيوم على عنبر بعينه بل كان لجميع العنابر نفس الموقف ونفس الصلابة واذكر اننا جميعاً كنا على مستوى الموقف ما عدا بعض الزملاء الذين ضعفوا لأسباب عديدة منهم بعض كبار السن والذين أتوا الى الحبسة خطأ لأسباب واهية جداً منهم من كان متواجد عند القبض على احد الزملاء ومنهم من كان على صلة نسب او قرابة وليس له فى الطور ولا فى الطحين فكانت هناك بعض المواقف الضعيفة وليس هذا تبريراً لأى موقف ضعيف من جانبهم ولكن لكل واحد قد رات على الاحتمال تتفاوت من شخص لأخر وهم لا يتعدوا اصابع اليد الواحدة ضمن عدة مئات يضمهم معتقل العزب بل على مستوى الحبسة كلها حتى فى الأوردى لم يظهر حالات ضعف إلا نادراً ومن الواجب ان اذكر ان الجميع كانوا ابطال بحق ورجال بحق فلم يحدث فى تاريخ مصر الحديث ان تعرض فكر سياسى لما تعرض له الفكر المنادى بالاشتراكية وتحقيق العدل لكل الطبقات من ابشع الوان التعذيب التى مارسته المباحث فى كل سجون ومعتقلات مصر حتى فى سجن النساء بالقناطر تعرضت بعض المناضلات لمواقف غير انسانية .

استغرقت عملية نقل الضابط حلمى من المعتقل اكثر من خمسة عشرة يوماً كنت خلالها قد تعافيت نوعاً ما وساد الهدوء معتقل الفيوم حتى غطاس بدأ فى حالة هدوء غير طبيعى وقد تبينت بعد ذلك ان الفضل فى هذا الهدوء النسبى يرجع الى الضابط حلمى الذى صحى ضميره فجاة بعد هذه الاحداث الدامية فقد أمر بنقلى من زنزانة لطف الله سليمان الذى عاد الى عنبره بعد قضاء مدة الحبس الإنفرادى الى نفس الزنزانة الموجود بها زميلى الذى تسبب فيما حدث وقبل ان اترك لطف الله علمت منه انه صاحب مكتبة ودار نشر اسمها الدار المصرية وانه جاء الى الحبس الإنفرادى لانه استطاع اقناع احد عساكر الدرجة الثانية اسمه محمد العناوى ان يحمل له رسالة الى اسرته فى القاهرة وكانت رساله شخصية وليس بها كلام سياسى فقط كان لطف الله يطلب فيها ارسال طرد من الأدوية والسجاير وبعض النقود وأوصى فى رسالته باكرام العسكرى محمد العناوى وقد تعرف لطف الله على العناوى اثناء وجود العسكرى فى نوبة خدمة على عنبر لطف الله وكان غطاس قد لمح عن بعد حديث العسكرى مع

لطف الله من خلال شباك العنبر فابلغ المباحث عن هذا العسكرى .. وعندما تقرر قيام العسكرى باجازة عادية تنبه رجال المباحث حتى نزوله **بالقاهرة** واقتفوا اثره حتى وصول الى منزل **لطف الله** فتم القبض عليه وبتفتيشه عثر معه على رساله **لطف الله** فأعادوه الى الفيوم وحوكم امام مجلس عسكرى فقرر المجلس رفت العسكرى من الخدمة بدون مكافأة مع الحبس سنتين وكان **غطاس** من اسعد الناس حيث اشاع الارهاب بين كتيبة العساكر المجندين .

بعد ان تم نقلى الى الزنزانة المجاورة حضر الى **الضابط حلمى** فالقى على تحيه المساء فلم ارد عليه وكان يحدثنى من نافذة الزنزانة التى لا تعلو عن الارض إلا بمقدار ١٥٠ سم فقط بحيث يرى كل منا الآخر .

كانت جروحى بدأت تلتئم ماعدا عظام الصدر التى كانت تحتاج الى ما يشبه الجبس وكنت فى حالة غضب شديد من ذلك الضابط الذى كاد يقتلنى بلاسبب وعبثاً ان ارد عليه رافضاً الحديث معه اطلاقاً وعندما حاول زميلى ان يتدخل فى حديث الضابط معى تجاوباً معه نهره الضابط بشدة قائلاً له ...

– اسكت انت فقد كنت سبب ما حدث ونعته بكلام غير ظريف برغم الكلام الحلو الذى قاله معتذراً ولم تكن حالتى النفسية تسمح لى بأى حديث وقلت له وانا فى غاية الإنفعال ..

– لولا انك ضابط ولولا وجودى داخل المعتقل ما تركتك بهذه العملة .. فقال لى بكل ذوق..

– انا لا اخاف من شئ فوفر هذا الكلام .. انا ضميرى يولمنى بسببك ولم أنم وطبعاً انا لا يهمنى موضوع نقلى من هنا فقد حمدت الله على هذا النقل واعتقد انك فرحان بنقلى وانا قبل ان اغادر هذا المعسكر عاوز اخلص ضميرى واصالحك وان تسامحنى على ما بدر منى .. جلست على ارضية الزنزانة ولم ارد فلما يأس من الحديث معى تركنى ثم عاد بعد قليل **ومعه لطف الله والدكتور الخفيف وقام الدكتور الخفيف** بوضع نوع من البلاستر الطبى العريض حولى صدرى بدلاً من الجبس فى حضور الضابط ثم قال لى ...

– هذا الرباط الضاغط احضره لك حلمى بك من مستشفى **الفيوم** وسوف تخرج غداً لعمل اشاعة على الصدر **بالمستشفى** وان حلمى بك عاوز يكفر عن تصرفه معك ويجب ان تسامحه لأن حلمى بك تغير وبدأ يفهم الموقف على حقيقتة وانه كان مدفوعاً من المباحث .. ثم

قال لى **لطف الله** يجب ان تتجاوب مع الضابط لأنه فعلاً شعر بغلطته وكان الضابط أمر أحد العساكر باحضار **زجاجات كوكاكولا** لنا جميعاً ولم يتركنى **لطف الله والخفيف** إلا بعد ان تناولت المشروب وانصرف الدكتور ومعه **لطف الله** وبقى الضابط ولأول مره يسمعنى وانا احدثه عن ما صدر منه من تصرفات منذ ان حضرنا واننا لم نأت هنا بسبب خلاف مع احد وان خلافنا مع **الحكومة** من مصلحة الجميع بما فيهم انت .. ولم يقا طعنى واكتفى بأنه قال ...

– لقد تعلمت منك ومن زملائك فى العنبر الكثير وانا تحدثت مع **الدكتور عبد الرازق حسن وحسن فؤاد ومع لطفى الخولى والدكتور لويس وعرفت منهم حقيقة قضيتكم** لذلك انا حريص على ان اصالحك فأرجوك تقبل حتى يرتاح **ضميرى** وفى اليوم الثانى حضر إلى مرة اخرى ليقول ..

– انا جاى اودعكم فهذا آخر يوم لى هنا فماذا تطلب ؟ قبل ان اغادر هذا المعسكر . قلت اعود لعنبرى فقد طال بعدى عن زملائى .. ثم صحبنى الى العنبر بنفسه وقابلنى الزملاء بالاحضان وقال لى **مصطفى الحمادى** ..

– لقد طلبت لك بطرمان مولت مغذى جداً وقد حضر الطرد وقال لى – **جلال حمودة** لك عندى **علبة ونجنر** وكان اجمل شئ هو لقائى بالزملاء ووعدنى **محمود خالد اشهر لاعب شطرنج بالأسكندرية** يعلمنى سر اللعبة وقبل ان يودعنا للمرة الأخيرة الضابط **حلمى العيسوى** سألنى .

– ماذا تطلب منى الآن .. فقلت له .

– زيادة اضاءة العنبر ولا يوجد لنا مطلب آخر وكان القصد من هذا الطلب هو زيادة التيار الكهربائى وذلك من اجل عمل الشائ بواسطة اسلاك محملة وتطعتينى من المعادن فلم نجد سوى ترابيس الشبابيك وكان الزميل **أحمد السيد** رحمة الله هو الكهربائى الوحيد فى عنبر رقم ٥ وكان هو صاحب الفكرة وقد نفذ **الضابط** ماطلبناه منه وقبل ان يغادر المعتقل طلب من القائد ان اذهب الى **المستشفى لعمل اشعة صدرية** واخذ القائد موافقة مباحث الفيوم وفى اليوم التالى ذهبت الى **مستشفى الفيوم** العام **وطلبت من الصول عبد العظيم** ان ارى **مدينة الفيوم وبحيرة قارون والسبع سواقى التى غنى لها عبد الوهاب** – سبع سواقى بتعنى لم طفولى نادر – ولأول مرة رأيت حقول الفيوم المتدرجة الجميلة **ورأيت بحيرة قارون وبحر**

يوسف والسواقى العديدة ورأيت أو برج الفيوم وبرغم وجودى داخل سيارة البوكس إلا اننى سعدت بجمال هذه المدينة وقد تمنيت ان ازورها فى ظروف افضل .

وفى المساء وقف الزميل محمد حمام يغنى غنوة حُلْم العظيمة وكنا نسمعها للمرة الأولى فى يوم فى شهر فى سنة : بصوته الجميل واستعاد الزملاء نشاطهم فى المناقشات والمحاضرات وكدنا ننسى ما حدث لولا ان بعض الضعفاء وشى بى عند الشاويش غطاس بأننى اخفى فى سقف العنبر وفوق سريرى مباشرة سلاح ابيض وصدق غطاس كلام الزميل الذى توقع ان هذه الوشاية قد تقربه من الإفراج .

حضر الشاويش غطاس وعدد من المجندين والضابط حمدى الذى وقف عند باب العنبر ريثما يعثر غطاس على السلاح وبالفعل وقف غطاس فوق سريرى ومد يده ليحضر مقص ماركة سنجر كان هذا المقص عهدة من الشركة لقص خيوط النايلون ولا يزيد طوله عن ٥ سم خمسة سنتيمتر وقد كنت اضع هذا المقص فى جيب الجاكته الصغير على الصدر ونسيته تماماً ولم يعثر عليه احداً برغم التفتيش الدقيق الذى تعرضت له اكثر من مرة .

ولما كانت ملابسنا موجودة معنا فى العنبر . فقد وجدت هذا المقص بالصدفة ولم اتوقع ان وجود المقص معى سوف يسبب لى ما حدث .

سألنى غطاس .....

– هذا المقص يخصك فسكت فعاد يسألنى مرة اخرى وجميع الزملاء ينظرون باستغراب... كيف عرف غطاس مكان المقص .. فقد كان هذا المقص نافعاً للجميع فقد اصلحنا به بعض الملابس وقص الاظافر وتسوية الشوارب وقد استعمله الرجل الذى وشى بى نفسه عدة مرات فقلت لغطاس – ان المقص يخصنى ولم يقتنع الضابط باننا نستعمل هذا المقص فى النظافه وتأييف الملابس فأخذنى الى مكتب القائد

سأل القائد غطاس ..

– ماذا وجدت ؟ ... فقدم له المقص وهو يقول بحماس ..

– هذا المقص بسقف العنبر فوق سريره .. سكت القائد . برهة فسأله الضابط ..

– ماذا تفعل معه .. ؟

– اديله اربعة كرابيج على رجليه .. فأخذنى الضابط الى الخارج وطلب من العسكرى ريحان احضار الفلكا وكلبش وكرباج ثم أمرنى ان اقف ووجهى الى الحائط لمدة نصف ساعة وبدأ غطاس يحرض العساكر على ضربى من الخلف ثم فوجئت بالعسكرى ريحان يضربنى بمؤخرة البندقية (بالدبشك) فى مؤخرة رأسى عند اول العمود الفقرى فسقطت على الأرض ثم وقفت مرة اخرى كل ذلك فى اقل من ثانية واحدة من شدة الضربة وشعرت بأننى فقدت الرؤيا لمدة ثانية وسال الدم من مؤخرة رأسى ومازال اثر الضربة موجوداً الى اليوم وكادت هذه الضربة ان تفقدنى حياتى مرة أخرى وكان العسكرى ريحان اسود سواد الليل البهيم ضخم طويل اشبه بحيوان فى صورة بشـــر .

حضر الضابط عملية الضرب وهو الذى قام بالتنفيذ فقد طلب عدد كرسيين من الكراسى الخيرزان ووضعهم فى ظهر بعضهما بحيث يكون مكان الجلوس الى الخارج ثم احضر كلبش عادى فوضعه فى يدى ثم اجلسونى القرفصاء ومرروا غصن شوم بين ذراعاى وركبتاى ثم رفعانى على الكرسيين وتركانى فانقلبت على رأسى بحكم ثقل الرأس وكانت قدماى الى أعلى محكومتين بالشومة والكلبشات وهذا نوع جديد من الفلكه المكون من الشوم والكلبشات والكراسى والكرابيج السودانى وبدأ الضابط يضرب اول كرباج الذى كان له طعم النار المحرقة وبسرعة اخذ غطاس الكرباج من الضابط وهو يقول له .. عنك انت يا بيه – فتركه الضابط وانصرف الى مكتبه وكان الحكم الذى اصدره القائد اربعة كرابيج جعلهم محمد غطاس اربعين كرباجاً بلا مبالغة وكان يقول لى ...

– قل انا امرأه وانا اسيبك ؟! فرفضت وقلت وبتحدى أنا رجل وانت تعلم ذلك جيداً مما زاد فى غيظه ومن شدة لسع الكرباج وضعت ذيل البيجامة الجديدة فى فمى حتى اكلته باسنانى وكانت هذه البيجامة الفخمة قد اعطاها لى محمود عبد الخالق المحامى حيث لم يكن عندى بيجامة نظراً لأن عملية القبض على تمت اثناء عملى بالشركة فلم اتمكن من احضار بيجامة وكان محمود عبد الخالق قد وصله طرد به بيجامتين فأعطانى واحد منها اكلت ربعها من شدة الضرب وقد حفظت هذا الجزء المتهرى حتى خرجت من المعتقل بقصد الذكرى المؤلمة .

ولقد استفدت من هذه العلقة الآتى ...

ان اول وثانى حتى رابع كرباج يشعر المضروب لسع طرف الكرباج .. ثم بعد ذلك شعرت

بتنميل فى القدمين ولم احسن بعد هذا التنميل بكمية الضرب حتى انتهى غطاس وريحان من تنفيذ المهمة فقد تبادلا على عملية الضرب وتم اعطاء الضابط تمام بأن المهمة انتهت بتنفيذ حكم القائد وبعد فك قيدى اجبرنى الضابط على الوقوف وأمرنى بالجرى وقعت على وجهى عند اول خطوة ولكن الضابط امر العساكر ان يوقفونى مرة أخرى واجبارى على الجرى فى شبه حلقة من الجنود وقد قال لى ..

– من مصلحتك ان تجرى حتى يعود الدم الى قدميك وإلا سوف تعجز عن المشى .. وقد سبب لى هذا درجة من الرعب اقوى من لهيب الكرابيج فأخذت اجرى بقدر ما استطيع الجرى ثم عدت الى زملائى فى العنبر وانا فى اسوء صحة وكاد الزملاء ان يقاطعون الزميل الذى اوقع بى وتسبب فى مصادرة المقص الذى استفاد منه الجميع حتى هو وعندما عدت لعملى بعد الإفراج عنى كان اول مرتب اتسلمه من يد الصراف مخصوم منه ثمن المقص العهدة وكان ثمنه ثمانى قروش لا غيــــر .

ومن الغريب ان غطاس بدأ يعامل الزميل اياه بكل احتقار ويرفض الحديث معه وهو يشخط فيه بقوله له ..

– ابعد عنى مش عاوزك تكلمنى .

وحسب ما يقول المثل الشعبى عمر الشقى بقى فقد عادت الى صحتى مرة اخرى حباً فى البقاء وعدت مرة اخرى انظر من نافذة العنبر الى قبر القديس كافورى وبالذات كل يوم احد من كل اسبوع موعد زيارة الأخوة المسيحيين من ابناء الفيوم وهم فى ملابسهم الزاهية الجميلة بعد ان تعودت عينى على اللون الاصفر لون بدلة العساكر فى مدينة الفيوم ..

وفى شهر نوفمبر ١٩٥٩ انتعشت من جديد جمعية التفاؤل بعد حديث الرئيس مع المؤرخ الانجليزى أرنولد توينى واصدرت البيان رقم ١٠٠ تقول فيه بأن الإفراج فى الطريق .. وكان فليب جلاب قد استطاع ترويض محمد غطاس واقنعه باحضار الجرنال يومياً مقابل مبلغ ثابت وقد نجح فى ذلك نجاحاً عظيماً فقد كان غطاس فوق مستوى الشبهات نظراً لتشدده فى معاملتنا وهذا ليس غريباً على فليب جلاب وماله من قوة فى الاقناع وسحر فى الحديث ولم ينجح احداً فى استقطاب هذا الوحش إلا فليب جلاب .

سمعنا كثيرا عن الأماكن السياحية مثل عين السيلين وابوكسا وغيرها وكان حديث

جمعية التفاؤل هذه المرة يتوقع ان يتم الإفراج عنا من **مدينة الفيوم رأساً** وكنا نتمنى ذلك ونتطلع الى جولة فى المدينة الجميلة وفى خلال هذا الجو المغلف بالأمل والخوف وفى الساعة الخامسة تم فتح باب العنبر واخبرنا **الضابط حمدى** باننا سوف **نترك الفيوم غداً** ولم يزد على ذلك حرفاً واحداً وكان جوابه لقد سمعت ولكننى لا اعلم أية تفاصيل وغداً لناظره قريب .

وعليك ان تتخيل مدى سخونة المناقشات في تلك الليلة من تفاؤل وقليل من التشائم ولم ينم اغلب الزملاء او كل الزملاء تقريباً وفى اليوم التالى حضر **غطاس وعبد العظيم وقالا** .. باننا سوف نرحل الى **القاهرة وجعلونا** نفهم بأنه الأفراج دون ان يقولا ذلك صراحة ولما كانت ملابسنا بعنا فى نفس العنبر فقد نشط الجميع فى **كى الملابس تحت البطانية** وقد عرفنا منهما بأن الترحيل عند **الغروب** ولم نفهم لماذا عند الغروب علماً بأن المسافة بين **القاهرة والفيوم** غير بعيدة نسبياً ولكن الأمل زاد بعد ان علمنا بانه لا توجد حجله وكان ذلك امعاناً فى التمويه المطلوب وكنا مهيئين نفسياً لهذا التموية فقد كانت الحجلة بحكم التجربة الأولى هى رمز استمرار الحبس .

وكان اول بادرة للتمويه هو **فتح العنابر فى الساعة العاشرة صباحاً** وتقابل الزملاء لأول مرة بعضهم ببعض وخرجت علب الونجز وكان الجميع فى حالة نفسية شبة طيبة بعد رحلة طويلة من العذاب على ارض الفيوم وكنا دائماً ننظر نحو الإدارة لنرصد حركة القادمين والخارجين من مباحث ومن شرطة عادية وبدأت السيارات تتوافد تباعاً ولم يرغب احداً فى تناول وجبة العشاء بعد أن حل الظلام كما ان الحياة العامة تخلصت فى اليوم السابق من اى رصيد من الجبن الأبيض أو العسل الأسود او السجاير وعقب صلاة المغرب مباشرة تم النداء على الأسماء بنفس الحروف الابجدية كما حصل اول مرة وابلغونا ان نكون على استعداد كل حسب كشفه ثم سلمونا مالديهم من نقود فى حساب الكنتين ونفذت جميع السجاير من كل نوع ولم يشك احداً فى جدية الإفراج نتيجة هذه البحبحة الغير عادية . وقد لبس الجميع العمة بما فيهم العبد الفقير .



أوردى ليمان ابو زعبل
والاستقبـــال الحافـــل

مستقتلين ولا عمرنا نرمى السلاح من يدنا
مستموتين نضحك لأيام الجراح اللى ارتوت من دمنا
واحنا كده واحنا هنا جوا المنافى والسجون
فيها الجنون .. بأسم الحكومة يتعمل يصبح فنون
ماشفتش بشر متعلقين من رجلهم زى البقر
مدبوح ومسلوخ جلدهم .. صوت العذاب
كرباج مضفر باللهب .. شارب من الوشم
اللى جرحه مالتأم .. واشهد يانيل
على كل باستيل اتهدم واصبح عدم
الوشم ده حيكون شهود المحكمة
وانت يانيل شعبك حكم

الشاعر محسن الخياط

فى أوردى ليمان ابو زعبل سنة ١٩٦٠

مرة اخرى رحلة الى المجهول
وبدون حجلة

فى الساعة الثامنة مساءً حضر احد الضباط وخلفه **غطاس** ونادى باقى الاسماء ولم يكن من ضمنهم **السعدنى** وكذا بعض الزملاء ثم توالى خروج الزملاء من بوابة المعتقل وكنا نلقى النظرة الأخيرة على هذا المعسكر ذو الاسلاك الشائكة العالية وابراجه المسلحة وكشافاته الكبيره ذات الضوء المبهر الذى يعمى الأبصار والذى يكشف أى شئ يتحرك حتى لو كانت نملة وكان نداء العساكر فى الأبراج – واحد تمام – يصم الأذان واخذت كل سيارة حمولتها بالكامل وكل سيارة عبارة عن سجن متحرك حيث يغلق علينا باب حديد يحرسه عسكرى بالسلاح وقد لاحظت عدم وجود سيارات كثيرة للحراسة كما حدث عند قدومنا من القلعة فقط سيارتان واحدة فى المقدمة واخرى فى المؤخرة مما يؤكد **حسن النية عند الحكومة** تركنا بعض الزملاء فى الفيوم واعتقدت أنا بأن هؤلاء الزملاء هم فى نظر النظام اخطر مننا لذلك تم ترحيل الغلابية امثالى اولاً حسب درجة خطورة كل واحد .

تحركت بنا السيارات فى الساعة العاشر مساءً لتمر فى شوارع الفيوم التى اخليت تماماً من اهلها **وخرجنا من الفيوم متجهين الى القاهرة** وكان بعض الزملاء يشب نحو النافذة الضيقة المدعوم بالشبك الحديد ليخبرنا عن المكان الذى نمر به اولاً بأول **وقرب منطقة اهرامات الجيزة** ضمن البعض بأن الإفراج سوف يتم من محافظة الجيزة وكأن البعض كان يتمنى ذلك خاصة من لهم خبرة سابقة وعندما تجاوزنا محافظة الجيزة قال البعض ان الأفراج هذه المرة سوف يكون من مدرية امن محافظة القاهرة وبعد ان عبرنا كوبرى قصر النيل سارت العربات بنا فى اتجاه غير اتجاه مدرية امن القاهرة وعند طريق ترعة الاسماعيلية وضحت الرؤيا بأننا فى طريقنا الى أبى زعبل .

تذكر احد الزملاء الذين اعتقلوا فى أبى زعبل من قبل موضوع الراتب الذى **كان يأخذه سنة ١٩٥٦ خمسة جنيهات وعلبة سجاير ويومياً** واكل من احد المطاعم ولم يستطع ان يكتم فرحته وسعادته ولكن لا يعلم الغيب إلا الله .

الاستقبال الحافل

توقفت السيارات امام عدة مكاتب فى مواجهة للمبنى الرئيسى **لسجن ليمان ابو زعبل** وكانت هذه المنطقة ضمن حرم السجن وبها مكتب فخم اعتقد انه **مكتب المامور وكانت الساعة الخامسة صباحاً** والهدوء المريب غطى كل المنطقة حيث توجد حركة نشطة على بعد عدة امتار ومر الوقت ثقيلاً من الخامسة حتى السابعة فقد تحركت السيارات ببطء الى الداخل ثم توقفت امام باب كبير له نفس مواصفات ابواب المسجون الأخرى ولكنه على اكبر نسبياً وله ضلفتان من الخشب السميك المطعم بالحديد الثقيل شبه دائرى من اعلى ومجرد النظر لهذا الباب وهو مغلق يثير الخوف فى قلب من يراه وبالذات لأول مرة مثلى .

عرفت من اصحاب الخبرة انه **باب اوردى ليمان ابو زعبل** الذى طالما سمعت عنه كثيراً وليس من سمع كما من رأى . **وليمان** كلمة تركيه بمعنى السجن وكلمة **اوردى أى ملحق للسجن والليمان مخصص للأحكام الطويلة** - اكثر من ثلاثة سنوات **واقل حكم لمسجون الليمان هو خمس سنوات اشغال شاقة .**

ومهة هذا الملحق أو هذا **الأوردى** هى ان من يكسر حديد يتحول الى **الأوردى** فى انتظار إنتهاء مدة الحكم المتبقية بعد ما يسمى بكسر الحديد وهو اصطلاح شائع فى عالم السجون فجميع المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة خمس سنوات فاكثر كانوا يوضعون فى الحديد المحكم حول القدمين ممسوك بحزام فى وسطه السجين مع سلاسل حديدية بكل من اليدين تسمح بالحركة وقضاء الحاجة عند الضرورة والمحكوم عليه بمدة ٢٥ عام مثلاً يحول الى الأوردى بعد **١٢ اثنا عشره عاماً** واللى مدة حكمة خمس عشرة عاماً يحول بعد ثمانى سنوات اى بعد قضاء نصف المدة تقريباً وعندما يصل الى الملحق او **الأوردى** يتم رفع الحديد عنه وهذا ما يسمى **بكسر الحديد** وهناك عبارات مأثورة عن كسر الحديد تعبر عن الحسد من كسر الحديد على اساس انه أصبح قريب من يوم الإفراج وكثيراً ما يتلقى من كسر حديده المباركه من زملائه وهم يقول له .. **عقبال الختم** ، والمقصود بالختم هو **ختم الإفراج** فكل من يخرج من السجن لا يسمح له بالخروج إلا بعد رؤية الختم على رسغ الذراع اليمنى .. حتى **من يموت بالسجن يختم بهذا** الختم .

ويعتبر من يأت الى **الأوردى** من المساجين من المحظوظين لأن **الأوردى** اكل وراحة أو عمل خفيف مثل كنس ورش الحوش تمهيداً ليوم الخروج والداخل الى الليمان مفقود والخارج منه مولود خاصة اصحاب المدد الطويلة فكم من المحكوم عليهم بتأبيدة يخرج على قدميه من أى ليمان فى أى مكان فى العالم .

اما سجن ابو زعبل نفسه فهو مثل جميع السجون فى مصر ويشبه الى حد بعيد سجون لندن الانجليزية فهم الذين بنوا كل السجون عندنا وعندهم فقد كان المصمم الذى وضع تصميمات السجون فى كل من بريطانيا العظمى ومصر المحروسة واحداً وكذلك كان المهندس المعمارى واحداً وكل سجن يحتوى على اربعة ادوار علوية كل دوريه مجموعة زنازين مقسمة الى جناحين يفصلهما سلم حديد بعرض ثلاثة امتار وكل جناح به دورة مياه واحدة من منتصف العنبر بها ثلاثة من المراحيض البلدية ودش مياه ومجموعة الزنازين يقرب من الخمسين أو الاربعين وبالدور الأول علوى توجد زنازين المحكوم عليهم بالإعدام فى حدود عشر زنازين تختلف عن باقى الزنازين فى شئ واحد فقط هو الباب فجميع الأبواب من الخشب السميك المدعم بالحديد تعلوه شراعة للتهوية وشباك بمساحة متر × متر للدعوم بالقضبان المتقاطعة بحيث ترى السماء من خلاله عبارة عن كاروهات زرقـــاء .

ويختلف سجن الليمان عن **سجن الحضرة بالأسكندرية** فى شئ واحد هو ان اسوار الليمان تحتوى على عدة مبان من السجون فسجن طره مثلاً به اربعة عنابر كل عنبر سجن قائم بذاته وكل سجن مكون من اربعة ادوان وزنازين المحكوم عليهم بالاعدام مكشوفة بالكامل حيث ان باب هذه الزنزانات عبارة عن شراعة حديد بطول الباب بحيث يرى الحارس من الخارج اية محاولة يقوم بها ساكنوا الزنازين مثل محاولة الإنتحار او أى شئ مخالف وبذلك فأن جميع السجون متشابهة ومختلفة فقط فى المعاملة حسب نوع الحكم الصادر ضد كل مسجون وان الفارق بين الليمان وغيره من السجون ان الليمان له ملحق مثل اوردى ابو زعبل أو مزرعة سجن ليمان طره .

وجدنا عند باب **الأوردى** عدداً كبيراً من العساكر ومجموعة من الضباط وقد أمرونا بالنزول من السيارات لنقف فى صفوف كل صف من ستة افراد وكل فرد يحمل حقيبته فى يده وبعد ان اكتملت الصفوف أمرونا بالسير فى اتجاه عزبة ابو زعبل فى طريق مواز لسكه حديد الخانكة لمسافة تزيد عن كيلو متر او كيلو ونصف تقريباً حتى وصلنا الى ارض فضاء واسعة جداً تساوى

عدة اخذنة ثم أمرونا بالوقوف بنظام كل مجموعة على حدة يفصل بينهم عدة امتار ثم أمرونا بالجلوس القرفصاء دون أى حركة وسمعنا بعض اسماء الضباط معرفنا اسم المأمور .. **حسن منير** برتبة مقدم ونائبه **عبد اللطيف رشدى والنقباء يونس مرعى وسيد منصور ومرجان ثم اخطر شخصية الصول مطاوع .**

كان من طبعى حتى يومنا هذا ان أتفحص ماحولى لمعرفة اين انا وكثيراً ما سببت لى هذه الرغبة أذى وفوجئت بصوت **السيد منصور** وهو يقول بصوت كله تحدى اخفض رأسك يا ابن الـ – لفظ خارج – ولست ادرى من هو المقصود بذلك النعت ؟ ولكننى حاولت مرة اخرى ان انظر هذه المرة ناحية صاحب الصوت ..

ضابط فى سن الثلاثين له جسم قوى رياض اسمر خمرى يلبس فى رسغيه جلد مطعم بالحديد النيكل الابيض اللامع مما يدل على انه بوكسير او بطل فى الملاكمة على مستوى السجون تكرر نفس اللفظ من **يونس مرعى** وهو يضرب زميل على رأسه بكف يده قائلاً له بص فى الأرض كله يبص فى الأرض وكان الضابط **مرجان** مشغولاً بقطعة لبان فى فمه .

احضر بعض العساكر اربعة من الخيول أخذ **عبد اللطيف رشدى** واحداً منها وعادبه الى الأوردى وبقى كل من **يونس مرعى ومرجان ومنصور** فوق خيولهم استعداداً لما سيكون ثم حضر رجل افندى بملابس مدنية ويمسك دفتر من الحجم الكبير الخاص بقيد العهدة وطلب من الجميع اخراج كل ما فى جيوبيهم من نقود وخواتم وساعات ودبل ومحافظ ومفاتيح وكان يأخذ الخاتم الذهب من صاحبه ثم يسأله بصوت عال غليظ ...

– ما هذا .. فيرد صاحب الخاتم بقوله ..

– خاتم ذهب .. فيردد الأفندى وراءه بشكل مسرحى – .. خاتم يقال انه ذهب – ساعة يقال انها انكور – دبله يقال انها فضة حافظة يقال انها جلد وعندما انتهى من استلام العهدة كانت الساعة قاربت التاسعة صباحاً وبرغم جو الرعب الذى بدأ يسطير على المكان لم اتمالك نفسى من الضحك على شكل موظف العهدة وطريقة اعلانه عن الأشياء . .

قال السيد منصور :

– اسمع منك له له عندما تسمع هذه الصفارة تقف سريعاً كل مجموعة على حدة واعطانا

اسماء كنجي وشنجي وبرنجي ثم واصل حديثه قائلاً -

- كل ستة افراد يتحركون بالخطوة السريعة مع بعض وسوف نلحق بكم بالحصان .. ومن يلحقه الحصان سوف يطرحه ارضاً ويقفز من فوقه وهو منطرح (يموت يعيش ميهمش) .

لقد ذكرني منظر **السيد منصور بالشجيع زورو وجارى كوبر ، ويستر كراب** فى افلام زمان وكان **السيد منصور** قوى على عكس **يونس مرعى فهو** نحيف ولكنه شرس جداً وكان ضمن **الفريق القومى لكرة القدم** فى الخمسينات وكان **مرجان** ابيض الوجه يخيل لك انه هادئ ولكنه اذا استلم واحد يمضغه كما يمضغ اللبان الذى **لا يفارقه ابداً** .. اما **عبد اللطيف رشدى** فهو ضخم طويل برتبة رائد وقد تأخر فى الترقية نتيجة سلوكة الشرس العنيف .. اما **حسن منير** مأمور **الأوردى** فهو برقبة مقدم دائماً يلبس نظارة سوداء ماركة برسول ابيض على احمر عايق فى ملابسه المحزقة جداً لدرجة تلفت النظر مختال بنفسه الى ابعد حد ... وكان **الصول مطاوع** رجل صعيدى فى الخمسين من العمر له لياقة بدنية جيدة لا هو بالسمين ولا هو بالنحيف متوسط الطول اسمر الوجه قد قلبه من حجر البازلت . ما هم دوره جيداً وكل هؤلاء هم رجال **فرقة التعذيب تحت اشراف اللواء اسماعيل همت باشا وهو الرئيس الاسبق لمصلحة السجون** ثم رئيس **فريق التعذيب للتعامل مع كافة** السياسين من أى نوع .

رجل احمر الوجه عريض الجسم له صوت عادى لايدل على كل هذه القسوة .

وكان من ضمن مجموعة التعذيب هذه مجموعة من عساكر مصلحة السجون لهم خبرة بفنون التعذيب مثل كل من **عبد السلام المتربس وعبد الصادق المجنون** وهذا لقبه ، **وعابد عبد الله وعبد الحليم وهو جاويش** والأمباشى **عبد اللطيف** والأمباشى **حسن عليوة** الذى له خبره فى التعامل مع الشيوعيين **وحسن عليوه هذا** لم يشارك فى ممارسة التعذيب ولكن له مهام أخرى مثل تسريب الاخبار عمل الحوارات والحصول على معلومات أى أنه متخصص فى عمل الحوارات اذا لزم الأمر وبذلك يكون فريق التعذيب يضم كل الخبرات ومن اشهر العساكر العسكرى **ابو الوفا دنجل** والعسكرى **دومه** وهذا الفريق هو الذى قتل **شهدى عطية على باب الأوردى كما سيأتى** .

جاء على الدور وانا اجرى امام الحصان فى اتجاه بوابة **الأوردى** فقد كنت مستوعباً

جميع التحذيرات بخصوص الحصان وكان من نصيبي **يونس مرعي** ومع ذلك فقد تفاديت الوقوع امام الحصان .. وقبل باب **الأوردى** سبقني الفارس **يونس مرعي** ليكوني في استقبالي انا وزملائي الستة .

ولأول مرة أرى **اللواء همت عن قرب يجلس بجوار العروسة الخشبية المخصصة** للجلد وهي جهاز على **هيئة صليب يقيد** اليه من يوقعه حظه العاثر في هذه **العروسة** وكان يقف **بجوار همت حسن منير والعسكري ابو الوفا دنجل وهو اضبش** يحمل صنيه عليها اكواب من الشاي يرشف منها **همت** وهو يتلذذ بمنظر الدماء السائلة من البشر دون ان يظهر على وجهه اى تاثير وليس هذا بغريب على رئيس فريق التعذيب الذى شارك في **قتل فريد حداد وشهدى ورشدى خليل وعلى الديب** والذى لم يرحم العجزة واصحاب العاهات وكبار السن والمكفوفين مثل **زكي عثمان** وغيره من اصحاب العاهات المستديمة .

وكان معي في الستة الذاهبون في رحله **السباق مع الفرسان من راكبي الخيل المرحوم حكيم متري بولس** الذى انكفأ على وجهه أمام الحصان فقفز من فوقه الضابط بحصانه مسبباً ابشع انواع الرعب للترميل الضعيف فقد كان حكيم قصير نسبياً نحيف الجسم نموذج للمسيحي الطيب الذى لا ينطق إلا حباً للجميع وكان يعمل بالتدريس في **محافظة المنيا** ومعروف للجميع بعمو حكيم وقد نتيج عن هذا الرسلوب الوحشي من الفارس ان اصيب حكيم بحالة نفسية مرضية لدرجة الهذيان خاصة بعد الاستقبال الحافل الذى قوبلنا به على باب **الأوردى** وفي **حضور حضرة اللواء همت** الذى كان يسعد ويفتخر بأنه مرعب حتى لأفراد اسرته كما سأبين بعد ذلك .

وكان معي في نفس الستة **چورچ فؤاد جرجس وعادل حسونه وبالمناسبة اسمه حسين حسونه اما عادل** فهو الشهرة فقط **وحسن فؤاد وزميل** آخر عندما كان في استقبالنا **يونس مرعي** الذى قابلني وهو يمسك في يده فرع ناشف من شجر الزيتون له بزوز والفرع من هذه العصى مخصص لمثل هذا التعذيب وعندما وصلت اليه وانا الهث من سرعة الجرى واحمل معي حقيبة ملابسي قابلني بالضرب بالفرع المذكور على فمي وشفايفي واسناني وقصبة انفي وكل هذا تم في اقل من نصف دقيقة وسال الدم غزيراً من هذه المواضع الضعيفة واصبت بما يشبه الدوخة الخفيفة واثناء الضرب طلب مني ان اخلع ملابسي بالكامل يعاونه في ذلك العسكري **صادق المجنون** وهو يردد وراء الضابط كلمة اخلع هدومك بسرعة يا ابن الـ ... وفجأة كنت كما ولدتني امي والدم نازل من فمي وحدث لي ما يشبه الزهول الواعي وقبل ان استعيد

توازنى ساقنى الضابط بفرع الزيتون الجاف الى الحلاق الذى كان على مقربة من العملية فأستلمنى الحلاق دون ان ينطق بكلمة واحدة وبدأت اغرب عملية حلاقة فى تاريخ البشرية حيث وجدت ماكينة حلاقة خاصة بالحمير تدار باليد عن طريق منافلة ثم قام الحلاق مبتداءً بالذقن ثم الى اعلى على الحواجب ثم الى اسفل الى العانة مكرراً هذا الاسلوب الشاذ ثم عمل على تشويه الرأس بعد ان ازال عنها الشعر فجعل من فروة الرأس بنفس ماكينة الحمير رسم اقرب الى الكروهات وكل ذلك تحت الضرب المتواصل من مجموعة العساكر التابعة للضابط يونس فقد كان كل ضابط له فرقة تعاونة عند باب الأوردى وكان النظام المتبع فى هذه العملية القذرة كالآتى :

كل ضابط من الثلاثة يونس ومنصو ومرجان يركب حصان ثم يسوق امامه ستة افراد محاولاً دفعهم فى ظهورهم برأس الحصان حتى باب الأوردى ثم يمارس عملية الضرب المدروس على خفيف كما شرحت حتى يصل الزميل الى يد هذا الحلاق الصامت وبعد الإنتهاء من الدفعة يعود الفارس الى الجبل مره أخرى ليحضر ستة آخرين وهكذا حتى آخر دفعة من المعتقلين .

بعد ان انتهى الحلاق من العبد لله تركنى امام باب الأوردى الذى كان مفتوحاً على مصرعية لاجد امامى حوش فسيح وكان همت ينظر الى وكذلك حسن منير وباقى العسكر ينظرون لى نظرة المتفرج على كائن غريب وقبل ان افيق من كل هذا شخط فى حسن منير ....

– ادخل يا ولد يا ابن ... فأتجهت نحو الباب الذى يظهر عليه الهدوء وعندما وصلت الى الباب خرج من خلفه زبانية جهنم اربعة من العسكر الأشداء امسك اثنان منهم بكل ذراع من الخلف ثم حضر عبد اللطيف رشدى ودفعنى بضربة فوق المقعدة عند الوسط وقبل ان انطرح ارضاً على وجهى رفعنى العساكر المسكين بالذراعين بحيث كان وضعى لا انا واصل الى الأرض ولا انا واقف على قدمى أى بين بين وهو منظر وحشى وغير انسانى وبدأت ضربات الجريد بسرعة تعادل خمسين ضربة فى الثانية الواحدة وبالرغم من ان الجريد ارحم من الشوم إلا ان كل ضربة بالجريدة تخرج و معها قطعة من جلد الظهر واقطع ما فى هذا الجريد الشوك المعروف باسم السبل وكانت كل جريدة بها اكثر من ٥٠ سلايا اشد وخزاً من الابر واثناء عملية الضرب بالجريد كان عبد اللطيف رشدى يكرر ضربه لى بالحذاء الثقيل فى وجهى وهو يقول ..

– اسمك وسنك وعنوانك .

– حسن أحمد محمود المناويشى ..

– مفيش افندم ؟ ضربنى مرة اخرى مكرراً نفس السؤال مفيش افندم ؟ فأدركت المطلوب فقلت له افندم فقال – اعد مرة اخرى فقلت له اسمى مع كلمة افندم المطلوبة . وكان بجوارى الزميل چورچ فتلقاه الضابط بنفس الحفاوة وسأله .. مفيش افندم واعتقد چورچ انه يقصد لقب عائلته فقال لا مفيش فأمر الضابط باعادة ضربنا مرة أخرى لأننا أغبيان فضربونا من جديد حتى نطق چورچ كلمة افندم عدة مرات . واخذنا علقتين بدلاً من واحدة وكادت اسنانى ان تتحطم من الضرب بالشلوت فى وجهى اكثر من مرة ومنذ هذه العلقة العجيبة وانا اكره غنوة يا جريد النخل العالى ميل وارمى السلام وعندما اسمع كلمة « جريده » حتى لو كانت عن الجرائد المقروءة اتذكر جريدة الضرب العالى وليس النخيل العالى .

وبعد هذه الوجبة النادرة امرنى الشاويش عبد الحليم ان احمل نمرتى وهى عبارة عن بوريش ليفى وبطانية واحدة و قروانه المنيوم وقطعتى ملابس عبارة عن قميص وسروال من قماش لا هو شاش ولا هو أى حاجة من انواع القماش والغريب عند دخولى من باب الأوردى اننى لم ار احداً من الزملاء الذين سبقونى حيث الصمت الرهيب والسكون المريب لدرجة اننى توقعت ان تكون هناك عمليات قتل جماعى وان الزملاء رحلوا الى العالم الاخر ويظهر ايضاً ان هذا هو المقصود بحيث يملؤنى الرعب إذ احسست بأنى فقدت زملائى ولا ابالغ إذا قلت ان كل هذا تم فى دقائق معدودات وبعد ان يحمل كل فرد نمرته يقوم الشاويش عبد الحليم بتوجيهه توجيهاً عشوائياً الى احد العنابر الخمسة حيث كان عنبر واحد مسكون بالزملاء الذين حضروا من الاسكندرية بعد محاكمتهم وهم اصحاب القضية الأولى .

كان لقاء يونس مرعى صدمة وكان لقاء الحلاق صدمه وكان استقبال عبد اللطيف اشد هذه الصدمات وبعد ذلك الصمت الذى يشبه صمت القبور وكنت اتعثر وانا احمل هذه الاشياء وحسب الأوامر توجهت الى عنبر رقم ٦.

واثناء الضرب عند باب الأوردى وبسبب اعادة الضرب مرة اخرى لمحت اللواء همت ينتقى بعض الزملاء ويأمر بضربهم على العروسة كما لو كان يحمل لهم ضغينة او هناك توصية عليهم فقد أمر بضرب اكثر من زميل وكان يقول بصوت مفتعل من اجل مزيد من التهويش .

– هات الولد ده . على العروسه وهات ابن الـ يحضن العروسة وحمدت الله

فى سرى بعدم ذهابى الى **العروسة** وجهاز ما يسمى بالعروسة وهو خاص بعمليات الصلب والجلد وهى على هيئة صليب وفتحتين لادخال الزراعين مقيدتين يحكمهما **كلبش من الحديد** بحيث تكون الرأس والذراعين نافذتين من خلف العروسة الخشب ثم يقيد **الساقان بالحديد** من اسفل وبذلك يكون ظهر الضحية امام الجلاد بلا أى نوع من المقاومة او حتى **الفلفصة** .. وأداة الجلد عبارة عن يد خشب او جلد بها عدة ضفائر من الكتان المجدول المغموس فى حياه مالحة جداً بغرض عدم تلوث مكان الجلد الدامى رحمة بالمجلود ؟! وكان **همت يضحك بصوت** مسموع عند جلد أى زميل **على العروسة** وكان **حسن منير يضحك اذا ضحك اللواء ويشخط اذا شخط** وكان يعلق على اجساد العرايا تعليقات خارجة وظلت حفلة الإستقبال هذه مستمرة حتى الساعة الثالثة بعد ظهر نفس اليوم وكانت الدماء تغطى ارض الاستقبال حتى اليوم الثانى واعتقد ان اثار هذه الدماء موجوداً إلى اليوم وابشع ما حدث هو **تشويه البشر بعد حلق الذقن و الشارب والحواجب والرأس بهذه الطريقة الغير إنسانية** كان عنبر **رقم ٦ من اسوء عنابر الأوردى نظراً** لانه كان يستخدم كمخزن خاص بالليمان وهذا من سوء حظى الذى لازمنى طوال هذه الحبسة .

دخلت العنبر **وانا احمل نمرتى (البورش والبطانية والقراونه)** لاجد امامى مسخ من البشر لم اتعرف على أحداً منهم فكلهم لهم نفس الوجه ونفس الملامح وقد تعرفت على بعض الزملاء من صوته فقط حتى اطمئن قلبى بأن هؤلاء هم نفس الزملاء زادت هذه الحيرة فى بداية الأمر اننى لم اقابل اغلبهم قبل ذلك . صحيح حضرنا بكشوف تضم الاحرف الأبجدية ولكن بعد الاستقبال كان التوزيع توزيعاً عشوائياً على عنابر **الأوردى** وهذه ايضاً كانت مقصودة .

كان الزملاء عبارة عن **مجموعة من الجرحى والدماء مازالت تسيل من الوجوه والأجساد** وعندما نظرت الى ظهر احد الزملاء وجدت الجريد مرسوم على الظهر بنفسى النظام الذى كان عليه الجريد وهو فوق النحل ودخل بعدى مباشرة **الزميل عبد المنعم درويش** ووجه يسيل منه الدم بغزارة وهو يقول بصوت حزين

– **آل وطنية آل – يقصد الحكومة** – ثم وهو يقول

– اذا كانت **الحكومة وطنية** وعملت فى كده آمال انا ماذا اكون ؟ وكرر هذه الجملة – آل وطنية آل ؟؟!

وقد كان هذا الزميل يعمل بشركة ماتوسيان للسجاير وهو فى نفس الوقت عضو بتنظيم : حــدتو : الذى انشق عن الحزب الشيوعى المصرى الذى ضم جميع التنظيمات الشيوعية بعد الوحدة فى ٨ يناير سنة ١٩٥٨ واصبح اسمه الحزب الشيوعى المصرى منذ هذا التاريخ ووحدة الشيوعيين هذه هى التى كانت من اهم اسباب اعتقالات الشيوعيين من سنة ١٩٥٨ حتى ١٩٦٤/٤/٤ وانهاء القضايا الشيوعيه فى مايو ١٩٦٤ بسبب تحويل مجرى النيل .

وقد اختلف الشيوعيون حول طبيعة الحكومة وكان خط الحزب يقول بأن الحكومة تمثل رأسمالية الدوله الإحتكارية ويجب اسقاط النظام وزعيمه جمال عبد الناصر .

وكان تنظيم حدتو يقول بأن الحكومة وطنية وعلى رأس هذه الحكومة مجموعة من الإشتراكيين برئاسة جمال عبد الناصر . ولكن بعد العلقة العظيمة على باب الأوردى واستقبال همت الحافل تغيرت كثير من الآراء وكان اول من سمعته هو عبد المنعم درويش الذى لم يكن يتوقع هذه المعاملة من حكومة وطنية وكان يردد مقولته التى مازالت عالقة بذاكرتى حتى اليوم وهو يقول بسخرية .

– آل وطنية .. آل .. امال انا ابقى اية ؟ ثم قام بطبع عدة قبلات على حائط العنبر حيث كانت شفتاه تقطران دماً غذيراً ظل جامداً على حائط العنبر حتى تركناه ومن يدرى قد تكون بصمة شفاه عبد المنعم درويش باقية الى الآن ؟!! فقد كان عبد المنعم ممتلىء الجسم والوجه وله شفاه مميزة ولأول مره فى حياتى ارى بصمة شفاه دامية وكل بصمات الشفاه تكون باجمل انواع واشكال الروج ماعدا هذه البصمة فقد كانت بالدم . ولو عندى موهبة فنان تشكيلى لرسمت من هذه القبلات اروع لوحة لاجمل شفاه للانسان المناضل .

بدأ كل فرد يرتب غرته ويرتدى قطعتى الهلاهيل قميص وسروال وطاقية لونهم لا هو ابيض ولا هو اصفر وعدد من هذه الملابس ممزق والحياكة غير جيدة وتشبه الشاش وبمجرد ان وضعت هذه الملابس على جسدى التصقت تماماً باللحم الدامى وكنت اسمع أنات مكتومة صادرة مني ومن غيرى مع قليل من التماسك الظاهرى ولم نخرج من هذه الحالة إلا عندما دخل العسكرى عبد السلام ليعرفنا كيف نستعمل هذه الأدوات فقال بصوت سمعه الجميع .

– بعد الساعة الخامسة مساءً يفرد كل واحد نمرته البورش والبطانية والقروانة هى

المخدة على ان تحضرها معك عند استلامك اليمك تتركها وتأخذ أخرى بها اليمك وكذلك عند استلام يمك العشاء ومن يجلس على النمرة قبل الخامسة يعرض نفسه للضرب .. مفهوم يا اولاد الـ .. ثم اغلق الباب بالمفتاح .. وبعد الساعة الخامسة مساء تم فتح باب العنبر ودخل منه الصول مطاوع وهو يقول بصوت أجش ..

– انتباه .. ولم يتحرك أحد . فدخل خطوة الى أول العنبر وهو يقول بنفس الصوت ..

– لما نقول انتباه .. يقف الجميع بسرعة ومن لم ينفذ سوف يضرب بالفلكة وبالشومة ايضاً ثم سكت برهة ليقول من جديد .

– انتباه ووقفنا جميعاً بسرعة رهيبة برغم الجروح التى مازالت تنزف ثم تحول الصول مطاوع عن الباب ليدخل اربعة من السجناء العاديين قادمين من سجن الليمان يحملون جراكل اليمك للعشاء فتقدمنا بخطى بطيئة كل يحمل طبقه ليصب فيه المسجون اليمك وهو عبارة عن سائل مائى به بعض ثمرات البطاطس بقشرها وقطعة من الجلد يقال – حسب تعبير موظف العهدة – انها لحمة . ثم القوا بالخبز على ارض العنبر وقالوا لناكل واحد فيكم له ثلاثة أرغفة فى اليوم ثم قدم مسجون أخر طبق صغير جداً به قطعة من الجبن الأبيض تشبه الحجر الجيرى لزوم الفطور فى الصباح وتكرر هذا مع باقى الزملاء فى كل العنابر ولكن لم يستطع احداً ان يقرب هذا الطعام لسببين ... الأول الحالة النفسية التى كنا فيها فمازالت الاجسام تنزف وبعض الزملاء حالته خطيرة مثل الزميل حكيم مترى فى العنبر رقم ٥ المجاور لنا مباشرة ويفصل بيننا اقل من مترين وان الشباك فى مقابلة الشباك الآخر ومنذان دخل حكيم العنبر وهو فى غيبوبة متقطعة مردداً بصوت حزين بعض العبرات التى تدل على ما هو فيه من الم مبرح وقد صاح احد الزملاء فى عنبره بصوت سمعناه فى عنبر ٦ وهو يقول بنحيب واضح ...

– مات الاستاذ حكيم .. حدث شئ من الانزعاج عند الجميع ومنهم انا وكنت قد لمحت الزميل محمود شاهين رحمه الله وهو يدخل عنبره فناديت عليه من الشباك فعرف محمود صوتى فقد كنا شبه اقارب وابناء حى واحد وسألته عن حالة حكيم فقال حكيم تعبان ولكنه لم يمت ولكنه الحالة سيئة ووعدنى بأن يبلغنا اولاً بأول ويسأل عن الحالة عندنا فطمئنته . وكان حكيم عندما يعود إليه وعيه يتهيأ له بأن عبد اللطيف رشدى مازال يضربه وكان يردد بعض أيات من الكتاب المقدس والإنجيل وكان الزملاء يحتضونه حتى تهدأ نفسه من الرعب فقد تعرض عدة

مرات للقفز بالحصان من فوقه اثناء الجرى حيث انكفأ على وجه اكثر من مره وكان **يونس مرعى هو الفارس الهمام .**

كان هذا التخاطب مع عنبر رقم ٥ هو اول اتصال لنا مع الزملاء مما شجعنا على مزيد من التماسك وكان **صوت حكيم مترى يخرق الأذان** وهو يقول .

– **لهيب سعير دون توقف اغيثونى يا زملاء انقذونى من هذا اللهيب** وكان حكيم هو اول من ابكانى اكثر من مره كما أبكى كثيرين غيرى .

ولم ينقطع مرور عساكر السجن خارج العنابر وهم يقولون .

– شايفك يا مسجون ياللى هناك بكره نوريك واجلس مكانك ولكن اصحاب الخبرة من الزملاء قالوا لنا ان هذا مجرد تهويش

وعندما أتيحت الظروف بلقاء عنبره كان أول من بحثت عنه **هو الأستاذ حكيم مترى بولص الذى كان يردد قول السيد المسيح .. انتم ملح الأرض فاذا فسد الملح بماذا تملح ؟!** وكان كل عنبر من عنابر الأوردى على شكل مستطيل بطول ٣٠ متر تقريباً ينتهى بدورة مياه بلدى تكاد تكون مكشوفة تماماً عندما يقف من بداخلها وعلى جانبى العنبر مصطبتين من الحجر الجيرى لزوم النوم تفصل بينهما طرقة بعرض متر واحد ولكل عنبر عشرة شبابيك على الجانبين مدعمة بالقضبان المتقاطعة يمر من خلالها الهواء محدثاً صفيراً رهيباً خصوصاً فى فصل الشتاء .

دخل علينا الصول مطاوع فى اليوم الثانى وهو يقول ..

– انتباه .. وقف الجميع ثم دخل خلفه **حسن منير وعبد اللطيف رشدى الذى** قال بتحد سافـــر .

– كل واحد فيكم له نمرة عليه ان يحفظها جيداً وإلا تعرض للفلكة ويدأ بالزميل الموجود بجوار الباب وقال له انت نمره واحد وقال بصوت اعلى .. عد وبدأ العدو واصبح كل واحد عبارة عن نمره يتعامل بها فى الجبل بعد ذلك فقد كان كل شئ محسوب بدقة .

بعد ذلك طلبوا منا الخروج بشكل منظم واقفونا امام الباب الرهيب مكان ماستقبلونا ثم

اخرجوا عنبر رقم ٥ هو الآخر ليقف خلفنا وبحثت بنظرى عن **حكيم** فلم اجده وبعد قليل علمت انه فى العنبر نظراً لعدم قدرته على الحركة حتى اطمئنت نفسى على هذا الرجل الطيب .

سـرنا فى نفس الاتجـاه عند الخـلاء الواسع لدرجـة اننى توقـعت ان يكرروا مـعنا حـفلة الأمـس.. ولكن لا توجد خـيول ولا ضـبـاط سوى **منير ورشدى والصول مطاوع وعدد من عساكر السجن** ولم يطل بنا التفكير حتى توقفنا امام كمية من الحجر الجيرى الوارد من محاجر ليمان طره ملقاه فوق شريط السكة الحديد وكان المطلوب هو نقل جزء من هذه الاحجار لإفساح طريق الى الناحية الأخرى من الجبل أى بحرى السكة الحديد واحضر والناعدة مقاطف كاوتش لزوم رفع الحجر الصغير وبدأت عملية رفع الحجر حتى قاربنا على الإنتهاء ولم يبقى إلا بعض القطع الصغيرة وطلبوا منا أن نملأ المقطف حتى آخره وكان حسن منير يقف بجانبى ولم اشعر به فقد كانت جرحى مازالت حية كفيرى وطلبت من **الزميل محمود ندا المحامى** ان يساعدنى فى رفع المقطف بقولى ..

– **ارفع معى يا زميل** .. فالتفت الى **حسن منير كمن لدغه عقرب** وهو يقول لى .

– **مفيش هنا زميل ولا رفيق** يا ولفظ خارج وقال ساكت ليه يا **عبد اللطيف** على كلمة زميل .. **فقال عبد اللطيف ... اديله اربع شومات يا عبد السلام** .

لقد جربت كل انواع الضرب فلم اجد ابشع وافظع من ضرب الشوم الذى يهشم غضاريف القدميـه .

قلت للضابط – مش حقول زميل مرة اخرى ولكنه لم يتركنى إلا بعد الضرب بالشوم وقد اراد الزملاء ان يحملونى نظراً لشدة الألم ولكن المأمور قال – اتركوه يمشى بدل ما يعجز ووصلت الى العنبر بمساعدة زملائى بكل صعوبة لتكون **ليلة اخرى من ليالى الأوردى الرهيبة** وبدأت الملابس من جديد تلتصق على الاجساد وعندما كنا نحاول خلعها كنا ننزف من جديد والشئ الوحيد الذى ساعدنا على تخفيف هذه الحالة هو الإغتسال تحت مياه الحنفية والجلوس بدون السترة العلوية ومازلنا لم نقرب الطعام لليوم الثانى وكان الالم غالب على الاحساس بالجوع ومازال الخبز واليمك موجود داخل العنبر بحاله وقرب الساعة الخامسة حضر **الصول مطاوع والقى مجموعة من التعليمات** لتنفيذها صباح اليوم التالى فقال ...

– .... افـهم انت وهو هذه التـعليمـات حـتى لا تتعـرضـوا للضـرب بالشـوم فى **الساعة**

السابقة صباحاً تكون واقف بجوار نمرتك استعداداً لطابور الرياضة لمدة ساعة .. بعدها تجهز بنفسك للخروج للعمل فى الجبل ومن يتخلف يعرض نفسه للفلكة مفهوم ؟ ثم خرج وترك غلق الباب للشاويش حسن عليوه .. الذى اخبرنا بوجود زملائنا فى عنبر واحد ومنهم الدكتور فؤاد مرسى والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وأحمد نبيل الهلالى ويوسف درويش وامين شرف وريمون دويك وعبد المنعم شتله ومحمود امين العالم و كمال السيد وأخرين من رجال الفكر والثقافة .

كانت مهمة حسن عليوة خاصة بفتح وغلق الابواب نظراً لخفة يده فى ادارة المفتاح بحيث يفاجئ المعتقلين وهم على حالتهم وذلك بغرض ضبط اية ممنوعات داخل العنابر ولقد اكتسب مهارة فى هذا العمل ومن مميزات حسن عليوة انه متخصص فى التعامل مع الشيوعيين وله منهم اصدماء فى كل السجون وكانت لحسن عليوة شهرة على مستوى مصلحة السجون وكان هو الشاويش المفضل عند حسن منير فقد كان حسن عليوة ذو شكل مقبول بل هو أشيك سجان فى مصلحة السجون وكانت المباحث تستفيد من استخدامه حيثما يكون شيوعيون وايضاً لا المامه بالقراءة والكتابة بشكل جيد ...

وكانت مصلحة السجون ايام النظام الملكى تختار بعض الشباب من اصلاحية الاحداث ليكونوا من خيرة حرس السجون منهم ليس لهم أسر او عائلات غير مرتبطين بأى عواطف اجتماعية وليس لهم اقارب او معارف بالاضافة الى حقدهم على الناس والمجتمع وبذلك تضمن ادارة السجون ولاء هؤلاء النوع من العسكر وهو نظام اوجده الانجليز ولم تلغى حكومة الثورة هذا النظام وان بقى من هؤلاء العسكر عدد غير قليل .

وكان حسن عليوه يلازم المأمور فى كل تحركاته وكان هو اول دفعة تعين بالمصلحة من غير رجال الاصلاحية وكان هو مصدر كل المعلومات التى تصلنا فى الأوردى بعد ذلك وبفضل حسن عليوة علمنا بوجود الزملاء فى عنبر او بوجود سعد زهران ولاحظ اننى لم اتوقع وجود زملاء لنا ولم اتعرف على بعض الاسماء فقال لى .. يظهر انك كركى .. يعنى حديث العهد بالسجون أى غشيم وعرفت منه ان كل العنابر علمت فقد اخبرهم جميعاً كما اخبرنا وتوقعت ان يكون دور حسن عليوة مرسوم من قبل المباحث ليخدم على الهدف المطلوب من وجودنا فى الأوردى فهو الذى نقل لنا خبر تأميم بنك مصر وغيره من الأخبار الهامة وحدث

نوع من الاطمئنان والونس عند جميع الزملاء بعد معرفتهم بوجود القضية فى عنبر ١ وكنا نتشوق للخروج بأى وسيلة لمقابلة الزملاء قيادة الحركة الشيوعية المصرية وكنا نعتقد بأن حال عنبر القيادة افضل منا ولكن هم ايضاً بشر وكانوا يرغبون فى رؤيتنا من أجل الونس ايضاً .

عند الظهر حضر مطاوع ومعه عبد اللطيف رشدى وحسن منير وعدد من العساكر يحملون الجريد والخيرزان والزخم والشوم وقال لنا بصوت آمر ..

– اسمع انت وهو .. اعتباراً من اليوم هناك تمرين داخل العنبر عليكم ان تحفظوه جيداً ومن لم ينفذ سوف يجلد على العروسة وها هو السيد مأمور السجن واقف ومن كان منكم عنده أى اعتراض أو شكوى يتقدم .. وساد الصمت لمدة ثوانى ثم عاد مطاوع يقول ... اسمع انت وهو نفذ فوراً . ما اقول .. للخلف در .. وقبل ان نستوعب الأمر انهالت الضربات القوية بالجريد والاكف على الأوجه والروس من العسكر المنتشرين بطول العنبر وهم يقولون اسمع كلام حضرة الصول يا ابن .. قال قف .. فتوقف الجلادون عن ضربنا وهم فى حالة غيظ من الصول مطاوع فقد انفتحت شهيتهم لرؤية الدماء تسيل من جديد .. ثم قال مطاوع .

– اسمع يا مسجون انت وهو .. سوف انادى عليك واقول فك الحزام – تفك حزام بنطلونك فوراً ثم تقف على كعب قدمك اليمن وتنحنى للأمام تماماً وعند سماعك نداء لف للتفتيش تلف وانت منحنى على كعب رجلك باقصى سرعة ممكنة ومن لم ينفذ يجلد على العروسة وغمز بطرف عينه الى الجلادين وبدأت عمليات الضرب من جديد ولكنه شخط بحركة مسرحية بوقف الضرب لاعطائنا فرصة للتجربة .. ثم قال ..

– سوف اعد حتى ثلاثة لتبدأ عملية اللف المطلوبة .. واحد اثنين – ثلاثة .. لف .. وبدأت عملية اللف تحت الضرب بالجريد والعصى والاحذية الغليظة وسقطت بعض السراويل وانكشفت بعض العورات وانطرح البعض ارضاً من اثر الدوخة بالذات كبار السن كل ذلك والمأمور وضباطه يقهقهون من الضحك المفتعل ويطلب المأمور من مطاوع ان يعيد التجربة لان بعض المساجين لم يتقن هذا التمرين ولابد من تكراره عدة مرات ؟ وبالفعل تم اعادة اللف على الكعب ودكة السروال محلولة وممسوكة باليد مع الانحناء الى امام مع الركل والضرب على القفا وعلى الظهر كفما يكون وافهمونا بأن هذا هو تمرين الصباح داخل كل عنبر بخلاف طابور الرياضة اليومى فى حوش السجن الفسيح .. وبعد هذا التمرين الذى له طعم

العلقم طلبوا مننا الذهاب الى الحمام لأخذ دش ساخنه قبل تناول طعام الغداء حيث كان اليوم هو يوم جمعة موعد استحمام جميع السجناء على مستوى الليمان كله .

كان الحمام نوع آخر من العذاب ولكن ربما ضارة نافعة كل عنبر يذهب الى الحمام يخلع ملابسه عند باب الحمام ولما خلعنا ملابسنا ودخلنا الى الحمام الجماعى تركونا ما يقرب من عشرين دقيقة وهم يراقبوننا من فتحات خفيفة ليروا كيف يتصرف الشيوعيون وهم عرايا تماماً مكشوفة عوراتهم بعضهم لبعض .. ولكن للأمانه كان الجميع على اعلى وأرقى مستوى من القيم والرجوله فلم نر إلا بشاعة الجروح واثر وحشية المعاملة البعيدة عن ابسط قواعد السلوك الإنسانى وعندما اعطى **الصول مطاوع** الأمر بفتح المياه . جاءت المياه ساخنة لدرجة الغليان وكادت الأجساد الجريحة ان تحترق وبرغم هذا وجدنا ان المياه الساخنة فرصة لتطهير جراحنا وبعد مدة قصيرة تأقلمنا مع هذه المياه وبعد قليل من المعاناة اخذنا نغسل جراحنا كل زميل يعاون الآخر فى ازالة بعض الدماء واثر الحجر الجيرى الذى حملناه من فوق شريط السكة الحديد وكان اثر هذا الحمام عظيماً فساعدنا على الشفاء بسرعة ومع هذا ظلت بعض الجراح حية ومن **اهمها جرح الكرامة** .. تلك الكرامة التى تبعثرت على **اعتاب اوردى ليمان ابو زعبل** يوم الثانى والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٩ .

عدنا الى العنبر ونحن فى حالة نفسية افضل خاصة بعد ان تسلمنا ملابس نظيفة نسبياً خالية من اثر الدماء وكان البعض قد شعر بالجوع وقررنا ان نأكل من الخبز الموجود فى العنبر ولكن كانت المفاجأة اننا لم نجد أى اثر للخبز داخل العنبر فقد تم رفعه ولا توجد منه كسرة صغير فهذا التصرف من قبل الادارة هو ايضاً مدروس بدقة وكانت فرصة بالنسبة لعساكر السجن الفقراء جداً لأخذ هذه الكميات من الخبز الذى كان مرطرطاً داخل العنابر وهو بالنسبة لهم فرصة نادرة خاصة وان خبز ليمان ابو زعبل من النوع الجيد عن باقى السجون على اساس انه مميز بسبب العمل فى الجبل وقد كان اجمل شئ فى الليمان **هو الخبز والعدس الأصفر** .

حان موعد استلام اليمك الساعة الثانية بعد الظهر فطلبوا منا الخروج على شكل طابور فردى لاستلام اليمك وبالفعل خرجنا فرادى لنجد صفين من العسكر نمر من بينهم فى الذهاب والعودة وهم يشيعوننا بالضرب على القفا بدون جريد او عصى هذه المرة .. وعندما وصلنا إلى قرب الباب الرئيسى حيث اليمك المكون من عدس اصفر وخبز اوقفنا **الصول مطاوع** وهو يقول لأحد

- **يا عسكرى يا دومة العدس ناقص ملح** .. قام العسكرى دومه بأخذ حفنة من التراب **ليضعها فى چراكل العدس وهى چراكل مفروض انها من الصاج المجلفن ولكنها كانت من الصاج** المعفن .. ولم يكتف **مطاوع** بذلك بل انه قال للعسكرى **صادق المجنـــون** ..

- **يا عسكرى صادق العسل حامض** .. فقام العسكرى صادق باحضار زجاجة فنيك وصب منها قليل على چراكل العسل الأسود الذى تحول الى چراكل من الفنيك وبرغم ان كمية الفنيك كانت قليلة إلا ان العسل الأسود بنوع خاص يتفاعل مع الفنيك بالذات وهذه ايضاً عملية مدروسة بدقة كأسلوب من اساليب التعذيب ومع كل **هذا اكلنا العدس بالتراب والفنيك بالعسل** فقد كان لابد للحياة ان تستمر مهما حصل ومهما كان .

ومن اهم الأكلات التى حصلت فى **أوردى ليمان ابو زعبل هو العيش بالعدس** ثم الضرب والجلد بالفلكة وغير الفلكة وبكل صدق وإمانة كان نصيبى من الضرب هو اكبر نصيب سواءً فى الفيوم او فى أوردى ليمان ابو زعبل دون ان يكون لى اى فضل فى ذلك ولعل الأمر يعود الى سمنة العبد لله التى تشجع الآخرين على ضربى لدرجة اننى فقدت القدرة على الإحساس بالم الضرب او الخوف يعنى جتتى قد تنحست واثقلتها **كرابيج الفيوم والجريد و الشوم فى الأوردى** .. ومازال **دبشك البندقية موجود** فى مؤخرة رأس حتى اليوم ومازالت الشلاليت تؤلمنى فى نهاية عمودى الفقرى التهمت طبق العدس وطبق العسل والثلاثة ارغفة دفعة واحدة ولما نبهنى احد الزملاء بأننى اكلت تموين الـ اربعة وعشرين ساعة القادمة .. قلت له .. باننى اعلم ذلك حيث ان بعض الزملاء من ابناء الذوات يتأففون من هذا الطعام وسوف اجد من الخبز فيما بعد ما يسد جوعى .. ولكن خاب ظنى فقد انقض الزملاء بسرعة الصاعقة على اليمك ومن ابقى على قليل من الخبز اخفاه بين طيات البورش فقد اصبح البورش هو الدولاب الوحيد لإخفاء الخبز حيث لا يوجد شئ يتخاف عليه بعد اليوم مثل الخبز الذى يشبه الفطير العلاجى وكنت اقضى اليوم كله بوجبة غذاء واحدة بعد كل ظهيرة حتى اعتدت على هذا النمط من الحياة .

لم **تنقطع انات الزميل حكيم بل زادت** بعد طابورلف للتفتيش كل صباح فقد لنتابته حالة من الصرع والهلوسة طوال الليل والنهار لدرجة ان احد الشاوشيه **واسمه عبد اللطيف**

أحمد امتنع عن ضرب الزملاء بعد ان لاحظ حالة حكيم المتدهورة وعندما حل الدور على عنبر ٦ رفض ايضاً ان يضرب احداً من الزملاء وكان يضرب بالعصا على حائط العنبر مما لفت نظرا المأمور له وسمعنا الصول مطاوع يقول للجنود قف فتوقف الجميع عن ضربنا وساد صمت بشع لمدة نصف دقيقة وقال المأمور لمطاوع ..

– هات العسكرى عبد اللطيف هنا يا مطاوع .. فنادى الصول .

– يا عسكرى عبد اللطيف .. افندم .. احضر سريعاً امام البيه المأمور .. حضر العسكرى ودار بينه وبين المأمور اغرب حوار وبدأ المأمور قوله ..

– لاحظت انك لم تضرب احداً من الشيوعيين فى عنبر ٥ فقلت انك متأثر بحالة المريض اللى اسمه حكيم .. وكذلك هنا ايضاً فى عنبر ٦ لم تضرب احداً فما هى حكايتك بالضبط ؟! .. اجاب العسكرى ..

– انا من الآن فصاعداً لن اضرب احداً واذا كنت عاوزنى اضربهم اعطنى أمراً كتابياً بذلك لأن الضرب تم منعه من مصلحة السجون من عدة سنوات ..

كان هذا الحوار امام المعتقلين فى عنبر ٦ واعتبر المأمور ان العسكرى يتحداه فقال له ..

– انك تخالف الأوامر وتعرض نفسك لمجلس عسكرى ..

– انا لم اخالف الأوامر وقد منع الضرب بأمر من اللواء محمود صاحب مدير عام المصلحة وسيادتك عارف بأننى سبق ان حوكمت قبل ذلك بسبب ضرب احد السجناء فى الماضى ولن اضرب احداً إلا بأمر مكتوب .. فقال لـ المأمور .

– احضر الى المكتب محبوس فرد الشاويش وراء المأمور .

– محبوس محبوس ولا ارتكبش جريمة قتل .. ثم انسحب الجميع بعد هذا الحوار الذى لن يتكرر مرة اخرى داخل السجون المصرية دون ان نكمل لف للتفتيش .

لقد رفع الشاويش عبد اللطيف روحنا المعنوية ومع ذلك لم نأخذ الموقف المطلوب أخذه فى أوردى ليمان ابو زعبل .

اوردى ليمان ابو زعبل
سنة ١٩٦٠

سـألنى الفجـر مـن انـت؟؟
يا قـايد فـى الظـلام شمعـه ؟؟
وليـه سهـران لحـد امتـى؟؟
بتسقى الشمع من دمعك وخطـت
و كـم مـرت عليـك شـدة؟؟
ايـدها فـى يـدك
و كـم مـره الشتاشتـى؟؟
و كـم مـره الربيـع واعـدك؟؟
انـا يـا فجـر حـرية
تهـز الكـون مواكبهـا
وغنـوة حـب ثـورية
جمـيع الشعـب رددهـا
عشـان الكـل يتمتـع
بخـير الأرض والمصـنع
بـأيد نبنى وايـد تـزرع
وايد تـعرف تشـيل مـدفع
عرفـت انـى انـا أنـت ؟

كلمات/المهندس الراحل
محمود المستكاوى



بداية العمل فى الجبل وحوار مع البازلت

اليوم السبت الأسبوع من الثانى نوفمبر سنة ١٩٥٩ خرجنا فى طوابير جميع العنابر كل عنبر مكون من عدة صفوف – عشرة تقريباً – وكل صف ستة افراد متجاورون يفصل بين كل صف حوالى متر وكان اول الطابور عند الطريق الذى سبق ان مهدناه بعد رفع الحجر منه بالأمس فقط وآخر عنبر مازال عند باب الأوردى العتيق – مساحة تقرب الكيلو متر – وكان الطول يعطى شكلاً دراميا مؤثراً فقد كانت القطارات التى تمر على مقربة من الأوردى ترى هذا الطابور الفريد وكان راكبوا هذه القطارات الذاهبون الى **الخانكة او الى القاهرة** يتدلون من شبابيك وابواب القطارات حتى سائقوا القطارات كانوا يقللون من سرعة سير القطارات فقد كان منظر هذه الطوابير جديداً من نوعه فهم يمرون يومياً على سجن ابو زعبل وعلى الأوردى ولم يروا مثل هذا الطابور واعتقد انهم كانوا يعرفون بأن هؤلاء هم **الشيوعيون** المصريون الذين يتحدث عنهم **الرئيس** يومياً وكذا **لاذاعات والصحف** وكانت ادارة المعتقل سعيدة بهذا المنظر وكانت تتركنا من الساعة الثامنة حتى الساعه التاسعة ثم يتحرك الطابور **فى اتجاه جبل ابو زعبل الذى يبعد عن الأوردى مسافة ١٥٠٠ متر على وجه التقريب** . على ان ندخل فى حضن الجبل تباعاً كل عنبر وراء الأخر وكان فى استقبالنا فى بطن الجبل مجموعة من الجنود بالعصى والزخم والجريد بحيث ينبهونا الى نظام العمل فى الجبل كل عنبر على حدة وكان من نصيب عنبر ٦ **الشاويش عبد الحليم ويساعده العسكرى عابد** وكان كل عنبر يجلس على شكل دائرة كاملة وبعد ذلك يقوم كل شاويش بغرز البشر ليختار منهم اصحاب الاجسام القوية والطويلة مثل **شحاته عبد الحليم وامين شرف وعبد اللطيف هنداوى** فى حدود اربعة افراد وذلك حسب تقسيم العمل طبقاً لنظام الليمان وكانت مهمة الاربعة العتاولة هى العمل فى الجبل نفسه بعد تفجيره بالديناميت ليلاً وقد اطلق على الأربعة اسم **الحجارة** اما باقى الزملاء فى الحلقة الجالسة فقد اطلق عليهم اسم **الكسارة** وكان نظام العمل هو كالآتى :

اثنان من الاربعة الاشداء يعملان فى الزعبلينة أى فى احداث ثقب فى البازلت بعمق ٧٠ سم وذلك بواسطة عتله من الصلب طولها ١١٠سم بحيث يمسك بها واحداً من الاثنين ثم يقوم الآخر بالدق على ام رأس العتلة الحديد بواسطة مرزبة بيد خشب ورأس من الحديد الصلب الثقيل تزن **اكثر من خمسة كيلو جرامات** وبعد احداث الثقب الذى أستغرق **يوم عمل متواصل من الساعة التاسعة حتى الثانية بعد الظهر يتناوب** فى عملية الدق هذه الزملاء حتى يتم

احداث الثقب المطلوب وقد كان الدق بهذه **المرزبة الثقيلة لا يأخذ من البازلت سوى** سنتيمتر واحد لا غير اذا تم صب المياه عقب كل دقة من اجل تخفيف حدة الدق ولعدم احداث شرر او تطاير نتف من البازلت لها فعل الإبر السامة ومهما حاولت وصف هذه العملية الشاقة فلن اعبر التعبير الحقيقى عن معاناة من يقوم بها ..

وبعد إحداث الثقوب المطلوبة وعددها ستة ثقوب حسب عدد العنابر يتم ادخال اصابع الديناميت اللازمة لعملية التفجير . **وفى تمام الساعة الخامسة مساء يتم التفجير مدوياً** كما المدافع مفجراً اجزاء من الجبل الى كتل كبيرة يطلقون على هذه الأجزاء - ربع الجبل - وعندما نعود فى اليوم التالى يقوم الاربعة الاشداء بتكسير هذه الكتل الى ما يسمى بالشقف بواسطة مرزبة أخرى تسمى شاقوف نسبة الى الشقافة أى القطع الرقيقة من البازلت من اجل تسهيل عملية تكسير هذه الشقف الى قطع صغيرة لا تزيد عن خمسة سنتيمترات تقاس بواسطة قمع معدنى مخصص لهذا العرض ومن لم يستطع تنفيذ هذه التعليمات فسوف يضرب على باب الأوردى اربعة شومات على قديمه ومطلوب من كل زميل يجلس فى حلقة التكسير توريد اربعة مقاطف يومياً لا يزيد حجم كل **قطعة عن ٥ سم كما ذكرت** .

هذا هو النظام الذى سوف يتبعه كل عنبر وكل زميل يقوم بتوريد الكسر يقول غرته ورقم عنبره حتى يتفادى الضرب بالشوم على باب الأوردى وكان كل ذلك يتم تحت الضرب والأرهاب ولم يعطونا فرصة لالتقاط الانفاس وكان يخرج من البازلت المثقوب ما يشبه البودرة بسبب الدق المتواصل ويطلقون على هذه البودرة اسم **زعبلينة** . ولم يخرج الى العمل فى الجبل بعض كبار السن مثل محمد **يوسف المدرك ومحمود العسكرى وهما من زعماء الحركة العمالية المصرية ومثل عطية هيفه وأمام المنزلاوى وسعد زهران وحكيم مترى وأخرين وكانت لهم** مهمة اخرى هى رش وكنس حوش السجن والعمل فى المغسل الخ ..

وقد مرض بعض الزملاء اثناء عمليات التعذيب المتواصل **مثل على الديب ورشدى خليل الذين** ماتا بعد ذلك بسبب اهمال الإدارة فى علاجهما وقد كان **الصول أمين هو الطبيب المعالج الوحيد فى الاوردى** وكان هذا الرجل من اسوأ الذين قابلتهم من **رجال التعذيب** فقد كان على سبيل المثال يغمس قطعة من السلك الصدء فى **الميركروكروم** ليمس بها على جرح فى قدم زميل ثم يغمسها فى عين من يشكو من اصابة **رايش متطاير** من جراء العمل

فى تكسير البازلت فى بطن الجبل .. وكان يصب كمية من **القطرة** على بعض الجروح ولا يوجد معه شاش او بلاستر او قطن فقط صندوق من الخشب القذر به بعض امواس الحلاقة المستعملة والصدئة لزوم اجراء العمليات الجراحية مثل فتح فى القدم بعد ان تكون قليل من الصديد نتيجة الجروح التى لم تتوقف لحظة واحدة ولا يحمل **الصول امين** أى نوع من المراهم فكنا نفضل عدم التعامل معه مهما كانت الإصابة وذلك اسلم من احداث تلوث مقصود **بواسطة حشرة ضارة منتقلة** بين الزملاء **اسمها الصول أمين** .

وبجوار وجود العنابر فى **الأوردى** كان يوجد خلف عنبرنا مباشرة زنزانتان لزوم الحبس الإتفرادى وقد استقبلت احدى هاتين الزنزانتين **اول شهيد فى أوردى ابو زعبل هو المرحوم الدكتور فريد حداد** الذى مات دون ان يلحظ موته احداً إلا بعد الوفاة وقد القوابه فى زنزانة من الزنازين حتى رآه بعض الزملاء فأخبرونا بذلك عقب عودتنا من الجبل وقد ذهبت بنفسى بعد طابور التعذيب فى الصباح الى الزنزانة ونظرت من الثقب المسمى بالنظارة لأرى جثة ممددة على الأرض **ولم اتبين وجه الشهيد** بسبب ظلمة الزنزانة وقد تأكدت من وجود الجثة ثم غادرت المكان قبل ان يلحظنى احداً من العسكر وقد سمعت من **ابناء شبرا أن فريد حداد** له مواقف انسانية معروفة لاهل شبرا فقد كان يدفع من جيبه الخاص **ثمن الدواء لبعض الفقراء** وكان لا يأخذ اجراً من الزملاء او من الفقراء ويرجع ذلك الى انسانيتة وايضاً لأنه من اسرة ميسورة الحال فكان **له** افضال على كثيرين وقد بكاه بعض الذين يعرفونه عن قرب وكان **الدكتور فريد حداد هو اول الشهداء فى أوردى ليمان ابو زعبل** .

قبل الخروج الى الجبل كنا نتعرض لطابور العذاب كل صباح بعد عملية اللف للتفتيش وقد علمنا **الصول مطاوع** كيفية هذا التمرين كالآتى ..

كل واحد يضع يديه فى خصره ويقف على اصابع القدمين فقط دون باقى القدم ثم يجلس القرفصاء على نفس اطراف القدمين ثم نتحرك فى سير بطئ بعرض الحوش ومن يحاول ان يسند بيده يتعرض للضرب بالزخمة الجلد المصنوعة من سيور **السيارات** القديمة ومن الجلد والكتان وكان هذا التمرين يسمى مشية الأوزة وعدداً كبيراً من الزملاء تعرض للضرب بالفلكة .. وما ادراك ما الفلكة ومن هؤلاء الزملاء **الأستاذ محمود ندا المحامى رحمه الله فقد ضربوه عشر شومات** تسبب فى تلف غضاريف قدميه حتى نهاية **الأوردى** ولما زرته فى **السنبلاوين**

بالمنصورة عقب خروجنا وجدته يعانى من نفس الاصابة علماً **بأن محمود ندا** كان له جسم **الأبطال** ومن الذين تحملوا سخافات **عبد اللطيف رشدى** الذى دأب على اصطياد **محمود ندا** ليرهب به الآخرين ولكن **محمود ندا** خيب ظن الضابط الذى يهوى ضرب الابطال من سجناء **الرأى فى أوردى ابو زعبل** .

واثناء طابور التعذيب هذا لم يسلم المرضى والعجزة فقد كانوا يقفون ووجوههم الى الحائط ومن ينظر خلفه يتعرض للضرب .

كان عنبر رقم ٦ هو آخر العنابر فى طابور العذاب الصباحى لليوم الثانى لخروجنا الى الجبل وقبل ان نخرج من باب الأوردى اجلسونا فقط عنبر ٦ وقال **الصول مطاوع فى** حضور **حسن منير وعبد اللطيف رشدى** ..

– اسمع انت وهو . لو كان واحد فيكم عنده صنعة فليتقدم وسوف يعامل معاملة كريمة فكل صنعة لا بد ان تكرم صاحبها وسوف يجد منا الترحيب كل من يجد فى نفسه الكفاءة لممارسة صنعته فليتقدم فوراً . وبسرعة وقف عدد من **الزملاء منهم أمام المنزلاوى وهو بساق واحدة** وقال:

– انا صانع احذية ثم وقف زميل **أخر اسمه عبد الخالق من بور سعيد وقال انا مزين وعندى صالون حلاقة فقال له مطاوع** .. تقدم هنا ثم تشجع صديقى وابن **حتتى محمود شاهين** وقال .. انا كمان حلاق فقال له **مطاوع** ...

– تقدم هنا ولم يخرج الزميلان معنا الى الجبل .. ثم امرونا بالإنصراف الى العمل فى حوار خالد مع البازلت .

كان المقصود من هذه المسرحية (اللى عنده صنعه) **هما محمود شاهين وعبد الخالق** بالضبط فقد كانت ادارة السجن تعلم مهنة كل واحد بعد الحصول على كافة المعلومات **من المباحث العامة** ذلك الجهاز الذى كان يعرف عنا اكثر مما نعرف نحن عن انفسنا وهذه حقيقة يعلمها الجميع .

كانت ادارة المعتقل فى حاجة الى حلاقين يعملون مكان حلاقى الحمير الذين استقبلونا فى اول يوم لحضورنا فقد كان يتوافد على **الأوردى** يومياً بعض الزملاء فرادى و جماعات صغيرة وقد حضر على سبيل المثال لا الحصر **الزميل سعيد ابو طالب** الذى كان هارباً **ثم الزميل**

محسن الاعصر الذى كان يعالج **بالقصر العينى** ثم حضر خمسة من الزملاء الجدد بعد اسبوع واحد من تواجدنا وهم ...

١ - **الدكتور فوزى منصور** استاذ علم الاقتصاد جامعة القاهرة

٢ - **الدكتور عبد المنعم عبيد** استاذ التخدير بكلية طب القصر العينى

٣ - **عدلى برسوم** صحفى بالجمهورية

٤ - **صبحى يسى** بخيت مهندس

٥ - **محمد رشاد خميس** مفكر

وكان على الزميلين الحلاقين ان ينفذوا امر الحلاقة للقادمين اثناء الاستقبال بالضرب بدون وجود **همت** ثم لا مانع ان يأخذ الزميلان نفس الطريحة مع كل قادم وقد اخبرنى **محمود شاهين** بوصول **سعيد ابو طالب** ابن حينا وحكى لى كيف ان سعيداً استغرب هذه المعاملة وهذا الاستقبال وكان يقول **لعبد اللطيف رشدى** ..

- **عيب ياحضرة الضابط ميصحش كده** .. فكان الضابط يزيد فى ضرب **سعيد** نظراً لانه مسجون مهذب .. ؟

لقد لعن كل من **محمود شاهين وعبد الخالق** لحظة تقدمهما للعمل فى الصنعة التى لم تكرم صاحبها فى أوردى ابو زعبل وكانا يتمنيان الذهاب الى العمل فى الجبل بعد ان تحملا كافة الاعمال الصعبة بأعتبارهما من الشباب بجانب الضرب مع كل قادم وبرغم ذلك كانا مصدر معلومات واخبار لنا اثناء وجودنا فى **الجبل** وكان لهما السبق فى اخبارنا بموت **فريد حداد** وفى ثانى يوم اردت ان اتعرف على المكان الذى طالما سمعت عنه وكنت اعتقد بأن **جبل ابو زعبل** جبلاً عالياً مثل باقى الجبال بل اعلى منهم نظراً لسمعته المشهورة على مستوى العالم ولكننى فوجئت بأن **جبل ابو زعبل** له عمق الى اسفل حتى يصل المياه الجوفية فقد رأيت اثناء ذهابنا الى هذا الجبل ارضاً مسطحة تميل الى الإنحدار التدريجى وفجأة نجد انفسنا فى قلب صحن من البازلت شبه دائرى وله جدران عالية بارتفاع ما يقرب من خمسة عشر متراً لها لون صدئ يشبه لون الحديد يقف باعلى هذه الجدران جنود يحملون المدافع الرشاشة والبريتات سريعة الطلقات وعلى اليمين من هذا المكان الرهيب رأيت المساجين اصحاب الأحكام الطويلة والاشغال الشاقة يعملون على ماكينات حديثة خاصة بتكسير **البازلت** الى الأحجام المطلوبة وكانوا ينظرون الينا

ويقولون نحمد الله اننا مجرمين ولسنا شيوعيين وكثيراً ما اوقفوا ماكينات التكسير ليتفرجوا على عمليات الضرب الوحشى التى تعرض لها انبل واشرف الناس من الرجال العظماء امثال **الدكتور عبد العظيم انيس والدكتور لويس عوض والدكتور عبد الرازق حسن والدكتور فوزى منصور والدكتور عبد المنعم عبيد والدكتور البطل اسماعيل صبرى عبد الله والدكتور فؤاد مرسى والمستشار سعيد الخيال والفنان حسن فؤاد والدكتور رؤوف نظمى والهام سيف النصر ابن سيف النصر باشا ونبيل الهلالى باشا وابو سيف يوسف وكان حسن منير وعبد اللطيف رشدى** يضحكون اذا تعثرا حداً من شدة الضرب باصوات تشبه اصوات البوم .

وكان السجناء العاديين يقولون علينا بأننا عفاريت من الجن لأن ما نتحمله لا يتحمله احد مهما كانت قوة احتماله وقوته وكان معهم الحق فى هذا التعليق الذى سمعته منهم بنفسى . والحقيقة كان منظرنا يخض أى شخص عادى فقد كان **حسن منير** يسير بحصانه فى المقدمة بين عساكر الجنزير المدجين بالسلاح والشوم وعلى جانبى الطابور كل من **يونس مرعى ومرجان** وفى المؤخرة **السيد منصور ورشدى** ومن حين لآخر يتناوبون الجرى بالحصان لمزيد من الارهاب وكان المنظر فريداً من نوعه فقد كان السجناء العاديين يلبسون ملابس زرقاء وكنا نرتدى ملابس بيضاء بين ضابط وجنود بملابسهم الصفراء وخيولهم المطهمة وكنا فرجة لمن يرانا اثناء ذهابنا الى حض الجبل العتيق .

عقب قيام الثورة توقف العمل فى هذا المكان وتحول السجناء من اصحاب الاحكام الطويلة ومعظهم قتلة وتجار مخدرات الى العمل فى محاجر ابو زعبل على ماكينات حديثة بعد ان وقعت مصر على قانون منع السخرة فى السجون المصرية ولكن لسبب او لآخر قررت الحكومة ان ترسل بالسياسين واصحاب الرأى للعمل سخرة فى جبل ابو زعبل تحت تهديد الشوم ذلك الشوم الذى تسبب فى عجز كثيرين من الرجال وعلى سبيل المثال فقط فقد عجز **الدكتور فؤاد مرسى** عن التحرك على قدميه بسبب ضرب الشوم الذى أثر على غضاريف القدمين فكان الزملاء يحملونه على شومة يمسكها من طرفيها زميلان وكذا **محمود ندا** وغير هما من الشرفاء اصحاب قضية العدل الاجتماعى فكان الجزاء هو السخرة والظلم الجماعى .

وفى هذا اليوم لم يستطع الدكتور لويس عوض ان يورد المعطوعية - اربعة مقاطف وكذلك **الدكتور فؤاد** وآخرين فتم ضربهم على باب **الأوردى** بالفلكة اربعة شومات ليكونوا عبرة لغيرهم .

تحولت ارض المكان الى جحيم بسبب الرايش المتطاير بفعل الديناميت او **بفعل التكسير بالشاقوف او بالكاسور** فقد كان هذا الرايش يشبه الى حد كبير امواس الحلاقة الحادة مما نتج عنه جروح كثير ودماء غذيرة وتشوهات بالاقدام والأيدى نتيجة عدم الخبرة فى مثل هذا العمل وكان هذا يتكرر يومياً وفى كل يوم يبتكروا شيئاً جديداً وفن جديد من فنون التعذيب مثل قياس كل حجرة بالقمع الذى لا يمر منه أى حجر يزيد عن الـ خمسة سنتيمرات وكثيراً ما كان **حسن منير او رشدى يضرب** جردل مياه الشرب بقدمه ليحرمنا من شرب المياه ونحن فى بطن الجبل فكنت اشرب انا من المياة الموجوده اسفل جبل البازلت .

اكتسبنا بعض الخبرات فى التعامل مع حجر البازلت الذى كان احسن من البشر وقد تبادل الزملاء فى عمليات التكسير فمرة نعمل فى الزعلينة أى فى ثقب الجبل ومرة فى الحلقة وتوريد الأربعة مقاطف حجم ٥ سم بحيث نلم بكل عمل الجبل على سبيل الخبرة وذات يوم كنت اقوم بتوريد الكمية المطلوبة وكنت امر من جوار **الدكتور لويس عوض** فسمعته ينادى على بقوله ..

– من فضلك يا زميل تعال ساعدنى .. فقلت له

– سوف اعود لك فورايأ دكتور .. سلمت آخر مقطف من مقطوعيتى وعدت الى **الدكتور** وجلست بجواره دون ان يلحظنى الحارس . ودار بيننا هذا الحوار الفريد من نوعه وقد رحل عنا الدكتور ولكننى أحكى هذه القصة للامانة وللتاريخ لكى يرى من يقرأ هذا الكتاب كيف كان يعامل

عظماء مصر على جزء من **ارض مصر** .

جلست وقلت .

– تحت امرك يا دكتور فقال بلهفة ارجوك ساعدنى فى انهاء المقطوعية التى لم انتهى منها حتى الآن واليوم اوشك على الانتهاء واخشى الضرب بالشوم على باب الأرودى فمازالت قدماى جريحة من المرة السابقة .. ؟ ثم ارانى اصابع يديه المجروحيمن من حافة البازلت التى تشبه شغرات الحلاقة فطمئنته وقلت له . .

– لا تخشى شيئاً بسرعة كنت اجهز اول مقطف فى المقطوعية وكنت احمله واذهب به الى السجان الذى يتسلم المقطوعات وابلغ عن الدكتور وبعد ان قدمنا المطلوب دار بيننا مره اخرى هذا الحديث .. **سألنى الدكتور لويس** عن اسمى فعرفته بنفس وقد **تذكر احداث الفيوم بمجرد** ان سمع كلمة **المناويشى** ثم قلت له ..

– **اين نظارتك يا دكتور** ؟ .. فأخرجها من بين طيات ملابسه وهى محطمة تماماً ماعدا العدستين فهما مازالتا سليمتين فأحضرت له قطعة من الكهنة **القديمة** من الأرض وقمنا يربط العدستين على ما تبقى من الشمبر المحطم وقد دعمناه بقطع من السلك الصدئ الذى عثرنا عليه لحسن الحظ بجوارنا ثم قلت للدكتور ..

– ارجو منك ان تسامحنى عن خطئ معك فى سجن القلعة إذ حسبتك **عبد الرحمن الخميسى** .. التفت الى ثم قال

– هو انت ؟ .. نعم يا دكتور ثم قال وهو يضحك ضحكة خفيفة ..

– أنا انادى عليك بكلمة زميل ..!؟ لقد حسبتك زميل فى الجامعة لذلك قلت لك يا زميل ..! فقلت لـه .

– عموما نحن زملاء فى هذا الجبل فعلاً بدليل ان ساعدتك عن طيب خاطر .. فقال لى .

– ماذا تعمل ؟ .. فقلت عامل فى كذا .

– تفتكر اننا سوف نخرج من هنا ؟ قالها بمرارة شديدة فقلت له ..

– طبعاً سوف نخرج من هنا وسوف نقرأ لك من جديد وسوف تشفى جروح اصابعك الذهبية فلا تحمل أى هم وكان لا بد ان اعود الى مكانى قبل ان **يكتشفنى حارس عنبر ٦ الشاويش عبد الحليم** وهو رجل ضعيف البصر لحسن الحظ وكان اذا اراد ان يضربنى فأن الضرب يقع على من هو بجوارى لأن الرجل احول حولاً شديداً وكان هذا الحول ايضاً من حسن حظى .

شكرنى الدكتور على تقديم يد المساعدة ووعدته بأننى سوف اساعده إذا سمحت الظروف .. ولكن الزملاء فى عنبر الدكتور تولوا هم مساعدة الدكتور وغيره وقد قام كل عنبر بمساعدة ما عنده من المصابين والعاجزين عن تقديم المقطوعية من البازلت الأسود . وقد كان عندى فى عنبر ٦ **الزميل محمد رشاد خميس الذى** كسر ذراعه عند حضوره الى **الأوردى** ضمن الزملاء الخمسة وهم **مجموعة الدكتور فوزى منصور وعدلى برسوم** .

كان اليوم جمعة وقبل حلول الظلام **انفتح باب عنبر ٦ دفع العسكر** بعض الزملاء الجدد وهم فى حالة سيئة جداً تسيل منهم الدماء واحدهم انكسر ذراعه من شومة غشيمة فى يد

حيوان وكنت بحسب ترتيب النمر قريباً من باب العنبر فجريت أساعد بعضهم على النهوض وكان اولهم هو **الزميل عدلى** برسوم الذى كان ينزف بشدة من فمه وانفه وكانوا جميعاً فى ما يشبه الذهول من هول المفاجأة وكذلك فعل **الزميل انور العطار** وبعض الزملاء حتى اطمئن الزملاء الينا بعد ان عرفوا بأننا زملاء فى قضية واحدة ولكننا كنا من السابقين وهم من اللاحقين وكانت **حالة رشاد خميس** تحتاج الى علاج بالمستشفى بسبب كسر ذراعه ولكنهم تركوه يعانى اشد وابشع انواع **الألم** وكان اكثرهم ضعفاً **هو الدكتور عبد المنعم عبيد** الذى ناله نصيب كبير من الضرب بالجريد والشوم كما كان **الدكتور فوزى منصور يعانى** من ضربة شومة على احدى قدميه لدرجة ان كان يعرج اثناء سيره وبالمثل كان **صبحى يسى** ولكن وجودنا بالعنبر قد خفف عن الزملاء بعض الألم وكان معى فى عنبر ٦ ايضاً الزملاء **خيرى عزيز وفوزى السيد ومحمد عبد العزيز وهلال عبد العزيز وانور العطار ومحمد الصادى وبعض رجال الأزهر مثل الشيخ عبد الرحمن هريدى وأحمد عبد الرازق زعيم دكرنس فى المنصورة وعطية هيفة** من الشرقيه وكان العنبر يضم ٦٢ اثنان وستين زميلاً لم تسعفنى ذاكرتى باسمائهم الآن .

وكان الزملاء الستة من اتجهات سياسية مختلفة **وكان الدكتور منصور هو اعلى** مستوى فكرى كأستاذ فى علم الأقتصاد السياسى وبالرغم انه لم يكن منظماً فى الحزب الشيوعى المصرى إلا ان الحزب كان يستشيره فى كل ما يصل من اخبار تتعلق بالسياسة لدرجة إن **زملاء** حدتو اطلقوا عليه اسم **الزعيم الشبح** أى الغير مرأى . وقد كانت علاقتى بالجميع طيبة وقد **كان عدلى برسوم** يكن لى حباً عظيماً من هذا اليوم وقد توطت بينى وبينه صداقة مستمرة حتى اليوم برغم المرات القليلة التى زرته فيها فى جريدة **الجمهورية هو والدكتور فتحى عبد الفتاح ومصطفى كمال** حسن **فؤاد ومن المواقف المذكورة للدكتور فوزى منصور فى الأوردى هو** الموقف من تأميم بنك مصر ذلك الموقف **الذى كان هو الخط العام للحزب الشيوعى المصرى** بعد ذلك فقد اعلن **الدكتور فوزى لنا** فى عنبر ٦ بأن تأميم بنك مصر هو لصالح بنك مصر نفسه وليس ضد الرأسمالية المصرية وكنت انا من اول من **يسأل الدكتور فوزى عقب سماعى** الخبر الذى نشره **الشاويش حسن عليوة** فى كل العنابر وهذا الخبر ايضاً كان حسب **تخطيط المباحث العامة** لعلمها بما سوف يحدثه من خلافات داخل الشيوعين من تأييد ومعارضة وهذا ما حدث بالفعل .

وللأمانة فقد كان **الدكتور فوزى منصور رجلاً** شجاعاً بالفعل فقد كان ينادى باتخاذ موقف فى الأوردى لوقف هذه المهزلة حتى لو قدمنا ضحايا ولكن القيادة لم توافق ومازالت اذكر كلامه معى فقد قال لى ذات مره ونحن نتحدث عن اتخاذ موقف هذه العبارات القليلة ...

- ... انا رجل صعيدى ... وعندنا فى الصعيد لو وقف رجل كبير فى السن وصفق بيديه لتجمع حوله كل الناس سواء فى القرية او على رأس أى شارع ثم قال ايضاً لى ... انا املك فى الخارج يقصد خارج السجن ... سيارة طولها ٧ سبعة امتار ومع ذلك مستعد ان أخذ أى موقف لوقف ما يجرى فى **الأوردى** ...

كنت غير مقتنع بتحليل **الدكتور فوزى منصور** فقد كان بداخلى احساس بأن تأميم بنك مصر هو ماكنا ننادى به تماماً **مثل تأميم قناة السويس** ولكننى غير قادر على مناقشة **استاذ فى عالم الإقتصاد والسياسة** فكنت اسمع اسكت لحين لقاء مع احد الزملاء المقربين من **الدكتور فؤاد مرسى والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله أو سعد زهران** لمعرفة وجهة نظرهم فهم بالنسبة لى القادة الحقيقين بحكم الارتباط التنظيمى من الناحية التاريخية فقد كنت عضواً بتنظيم الحزب الشيوعى المصرى القديم صاحب جريدة الراية .. وكنت لا اطمئن الى غيرهم حتى من قيادات **الحزب الشيوعى المصرى الكبير** .. واعتقد ان هذه الخلافات مازالت حية حتى بعد حل كل الاحزاب **والتنظيمات الشيوعية بما فيهم الحزب الكبير وايضاً حزب حدتو** . الذى تمسك بعد هذا الخبر بأن على **رأس النظام مجموعة اشتراكية بزعامة جمال عبد الناصر** .

وبقدر ما كان الخروج للجبل نوع من السخرة إلا اننا قد حولناه الى متعة يومية برغم ما يحدث من ضرب وتكسير ومن ايجابيات الخروج للعمل فى الجبل هو لقاء الزملاء من مختلف العنابر ومعرفة أخذ الاخبار واحدث الاشعار بالاضافة الى الحصول على قدر من الشمس والهواء بعيداً عن عفن الرطوبة داخل عنابر لا تدخلها الشمس حسب تصميم تلك العنابر بواسطة الإنجليز عند بناء ليمان ابو زعبل .

وكنت ابحث **يومياً عن الفنان حسن فؤاد** للاطمئنان على صحته فقد كان يعانى من ازمات ربوية دائمة ويستعمل بخاخة تساعده على التنفس وسعدت جداً بلقائه فى بطن الجبل وهو فى احسن حالاته الصحية رشيق كما الغزال لا يحمل بخاخة ولما سألته عنها قال ...

– صادرها حسن منير ولكننى استغنيت عنها الآن نظراً لأن الجو هنا جاف ونقى ... فقلت له مداعباً ..

– انت تقول ذلك بصفتك زعيم جمعية التفاؤل .. فقال ابداً ولكن كل انسان بداخله طاقات عظيمة من المقاومة لا تظهر إلا عند اللزوم بشرط ان يكون الانسان نفسه لديه الاستعداد الذاتى للمقاومة كان كلام حسن فؤاد صحيحاً فأن فى الماسى فقط تظهر مواقف وبطولات نادرة وعظيمة مازال اصحابها على قيد الحياة اطال الله فى اعمارهم .

وتعرفت فى الجبل على رؤوف نظمى وحفظت عنه اجمل قصائده وتعرفت على الشاعر محسن الخياط وعلى الدكتور عبد العظيم انيس وتقابلت مره اخرى مع فليب جلاب بعد ان فرقتنا الشياطين وكذلك الدكتور عبد الرازق حسن وقد علمت من بطن الجبل بأن همت اخذ فرقة اخرى وذهب الى الواحات وكنا نتبادل الاغانى والنكات ونضحك مما يحدث وقد كنت اقوم بتمثيل عملية لف للتفتيش تمثيلاً صامتاً يعاونى بعض الزملاء وكان الشاويش يقول وهو ينظر من النظارة من ثقب الباب .

– شايفك يا ابن .. ثم يبلغ عن كل العنبر فيضربونا على قلة ادبنا ولما اشتد الضرب قلنا مبدهاش فقررنا ان غثل ونغنى بصوت عال وعندما كنت اغنى غنوة فايزة أحمد – انا قلبى اليك ميال –او غنوة – ياما القمر عالباب – كانت دموع بعض الزملاء تسيل فى صمت وكبرياء وكنت دائماً اتذكر أمى عندما اغطى وجهى بالبطانية عند النوم وتسيل دموعى وكنت لا انام الليل إلا قليلاً واتذكر عند النوم الفجر قصيدة رؤوف نظمى التى يقول فيها .

الأوله آه القى الفجر متقسم ورا قضبان ..

وقصيده محسن الخياط .

مستقتلين ولاعمرنا نرمى السلاح من يدنا ..

كما كنت اتذكر خطيبتى زينات فقد تم اعتقالى قبل اثنا عشرة يوم من كتب كتابنا وكنت اتذكر والدى واخواتى البنات الخمسة واخى الاصغر محمد وابنة اختى مشيرة التى تركتها وعمرها اربعة اشهر فقط وكانت مشيرة فى حضانه امى ولها عندى معزه الابنة الغالية ..

كل هذا تحت البطانية التى تتحول الى رؤيا شبه حقيقية وكان لابد من روح المقاومة وسط هذا الكم من العنف والتعذيب فكنا نغنى ونضحك من اجل ان تستمر الحياة فى هذا الأوردى

اللعين . واشد ما كان يضايقنا هو الجوع حيث كنا نبذل كثيراً من الجهد فى تكسير الزلط يحتاج الى غذاء اكثر خاصة للشباب .

وفى يوم جمعة وفى عز البرد ذهبنا الى الحمامات لأخذ الدش الروتينى بالماء البارد فقد أصرت ادارة المعتقل على فتح المياه الساخنة فى ايام الحر والمياه الباردة ايام الشتاء وعندما دخلنا الحمامات سمعت صوت المسجون المكلف بفتح المياه ينادينى بقوله ..

– استاذ حسن .. نظرت نحو المسجون الذى قال ..

– انت مش عارفنى انا مصطفى النونو شقيق صديقك محمد النونو .. هنا فقط تذكرت وجهه .. هو بالفعل شقيق محمد النونو وقد حسبته فى أول الأمر واحد من تبيع المباحث او شئ من هذا القبيل . قلت له ...

– ماذا اتى بك هنا ؟ قال ..

– حكاية طويلة سوف احكى لك عنها فى ظروف افضل ثم قال ماذا تريد منى ان افعله لك الآن ؟ فقلت له .

– لا شئ .. فقط افتح الماء المساخن بدرجة معقولة وبالفعل منفذ ما طلبته منه ثم قال لى .

– سوف احضر طرفك فى العنبر من الشباك الموجود على حوش المغسل قبل ان اعود الى الليمـــان .

وبعد عودتنا الى العنبر بقليل حضر مصطفى النونو من شباك يطل على حوش المغسل خلف زنازين الحبس الانفرادى ونادى علىّ وفوجئت به يقدم لى ثلاثة ارغفة من عيش الليمان الجميل الذى يشبه الفطير وهو ساخن وقال لى خذ دول وسوف اعود لك مرة اخرى .

كنا فى غاية الجوع بعد الحمام الساخن ومازال على موعد اليمك اكثر من ساعة وفاحت رائحة الخبز داخل العنبر وتعالت الأصوات تقول ..

– ابو على لقمة انا حبيبك وهات حته يا حسن الخ ولكننى حرت .. ان عددنا ٦٢ فرد وماذا تفعل الارغفة الثلاثة مع هذا العدد الذى يحتاج الى ١٢٠ رغيف على الأقل !! ثم وافتنى فكرة رائعة .. فقد جلست وعيون الزملاء على الخبز ثم قمت بتقطيع الأرغفة الى ٦٢ قطعة بعدد كل

الموجوين ومررت على الجميع وانا اعطى لكل واحد لقيمة فى حجم اصبع اقصد عقلة اصبع اليد ولم يرفض احد هذه اللقمة البسيطة وقلت لهم هاهى لقمتى مثلكم تماماً وازدرت اللقمة وتساوينا جميعاً فى حالة الجوع ولكننى فوجئت **بالدكتور فوزى منصور** وهو يقترب منى وفى عينه بقايا دموع ودار بيننا هذا الحوار ..

– لماذا لم تاكل هذا العيش وقمت بتوزيعة على الجميع ؟

– لاننا كلنا نعانى من الجوع بدرجة واحدة وإذا اكلت انا هذا الخبز واشبعنى الآن فسوف اجوع مرة أخرى وانا لا ارضى لنفسى هذا الموقف .. **قال الدكتور عبيد** ..

– لقد تأثر **الدكتور فوزى** من هذا التصرف بل انه بكى **ثم قال عدلى برسوم** ..

– لقد كنت معجباً بك عندما استقبلتنا اول يوم ولكننى الآن أحبك من صميم قلبى وسوف نكون اصدقاء ومنذ هذا اليوم وانا اصبحت شبه مسؤل عن الحياة العامة داخل عنبر ٦ علماً بأنه لا توجد حياة عامة فى **الأوردى** ولكن جد حدث يؤكد هذا المعنى تقريباً .

كان **حسن منير وعبد اللطيف رشدى وجميع الضابط** والعساكر يتفننون فى كل أنواع والوان التعذيب حتى فى الطعام مثل وضع الفنيك فى العسل والتراب عى العدس ما عدا الخبز لانه فى نظرهم نعمة ربنا .. علماً بأن كل شئ له ما للخبز من قدسية لأنه نعمة من ربنا خاصتة الغذاء ومن ضمن فنون التعذيب التجويع والحرمان من ابسط الاشياء ولم نر طوال مدة اقامتنا **بالأوردى** أى لون اخضر فقط لون اصفر ولون اسود هو البازلت وفوجئنا بالصول **مطاوع** يفتح باب العنبر ويأمر **مصطفى النون** بالقاء حزمة واحدة من **الفجل** ثم اغلق الباب بسرعة .. فهجم بعض الزملاء على حزمة الفجل وكادت ان تنشب معركة فطلب منهم عدلى برسوم ان تسلم حزمة الفجل **للزميل حسن المناويش** وهو يتصرف كما تصرف فى موضوع الخبز قبل ذلك فوافق الزملاء وبالفعل اخذت حزمة الفجل وقمت بتوزيعها بحيث لا يأخذ أى زميل اكثر من عود واحد لا غير وجدت مشكلة اخرى حول من يأخذ رأس الفجل – أى الجذور – فقمت بتوزيع رؤس الفجل بالترتيب الممل وكنا نتوقف عند من ينتهى الفجل عنده .

الى هذه الدرجة وصلنا فى **الأوردى** لأننا قبلنا هذه الاهانات دون اتخاذ موقف يحمى ارواح الزملاء وكرامتهم .

عاد **مصطفى النونو** ومعه سيجارة ونجز اشعلها ثم ناولنى اياها من شباك المغسل ونفس ما حدث للجز والفجل حدث ايضاً للسيجارة فقد مررتها على فم كل مدخن ولم يمتنع احد وتبادر الى ذهنى ان **مصطفى النونو** قد يكون مدفوع من ادارة السجن فطلبت منه عدم احضار خبز او سجاير لأن ذلك لا يحل مشكلة الجوع او الحرمان فقط طلبت منه ان يحضر لى ورقة وقلم بعد ان اخبرنى بان والدتى اعتقدت اننى مت فى التعذيب فهكذا ابلغو اسرتى فى الاسكندرية وقد اقامت لى ليلة عزاء وعلمت من **مصطفى ان زوجته** سوف تحضر قريباً فى زيارة له وكانت فرصة ان ابعث بخطاب الى **اهلى وخطيبتى زينات** .

طمئنت اسرتى على اننى حى ارزق ولم امت وكتبت لزينات عدة اسطر قلت فيها بأننى احلها من ارتباطنا نظراً لطول مدة الحبس وعدم وضوح الرؤية قريباً او بعيداً و ذلك لأسباب عديدة منها ان شقيق زينات وهو مهندس بشركة النحاس كان يعارض زواجى منها خوفاً من المباحث فقد كانت شركة النحاس فى قلب الحى الذى نشأت فيه وكان لهذه الورقة وقع الصاعقة على **زينات** فقد قاومت حتى آخر لحظة الى ان وصلتها رسالتى وكان لها عتاب قاسى معى بعد خروجى من المعتقل كما انها لامت أمى لانها اعطيت الرسالة لوالدة زينات علماً بأن زينات لم تغب عن زيارة **والدتى** منذ اعتقالى . رحم الله زينات الانسانة العظيمة الفاضلة .

وكان **مصطفى النونو قد صدر ضده حكم بسبع سنوات اشغال شاقة** وبذلك بسبب عملية سطو على منزل سيدة يونانية تسكن فى **الإبراهمية** ولما احست بوجود اللصوص داخل منزلها حاولت الاستغاثة فطعنوها بسكين فماتت فى الحال وكان عدد اللصوص اربعه فوزعت عليهم تأبيده كان من نصيب **النونو** ٧ سنوات ومن حسن الحظ ان ادارة الليمان كانت تقوم بتغيير المساجين الذين يعملون فى خدمة **الأوردى وذهب مصطفى النونو** ولم اره حتى اليوم .

ولم تخل حياتنا فى **الأوردى** من بعض المواقف المسلية فقد كنا نستلم اليمك لوجبة العشاء وكان يقف امامى فى نفس الطابور الدكتور **قدرى حفنى وكان يونس مرعى** يقف عند جراكل الطعام ويسأل كل زميل عن عمله او مهنته او مؤهله العلمى وقال للدكتور قدرى بلهجة صياعة..

- اسمك ايه ياه ..

- **قدرى محمود حفنى** ..

- مهنتك إيه ولا دراستك ايه .. انطق

- **سيكولوچى ..**

- سيا .. ايه .. كولوجى - يعنى ايه ياه ؟

- **يعنى علم نفس ..**

- لماذا لم تقلها بالعربى يا ابن الـ .. وتصادف ان حضر فى هذه اللحظة زميل ازهرى اسمه **محمد الصاوى فقابله يونس مرعى** وقال له .

- ايه اللى اخرك ياه .. ؟

- كنت اقضى حاجة ..

- يعنى ايه .. ؟ يعنى كنت فى دورة المياه ..

ولماذا تقولها بالفصحى يا .. لفظ خارج ؟! ماذا تدرس بالأزهر الشريف .. لغة عربية .

- طيب خذ هذه وهذه وخلى الازهر الشريف ينفعك ولم يترك احداً إلا واجرى معه هذا الحوار الذى يدل على جهل مركب عند هذا الضابط وكثيراً ما كان يتسبب فى موجة من الضحك لدرجة كانت تسبب له حالة من الرعب مثلما حدث معه فى عنبر ١ (عنبر القيادة) حيث حضر اليهم بصحبة **حسن عليوه** وقاما بفتح باب العنبر بسرعة فوجدا الزملاء يضحكون فقال لهم ..

- كل هذا العذاب وهذا الضرب وتضحكون ؟ انتم ايه عفاريت لوذبحناكم لن تخروا دم .. **فرد عليه ريمون دويك** قائلاً بسخرية .

- لو ذبحتنا سوف **نخر عدس** . وانفجر الزملاء فى موجة من الضحك المتواصل لاكثر من دقيقة خرج بعدها **يونس مرعى وهو** فى حالة من الرعب وهو يجرى بالخطوة السريعة فقد تخيل الزملاء مجموعة من الوحوش الضاحكة وكان سبب كل هذا ان ادارة الليمان عجزت عن تغير وجبة العدس بعد ان انقطعت اللحمة عن الليمان كله فكان العدس هو الوجبه البديله فقد استمر هذا العدس لمدة شهر تقريباً وكانت اللحمة بالنسبة لإدارة الليمان افضل وارخص من العدس لأن نوع اللحمة الذى يقدمها الليمان هو النوع الجملى فكل جمل ينتهى عمره الافتراضى من جمال سلاح الحدود ويقدم للسجون لأخذ لحمه وتقديمه الى المسجونين أما العدس فهو يأتى عن طريق مورد وهنا نفضل يوم العدس على ايام اللحمة الجملى وكان هذا هو الحديث قبل دخول الضابط الى عنبر ١ وبسبب هذا الضحك نال الزملاء كمية اضافية من الضرب بعد ان شكا الضابط الزملاء للمأمور بأن

يأخذ له حقه من الزملاء ويظهر ان عدوى الضحك انتقلت الى جميع الزملاء فى صباح اليوم التالى بعد توصية المأمور بزيادة جرعة الضرب بسبب العدس فقد كنا فى طابور الصباح غارس تمرين الأوزة بوضع اليدين فى الوسط والوقوف على اطراف القدمين ثم قيام ثم وقوف عدة مرات مع السير بعرض الحوش ونحن على هذا الوضع الصعب مع التحذير بعدم السند باليد على الأض ومن يفعل يضرب بالشوم والجريد وكان معنا فى عنبر ٦ زميل اسمه سليمان سيداروس يعانى من ألام الروماتيزم المفصلى بالركبتين ولا يستطيع ان يقف على مشط قدمه بسبب هذه الألام الشديدة وكان يسند بيده وهو يتحرك فلمحه عبد الحليم وهو شاويش فى الخمسين محدود البصر وعنده حول شديد فحضر وهو يضرب سليمان فيخطئه مره ويصيبه مرة وهو يقول له ..

– ايه يا واد ؟ مش عارف تقف على اثنين – ده الجدى اللى عند الحلو بيقف على اثنين .. كان المأمور وعبد اللطيف رشدى ويونس مرعى ومرجان والسيد منصور ومطاوع يقفون على مقربة من عبد الحليم وسليمان واعجب المأمور بحكاية الجدى اللى عند سيرك الحلو وقال وهو يضحك بصوت عال يشبه الفحيح ..

– ايه يا عبد الحليم موضوع الجدى اللى عند الحلو ده ؟ احكى لنا عنه وكان عبد الحليم فى غاية السعادة بحديث المأمور معه ومن شدة فرحته اتلخبط فى الحديث وهو لا يدرى وقال بانفعال شديد ..

(اصل يا سعادة الجدى البيه اللى عند الحلو بيعرف يقف على الرجلين اللى ورا بدون ما يسند) .

وعندما قال هذه العبارة انفجر جميع المعتقلين فى موجة من الضحك الهستيرى بصوت كالرعد .. هاهاهاهاها عده مرات وفى نفس اللحظة شتم المأمور الشاويش وهو يقول بصوت مسموع شاويش حمار وخرج مسرعاً يتبعه رجاله وبدأ الصول مطاوع يسيطر على الموقف فادخلنا العنابر وكانت موجة الضحك مازالت مسموعة حتى بعد غلق العنابر وفى اليوم التالى سحب عبد اللطيف رشدى العكاز من الزميل امام المنزلاوى لانه قام بتقصيره ليناسب طوله فقال الضابط للزميل امام جميع الزملاء فى عنبر ٦ .

– بماذا نشرت خشب العكاز

– بقطعة شمبر قديمة

– وهو العكاز ملك لك علشان تقصره ده ملك الحكومة

– لكى يمكننى استعماله بشكل طبيعى

– وأين وجدت الشمبر

– عند المغسلة

– لقد اتلفت مال الحكومة ...

– **اعطنى ساقى الصناعية** وخذ مال الحكومة بتاعكوا ولم يعجب الضابط كلام **المنزلاوى** فسحب منه العكاز وكسره والقى به على الأرض وطلب من المنزلاوى ان يلحق بباقى زملائه وهو يحجل بساق واحدة بعد ان ضربه على ساقة اليمنى .

كان الزملاء قد سبقونا بمسافة وطلب منى **المنزلاوى** ان اساعده حتى لا يضربه الضابط مره أخرى ولم اجد بد من حمله على كتفى فقد كان المنزلاوى قصيراً فى حجم طفل كبير خفيف الوزن وسرت به من امام المأمور وضباطه حيث كان يستعرض الزملاء يومياً وكان يقول **لعبد اللطيف رشدى** .

– **الأولاد دول وشهم احمر ليه يا عبد اللطيف** حملت الزميل وجريت به فأستوقفنى المأمور وقال **لرشدى** الواد ده شايل النونو ؟ ايه حكايته ؟ يا **رشدى** ..

خليك شايل جريمتك يا ابن ...

– اسمك ونمرتك وعنبرك اجبت .. ثم قال ..

– انت شايل الواد ده ليه ؟ وقال الفاظ جارحة ولم اجب ثم قال مرة اخرى

– لماذا شلته ؟ لن اتركك إلا بعد ان اعرف كان العسكر قد تجمعوا حولنا وبدأ الضرب من كل جانب ولم انطق واخيراً قلت للمأمور.

– طلب منى ان اساعده وهو كما ترى بساق واحدة وغمز رشدى **للمتربس فضربنى على** مؤخرة رأس بالكف ...

– أجب لماذا شيلته ؟

- لانه بلا عكاز ولم يستطع الجرى ..

- يعنى انت أمه وحنين عليه

- ابداً ولكنه عاجز يقدم واحدة وانتهى الحوار بأمر من المأمور بضربى بالفلكة اربعة شومات وقال للمتريس وهو يضربنى -

- **يا عبد السلام عاوز اسمعه بيغنى ظلموه .. فقال رشدى رداً على المأمور ...**

- سيبه ده عظمة ناشفة وسوف اختار لك واحد فافى يغنى لك ظلموه .

لأول مرة يستعمل الجريد بدلاً من الشوم نظراً لغياب المسئول عن **مخزن الشوم** فكانت العلقة خفيفة و محتملة ولما عدنا للعنبر بعد الطابور حملت **المنزلاوى** مرة اخرى ولكن المأمور تجاهل الموضوع ولم يوقفنى هذه المرة وفى صباح اليوم التالى كان عند **المنزلاوى** عكاز جديد تفصيل .

وفى يوم من ايام الجُمع كان الجو صحواً وكنت فى حالة من التفاءل بلاسبب ادربه واثناء طابور الصباح تركونا لمده تزيد على الساعة دون حركة فقد تقرر ان يكون التعذيب هذا اليوم بالوقوف الصامت ومهما كانت درجة الملل فالوقوف ارحم من الضرب .

وقفت ذبابه على وجهى فطردتها ثم عادت وقد لمحنى الضابط مرجان فقال للشاويش ..

- **الواد ده بيهش الذباب** .. شوفه يا عسكرى ايه حكايته ؟

تقدم منى عبد السلام **المتربس وقال** لى ..

- لماذا هشيت الذبابة ؟ .. لانها ضاره بالصحة

- طيب وانت مالك ؟ .. هو انت مش مؤمن بأن الذباب ده خلقة ربنا ؟ ولا انت كافر وملحد ولا تؤمن بالله ؟سكت ثم قال

- الذباب حلقة ربنا وانت خلقة ربنا وربنا جعلك غذاء لهذا الذباب .. فلماذا تعترض وتهش الذباب وظل يضربنى حتى امره الضابط بالتوقف .

هل تذكر الساقية التى حدثتك عنها ونحن فى الفيوم ؟ قام **يونس مرعى والسيد**

منصور بعمل ساقية من الزملاء وطلب من كل زميل ان يضرب زميله عندما يلحق به وجعل الزملاء يجرون وراء بعض فى حلقه كبيرة وبدأ الزملاء فى اللف ولكن لم ينفذ احداً كلام الضابط فقد كنا على معرفة وخبرة فى معرفة الغرض من هذا السلوك اللا أدمى وكان للزميل **عبد الخالق الشهاوى** الفضل فى تنبيه الزملاء الى هذا السلوك المهين فى حقنا عندما مر بمعسكر الإعتقال بالفيوم ولما لم ينفذ احداً رغبة الضابط ادخلوا فى وسط الزملاء العسكرى المتربس لضربهم بيده التى تشبه المرزبة .

لقد كنت افضل الخروج الى الجبل عن الوجود فى **الأوردى** حتى لا يتفنن الزبانية فى تعذيب البشر بلا مبرر فكان الخروج فيه حركة اكثر وشمس افضل وهواء نقى .

قال لى **الشاويش عابد ونحن نقوم** بثقب خرم فى البازلت لزوم عمليات التفجير ..

– لقد بطل هذا الأسلوب فى تكسير الزلط من زمن بعيد لانه سبب بعض امراض الصدر والدرن بسبب البودرة – الزعبلينة – وكان يلمح ضمن كلامه كما لواراد ان يقول لنا بالمحسوس لماذا لم تتوقفوا : وتأخذون موقفاً من هذا التسخير فى هذا العمل الذى اصبح فى حكم الممنوع ؟!

لقد اصقلتنا هذه التجربة المريرة وجعلت منا رجالاً بحق وهى تجربة فريدة من نوعها ولم يمارس هذا النوع من التعذيب قبل او بعد **الشيوعيين وحديث مصطفى امين عن التعذيب هو** حديث غير حقيقى فالتعذيب هو ما كان فى **الفيوم والأوردى والواحات .. اما تعذيب مصطفى امين** فهو حسب تعبيره سنة اولى **حضانة فى علم التعذيب** .

وعن نفسى فقد اكتسبت الصلابة والشجاعة من زملاء آخرين فى غاية الرقة وعلى سبيل المثال **الزميل نبيل قاسم من بنى يوسف** وفى نهائى حقوق لا يزيد وزنه عن ستين كيلو جرام نحيف الجسد – رفيع – ولكنه فى صلابة الحديد **فقد تلقفه عبد السلام المتربس وصادق المجنون وابو الوفا دنجل** وهم يضربونه بالجريد والزخم ويطلبون منه ان يصرخ بصوت عال ولكنه رغم نحافته رفض ولم ينطق وكانت عضلات وجهه تتحرك من شدة الضرب وكان بجوارى الزميل **انور العطار** فاتفقنا ان ندخل بين **نبيل** والعسكر لنشاركه الضرب ونخفف عنه وبالفعل دخلنا بطريقة اولاد البلد حيث قلنا .

– إيه ده يا شاويش عبد السلام ؟ هو بلبل حملك ؟ وفوجئ **عبد السلام** والى

معاه فتحولوا جهتنا وكان هذا هو المطلوب فقلت لنبيل اجر يا بلبل على العنبر ثم لحقنا به وكان العسكر يخافون من الدخول الى العنابر فرادى إلا فى حضور مجموعة أو وراء المأمور والضابط . فقد كانوا يصابون بالرعب عند أى موقف جماعى حتى لو كان ضحكاً مثلما حدث فى عنبر واحد يوم العدس أو مثلما حدث فى حوش السجن يوم سعادة الجدى اللى عند الحلو .

وكان لابد من اتخاذ موقف فى هذا الأوردى اللعين بعد موت فريد حداد وبعد ان اجبروا استاذ جامعة على تسليك البكابورت هو وزملاء آخرين ولكن القيادة قد اصدرت قراراً بعدم التجاوب مع أى استفزاز صادر من قبل الإدارة بحجة الحفاظ على الكادر الحزبى للحركة الشيوعية المصرية وفى اعتقادى ان جميع القيادات مسئولة عن هذا الموقف الضعيف فى سجن ابو زعبل بل ان جميع القيادات الشيوعية هى المسؤلة عن موت شهدى ودمه فى اعناق الجميـــع

لقد حدثت مواقف شجاعة ولكن بشكل فردى فقد كنا ذات يوم نستلم اليمك وكان سعد زهران يتحدث مع المأمور وعبد اللطيف رشدى ودار بين الجميع هذا الحوار .

– يا سعد .. لماذا لم تهتف لجمال عبد الناصر ولا للجمهورية العربية المتحدة ؟؟ .. هو انت مش وطنى .. ؟ ولا ايه ؟ فرد عليهم سعد زهران بكل شجاعة قائلاً ..

– طبعاً انا وطنى ولكننى لا أهتف لجمال عبد الناصر وانا فى السجن مهما عمل من انجازات وطنية .. قد اهتف له خارج الأسوار بارادتى ورغبتى وليس تحت السياط والشوم والكرابيج . وبالنسبة للجمهورية العربية المتحدة فانا اهتف لها لأنها وطنى وهو الباقى والخالد وليس الافراد ولما احب اهتف لعبد الناصر فلن اهتف له وانا مسجون وأعذب داخل سجون عبد الناصـــر .

هذا الموقف الشجاع من سعد زهران على باب الأوردى يؤكد امكانية اتخاذ موقف ولكن هيهـــات .

وقد كانت ادارة المعتقل طلبت منا عند استلام الطعام ان نردد وراء الصول مطاوع عندما يقول .. بصوت مسرحى ...

– الأكل كويس فنرد .. الحمد لله ... كان بعض الزملاء يرد والبعض الآخر يصمت عندما يكون بعيداً عن الضابط والصول .. ثم اخترعوا حكاية الهتاف للرئيس ولمصر بعد طابور الصباح وقررت القيادة فى عنبر ١ ان يردد الزملاء الهتاف للجمهورية العربية المتحدة وعدم

الرد لهتام جمال عبد الناصر . والغريب ان الزملاء انقسموا حول هذه الموقف .. فقد قرر تنظيم حدتو ان يرد على الهتافين لأن هذا يتفق مع موقفهم من الناحية السياسية وكان المنظر كالآتى .. إذ يقول مطاوع بعد كل طابور فى الصباح ..

– تحيا الجمهورية العربية المتحدة – هكذا يقول ... فيرد عليه ٥٩٤ خمسمائة واربعة وتسعون معتقلاً بصوت يشبه الرعد وهم يصححون الهتاف ..

(تحيا الجمهورية العربية المتحدة) وعندما يقول يعيش الرئيس جمال عبد الناصر – ينخفض عدد الاصوات الى الربع حيث تصمت الاغلبية عند سماع اسم جمال عبد الناصر وظهر أمام المأمور وظباطه . ان اغلبية المعتقلين لاترد على هتاف الرئيس لذلك اوقفوا سعد زهران وحدث بينهم الحوار السابق ذكره ..

وهذا فى حد ذاته نصف موقف فقد توقفت الادارة بعد ذلك عن الهتاف بشكل عام وكان الفضل فى ذلك لسعد زهران .

ولم يتحمل المأمور هذا الموقف من سعد زهران فأمر عبد اللطيف رشدى بسحب عكاز سعد فهو الآخر بساق واحدة ويمشى بعكاز بعد ان سلبوه الساق الصناعية . ولقد اعطى سعد زهران درساً فى الوطنية للمأمور وضباطه ولم يكتف بما قاله لهم ولكنه بعد ان سحبوا عكازه وقف على ساق واحدة وقال للمأمور وعساكره ان الهتاف للجمهورية العربية المتحدة هو هتاف محبب لنا فهو يعبر عن تمسكنا بالوحدة مع الشقيقة سوريا وسوف نهتف للوحدة داخل السجن وخارجة .

اما الهتاف لعبد الناصر وهو الذى وضعنى فى هذا السجن وتحت التهديد فلن يحدث .. ولا شك ان عبد الناصر وطنى ولكنه هو المسئول عن وضعنا داخل الأسوار والهتاف له يعنى الموافقة على ما نحن فيه وانتم تصوبون الينا مدافعكم وبنادقكم ونحن ان نهتف له ابداً داخل السجون ونحن على خلاف معه مهما حصل ومهما يحدث .

دفع عبد اللطيف رشدى سعد زهران فى صدره فوقع على الأرض ثم تركوه فقام بمفرده وذهب الى عنبر واحد وهو يقفز على ساق واحدة حجلاً .

واسوء ما كان فى الأوردى هو الانقسام وعدم الاتفاق على ابسط المواقف مثل موضوع

الهتاف والأكل كويس .. الحمد لله الخ الخ .

وبعد موقف سعد زهران ارتفعت الروح المعنوية وتلاشى صوت الهتيفة بالتدريج .

كان الأستاذ أحمد نبيل الهلالى يسخر من الزملاء الذين يقشرون الفول المسوس .. او السوس المفول حسب قوله ويقول لهم ..

– هذا القشر هو المهم من الناحية الغذائية فانه عبارة عن مادة السيليلوز وينصحهم بعدم رمى هذا القشر وكان يقول لهم اللى مش عاوز الفول يعطيه لى .. هذا ما قاله لى فى الجبل ذات يوم بعد ان اسمعنى أول وآخر قصيدة له عن الصابون حيث تعطفت ادارة السجن واعطيت لكل زميل صابونه واحدة وكان يوم الصابون هذا من افظع الأيام حيث اخذنا هه الصابونة تحت لسوعة الجريد ويظهر ان العسكر ارادوا ان نمتنع عن استلام الصابون ليأخذوه هم الى منازلهم .. فلما اخذنا الصابون اذاقونا ما اذا قونا من جريد النخل الواطى . هذه المرة وكان نبيل يقول .

– رحنا نجيب الصابونه اصابونا ويارتهم سابونا بدون صابونة ولا إنهم يصيبونا الخ الخ .



اغنية من واقع ظروف التعذيب تؤدى بالحركة والتمثيل واللف على كعب القدم اليمنى

لـــف للتفتيـــش ان كنـت نـاوى تعيـــش
لـــف ماتقـوليـش بتضربنـى ليـه يا شـاويش

العسكــرى دومـــه جــاى معـــاه شــومة
تقـلـشى زلـومـه عضمـى بقـى قراقيـش

وصـادق المجنــون اللـى شنبـه ده جـادون
الزخـمـة فـى يـده زى ايـــد الـهـــون
يضــرب ولا يسميـــش

الصـول ابـو مطـلوع يشـتـم ويتــلاوع
عبـد اللطيـف رشـدى واقـف وفـارد ريـش

اوردى ابـو زعبــل تـجـرى وتتكعـبـل
والضـرب بيـد عبـل واللـى لـه عمـر يعيـش

لـــف للتفتيـــش

تاليـف

حسـن المناويشى



فيلم سينمائى لمن يهمه الأمر

ومازلت حائراً حتى اليوم ولم اجد اجابة شافية على سؤالى اين ذهبت هذه الإفلام فقد حدث ذات صباح بعد طابور الرياضة .. آسف اقصد التعذيب ان خرجنا مبكراً عن كل يوم وعند المرور عند باب **الأوردى** لمحت بعض **الضيوف فى مكتب المأمور** وكانت الساعة **الثامنة والنصف تقريباً** وكانت الحركة غير عادية فى هذا الصباح وللوهلة الأولى اعتقدت انهم من المباحث .. فقد كان أي منظر لأى رجل يلبس مدنى هو على طول من **المباحث** حتى لو كان عابر سبيل ولكن العدد كان كبيراً ولم يشغلنى هذا المنظر كثيراً إلا بعد اليوم الثانى مباشرة حيث تكرر المنظر بشكل اكثر وضوحاً هذه المرة .

كان عنبر رقم ٦ فى المقدمة كعادته ومشينا حتى وصلنا عند شريط السكة الحديد .. عند مكان الحجر الجيرى الوارد من ليمان طره فأمرونا بالوقوف بجانب الحجاره حتى يكتمل المنظر المطلوب تماماً ثم طلبوا منا ان يحمل كل واحد فينا حجراً حسب قدرته ومن الافضل ان يكون الحجر يناسب حجم حامله حتى لا يتعرض للضرب وكان أول الطابور عند الحجر وأخره مازال عند باب **الأوردى** على اساس ان يدخل العنبر وراء الأخر بنظام دقيق وان يقف كل ثلاثة من حاملى الاحجار متجاورين بدلاً من ستة بحيث يكون الطابور طويلاً عن كل يوم ولكى تكون الصورة واضحة وافهمونا ان هذه الاحجار مطلوبة فى الجبل لبناء مكاتب ودورة مياه لإقناعنا بأن الاقامة هنا طويلة .. فحملنا الاحجار وسرنا بها فى **اطول طابور سخرة فى تاريخ الشعب المصرى** وعندما القيت الحجر من على كتفى نظرت الى اعلى الجبل **لأرى المدافع المصوبة نحونا واغرب ما رأيت هو مجموعة الأفندية الذين كانوا عند المامور يقومون بتصويرنا باكثر من كاميرا تصوير سينمائية لمدة يومين الأول ونحن نحمل الحجارة واليوم الثانى ونحن ندق بالشوم فى بطن الجبل والمدافع مصوبة** علينا وفى اليوم الثانى كان الموقف اكثر وضوحاً لى فقد ركزت على من يقومون بالتصوير لاقطع الشك باليقين وكانوا مجموعة غير قليلة ومعظمهم يرتدون البدل وأغلبهم يلبسون نظارات شمسية لها لمعان مبهر فى ضوء الشمس واستمرت **عملية التصوير هذه لمدة ساعتين تقريباً** ليتم اخذ روع فيلم لأبشع عملية تعذيب فى تاريخ السجون والمعتقلات المصرية واعتقد ان هذا الفيلم قد عرض على كبار المسؤلين فى الدولة أو أرسل الى من يهمه امر الشيوعين ولكن من هو.. ؟ **الله وحده يعلم** .

وكان طابور الحجارة ونحن بملابسنا التى تشبه نفس الحجر له اعظم الأثر ولا ابالغ اذا قلت انهم جعلونا نمثل جزءاً من فيلم مكسيكى فقد تم التمام على كل ملابسنا فى اليوم الأول وبالذات غطاء الرأس الذى يشبه الطاقية مع زيادة تنده فوق العنين للحماية من الشمس فكنا اشبه باسرى الحروب المكسيكية بلا مبالغة وقد حرص المأمور والضباط على الحضور بالملابس الرسميه وهم يركبون الخيل فى حركة استعراضية ذهاباً وعودة وقد ذكرونى بقول إمروء القيس . .

مكرم مفرم مقبلٍ مدبر معاً   كجلمود صخراً حطه السيل و من عل .

وكان عساكر الجنزير فى ملابس نظيفة على غير العادة أى بالقيافة التامة وكما سبق ان شرحت بأن الجنزير يضم عدة صفوف من عساكر الدرجة الثانية فمن الخارج صف بالبنادق والرشاشات . ومن الداخل صف البرنتات وهى مدافع قصيرة سريعه الطلقات ثم صف ثالث مجاور لنا ويحمل فى يديه الشوم الغليظ .

وعندما تحولت الصفوف الى ثلاثة بدلاً من ستة افراد زاد طول الطابور لمدة تزيد عن الساعة وهو يمر من امام كاميرات ليعطى له بعداً سينمائياً ودرامياً لزوم العرض من هذا الفيلم السياسى الحقيقى على الطبيعة الحية فى جبل ليمان ابو زعبل أو زعبل نفسه وبرغم عدم معرفتى من هو المخرج العبقرى إلا اننى معجب به فقد ادخلنى التاريخ من افظع ابوابه واكيد اكيد ان المباحث العامة لديها نسخه من هذا الفيلم الفريد وعندما تخرج هذه النسخ من مكانها ذات يوم سوف اكون اسعد الناس بها لأننى الوحيد فى بطن الجبل الذى رصد هذه العملية .. ولما حكيت للزميل زكى عثمان عن هذا الفيلم قال ..

- هذا احتمال وارد وغير مستعبد على المباحث .



شجاعة نادرة فى بطن الجبل

الاربعاء الدامى

اليوم الاربعاء وهو يوم عادى خرجنا للجبل فى موعد كل صباح وعند الوصول الى الجبل تغيرت المعاملة فقد مر كل **شاويش** على الدائرة الخاصة بكل عنبر وبدأ يضرب الزملاء بلاسبب او حجة واهمية ثم قام كل عسكرى بدلق جردل المياه المعدة للشرب وكانت المياه هى الغذاء الوحيد لنا فى فترة العمل بالجبل وتكهرب الجو وبدأ **عبد اللطيف رشدى يناويش الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله والدكتور فؤاد مرسى حيث ضربوه** على قدميه بالشوم بلاسبب ايضاً فلما **احتج الدكتور اسماعيل بدأت** المعركة مع **عبد اللطيف** الذى انهال على الاستاذ بالضرب فسالت الدماء من عدة اماكن وبالذات الرأس **فقال الدكتور للضابط** ..

– ليس من الشجاعة ان تضرب الناس بلاسبب أو ذنب فلسنا على خلاف معك وسوف يأتى اليوم الذى تحاسب فيه على هذا الاسلوب .. انك تحتمى فى وظيفتك فتضرب الناس فكان رد الضابط هو مزيد من ضرب الدكتور وقال بصوت سمعه الجميع فى هذا اليوم وهو فى قمة الحقد والإنفعال ..

– اذا كنت **راجل اضربنى** زى ما بضربك او امسك فى ملابسى او اشتمنى زى كمان انا مابشتمك .. أنا عاوز واحد فيكم يكون شارب من لبن امه ويضربنى او يشتمنى يا أولارد ... **الفاظ** خارجة وجارحه بالأم والأب ؟!!!! فقال له الدكتور ...

– انا مش بلطجى علشان اشتم واضرب انا استاذ جامعه بأعلم امثالك الأدب وانما انت لا تستحق هذا الكلام .. ولم يتمالك **رشدى نفسه فضرب الدكتور على رأسه فسالت الدماء وتهتكت** فروة الرأس لدرجة ان الشعر الحرير تلطخ بالدم وانفتح ما فوفق الحاجب وقال له الدكتور...

– انك تحمل مسدس . لماذا لم تضربنى به اذا كنت انت رجل بالفعل وجن جنون **عبد اللطيف** من **صلابة هذا الرجل البطل الذى** لم يخشى مسدس الضابط ولا شومه وأخذه **الصول مطاوع** بعيداً عن **الدكتور** الذى ظل واقفاً بكل صلابة وشجاعة نادرتين لم يسبق لهذا الجبل العتيد ان شهد مثلهما على مدى تاريخة الطويل وكل من شهد المعركة فى هذا

اليوم لن ينس للدكتور اسماعيل هذا الموقف الشجاع ولم يقتصر الأمر على الدكتور وحدة فقد شمل كل الزملاء تقريباً وظل الدم عدة ايام ظاهراً علي ارض الجبل وصخوره وفى هذا اليوم وجدت العسكرى ابو الوفا دنجل وصادق المجنون يضربان الدكتور لويس عوض عند سفح الجبل وكان بمفرده والمجنون يقول لــه ...

- انت يا واد يا لويز .. انت دكتور فى ايه يا وله .. ؟

- دكتور فى الفلسفة ...

- طب وماله عالج لى فلسفتى انا فلسفتى بتوجعنى يا واد يا لويز !؟

وتصادف مرور الزميل عبد المنعم درويش فاتفقت معه على اخراج الدكتور من هذا المأزق وقد كان فدخلنا بينه وبين العساكر لشغلهم عنه وذهب الى مكانه ثم جرينا من امام ابو الوفا والمجنون .. واغرب ما قرأت وانا فى سجن الواحات على صفحات الاهرام مقالة للدكتور لويس عوض بعد خروجه من المعتقل بقليل يقول فى هذه المقالة بأن أثناء سيره فى احد ميادين القاهرة لمح العسكرى ابو الفا دنجل فأوقف السيارة التى كان يركبها لأخذ العسكرى ويذكره بالذى كان فى ابى زعبل فيشكره العسكرى ويقدر له هذا الكرم .

وزملاء آخرين اصيبوا فى يوم الأربعاء الدامى مثل عدلى برسوم وهلال عبد العزيز وخيرى عزيز واحمد عبد الرازق والعامل محمد عبد العزيز ابو روسيا وفرنسا الذى وعدنى اذا خرج وقدر له الخلفه فسوف يسمى ابنه زعبل

ومن هذا اليوم كان عبد اللطيف رشدى يتجنب الدكتور اسماعيل ولكنه فى بعض الاحيان كان يحدثه فى وجود حسن منير او السيد منصور او غيره من الضباط .

هدأت الحالة نسبياً بعد يوم الأربعاء الدامى وكنا نجلس فى الدائره نمارس عملية تكسير البازلت وفوجئت بالشاويش عبد الحليم صاحب موضوع جدى الحلو .. يجلس على قطعة من الحجر ودار هذا الحوار بينى وبينه .

- الضرب خفيف النهاردة ليه يا شاويش ؟ فقال والله احنا زهقنا من الضرب ومن وجودكم هنا وبعد فترة قصيرة قال ..

- كنا مرتاحين ونسينا حكاية الضرب دى وصلتم لنا ونحن منفذ الأوامر .. قلت له ولكنك تنفذ الأوامر بشدة فقال ..

– مش انتم عاوزين تبقوا حكومة ؟ اخرج من هنا وهات لى حسن منير وانا اضربه لك بل هات هنا جمال عبد الناصر نفسه وقل لى اضربه .. اضربه انا هنا انفذ كلام الحكومة ومن قبل الثورة وانا هنا اعمل فى هذا السجن وياما ورد علينا قبلكم وياما هايورد بعدكم واللى يتجوز امى اقول له يا عمى .

بعد قرار تأميم بنك مصر وتضارب الآراء كانت اللقاءات فى الجبل بالنسبة لى هامة وقد كان رأى الزملاء في حدتو واضح جداً بأن على رأس النظام مجموعة اشتراكية وان اتخاذ أى موقف فى السجن سوف يحرج النظام واننا على وشك الإفراج بعد قرار التأميم وكنا فى الحزب نسمع أكثر من رأى ولكن كنت لا اطمئن إلا لزملائى من اعضاء تنظيم الحزب الشيوعى المصرى (الرايه) فقد كان رأيهم اقرب الى الصح وانا مقتنع به وكنت التقى فى الجبل مع رؤوف نظمى وعادل سيف النصر والهام سيف النصر وفليب جلاب ومصطفى الحمادى ونبيل الهلالى وامين شرف والدكتور اسماعيل والدكتور فؤاد وكان رأينا ان قرار التأميم ضربة للرأسمالية الكبيرة ولكن ينقصه بعض الاجراءات الديمقراطية مثل اطلاق الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسين والمعتقلين حتى يكون قرار التأميم لصالح الفئات الشعبية ولصالح استكمال خطة التنمية الشاملة من اجل بناء صناعات ثقيلة فى مصر وكل هذا يساعد على السير فى طريق التحرير الاقتصادى والسياسى والبعد عن مؤامرات الاستعمار ولن يتم كل هذا إلا بتحقيق الديمقراطية وتصفية السجون والمعتقلات وتحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتى .

وكنا نعتقد ان اسلوب عبد الناصر فى حكم البلاد حكماً فردياً دكتاتورياً وفى نفس الوقت كان شعار حدتو هو التأيد المطلق وشعار الحزب الوحدة والصراع هو الاصح .. وحدة من اجل تحقيق الديمقراطية أى وحدة وطنية مع الاحتفاظ بطابعنا السياسى وحرصنا على وحدة الحزب الشيوعى المصرى وبرغم وجهة النظر هذه وهى اقرب الى الصح إلا اننا كنا اقلية داخل الحزب الكبير وعندما ذهبنا الى الواحات الخارجية كان صوت بعض الزملاء يرج جدران السجن وهو يقول بتشيـــج .

– حايسقط يعنى حايسقط ؟ ! وكان البعض يسمى من يؤيد أى اجراء وطنى تتخذه الحكومه او الرئيس عبد الناصر .. لاعقوا احذية البرجوازية وعندما خرجنا كان اول

اللاعقين وافق على حل الحزب الشيوعى وهو احد قادته الكبار ولم نسمع له موقفاً يخالف هذا الحل الذى تبرأ منه الجميع اليوم ونحمد الله اننا لم نصل الى كراسى الحكم فى مصر والا جرى لنا ما جرى فى اماكن اخرى بعد الإنهيار العظيم ولم يسقط عبد الناصر بل جعل من مصر بعبع للأمريكان يعانون من عقدته حتى اليوم هم وعملاؤهم .

وبرغم سوء المعاملة فى اوردى ليمان ابو زعبل فلم نتوقف عن الكلام فى السياسة وقد تعلمت فى حضن الجبل مالم اتعلمه طوال حياتى حيث سمعت اعظم التحليلات السياسية والاشعار الثورية واعظم المواقف النضالية من افضل الرجال ثقافياً وعلمياً .. كما تعلمت الصبر على المحن وتحمل الصعاب وعرفت معنى التعاون بين الزملاء وبرغم من وجود بعض الضعفاء لكنهم لا يمثلون ظاهرة بالنسبة لهذا الكم الهائل من السياسين الابطال ..

صورتك على عينى عين تانيه بشوف بيها	السجن والسجان وايام بآسيها
وكل شومة فى ايد سجان آلاقيها	اهم واجرى ورا السجان
استفسر عن دم واقف على	شومته يقول اصرار

كلمات الدكتور عبد العظيم انيس
رثاء فى الشهيد شهدى عطية الشافعى
اوردى ليمان ابو زعبل ١٩٦٠

المكان أوردى الليمان بين المزارع والصخور	والزمن لحظة محن والشمس خايفة تشع نور
والبطل آه عالبطل له فى البطولة تملى دور	شهدى اللى مات ولا قلش آه
زعق اللواء نطق الهوى انطق ولد أو تنجلد	او نبعتك تلحق فريد ترقد معاه

كلمات الدكتور
رؤوف نظمى سنة ١٩٦٠

بطل على باب اوردى ليمان ابو زعبل

شهدى عطية الشافعى

الزمان على وجه التقريب هو يوم ١٩٦٠/٦/١٢. المكان أوردى ليمان ابو زعبل . . الموضوع هو قدوم قيادات تنظيم حدتو الشيوعى المصرى من محكمة الاسكندرية بعد محاكمة لم يصدق على حكمها احد وكان فى استقبال هؤلاء الزملاء العمالقة . . اسماعيل همت باشا وفرقة الجلادين وهم نفس الاشخاص الذين استقبلونا يوم وصولنا من الفيوم فى شهر نوفمبر سنة ١٩٥٩ وبنفس الاسلوب . . الجلوس القرفصاء فى الارض الفسيحة على بعد كيلو متر ويزيد من باب الاوردى ثم الدفع بالحصان والقفز من فوق من توقعه صحته او كبر سنه أو ضعفه الجسمانى تحت سنابك الخيل ويظهر انه كانت هناك توصية على هذه المجموعة بالذات حيث كان التركيز على قياداتهم واضح جداً وكان صراخ بعض الزملاء يصل الى كل العنابر وطبعاً هذا الصراخ لا يعيب صاحبه نظراً لما يحدث له من صدمة عصبية عند هذا اللقاء الغير متوقع خاصه وان نفسية هؤلاء الزملاء كانت غير مهيأة لمثل هذا الاستقبال خاصة بعد الدفاع السياسى الذى قدموه للمحكمة وذيوع هذا الدفاع الذى كان هو الاساس فى مواقف زملاء حدتوا السياسية كما ان هذا الدفاع السياسى الشهير كان هو الخط السياسى لتنظيم حدتو بعد انفصاله عن الحزب الشيوعى المصرى . . ذلك الخط الذى يقول بأن على رأس الحكومة الوطنية مجموعة اشتراكية بزعامة جمال عبد الناصر ونحن حدتو نؤيد تأييداً كاملاً كل خطوات الحكومة ونطالب بالافراج عنا فوراً لنقف فى صف واحد مع النظام الوطنى بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر والمجموعة الاشتراكية .

كان هذا هو موقف حدتو الرسمى والمعلن والمعروف للجميع . ومن الممكن الرجوع للدفوع السياسية امام محكمة الاسكندرية الكلية لمن يريد ان يؤرخ للحركة الشيوعية المصرية وبشكل عام فقد قدم كل حزب وكل تنظيم شيوعى دفاعاً سياسياً وكان كل تنظيم يتفاخر على الاخرين بدفاعه السياسى واسوء ما فى هذه الدفوع السياسية انها غير

موحدة وغير منسجمة كفريق وافراد شركاء فى قضية واحدة .

والدرس الذى خرجت به من هذه التجربة هو ان قضية وحدة الاحزاب الشيرعية فى مصر لن تتم مهما طال الزمن خاصة بعد تجربة الافق فى سجن الواحات الخارجة كما سيأتى بعد ذلك المهم كان الخط السياسى لزملاء حدتو معروفاً وبالذات للمباحث العامة مما جعل الزملاء القادمون من الاسكندرية غير متوقعين هذا الاستقبال وهذه المعاملة من رجال النظام الوطنى الذى يمثله جمال عبد الناصر .

كان الوقت ليلاً مما زاد فى جو الرعب والارهاب فى وجود حضرة اللواء اسماعيل همت الذى كان يجلس على نفس المقعد بجوار العروسة - جهاز الصلب تحت الانوار - الكاشفة امام باب الارودى .

والفارق بين استقبالنا واستقبال زملاء القضية الثانية هو اننا كنا فى الصباح نرى ما حولنا . . ولكن زملائنا كانوا فى ظلام دامس وهم يجرون بالخطوة السريعة امام الخيل ؟ ! !

وجاء الدور على البطل شهدى عطية الشافعى . الذى لم يكن لى شرف لقائه ابداً .

وزى ما قال رؤوف نظمى فى قصيدته الرائعة .

دخل البطل ولا فيش بطل زيك يا شهدى ف د ا النهار .

فوق الخشب صلبك عجب والجلد فوق اللحم نار .

كنا فى العنابر نسترق السمع ويخيم الصمت على جميع العنابر يشبه صمت القبور وكنانسمع من حين لاخر بعض الاسماء حتى وصل شهدى وسمعناه يرد على اسئلة عبد اللطيف رشدى .

- اسمك وسنك و و و ؟

- شهدى عطية الشافعى . . مدرس لغة انجليزية

- انت شيوعى ؟

- نعم انا شيوعى . .

- انت بتتحدانى يا ابن . . . ؟

- لا انا لم اتحدك وعيب اسلوبك هذا . . .

- عندما تخاطبنى قل افندم . . .

- لماذا ولمن اقول افندم ؟

- علشان تتعلم الادب . . . !

هنا بدا شهدى يفهم الموقف وان ما يحدث له هو ومن معه متعمد ومقصود فقال للضابط المتعطش للدماء . . .

- انت تسيئ للنظام بهذا التصرف نحو قوى وطنية ليست ضد الحكومة وحتى لو كنا ضد الحكومة فليس من حقك ان تسلك هذا السلوك الوحشى فنحن اصحاب رأى ونحن من انصار الثورة والرئيس جمال نفسه يعلم ذلك . . .

ولم يطق اللواء همت ورجاله هذا الحوار وهذا الدرس المهذب عن السلوك الصحيح لموظفى السجون فى التعامل مع سجناء الرأى فى مصر فأمر همت بصلب شهدى على جهاز التعذيب الرهيب - العروسه - وتم جلده جلداً وحشياً على غير العادة .

وبرغم ذلك لم يضعف البطل واستمر يعيد على جلاديه نفس الدرس فى الاخلاق والسلوك المهذب عندما تتعامل السجون مع اصحاب الرأى . فأنهالوا عليه ضرباً بالشوم والعصى بشكل عشوائى ومتخلف وكان الضابط يسأله - شيوعى - ايو ه شيوعى فأخذ عبد اللطيف رشدى الشومة من يد عبد السلام المتربس وضرب بها شهدى فى مؤخرة الرأس فحدث كسر فى الجمجمة ادى الى وفاة البطل فى الحال وساد الصمت الرهيب وتوقعنا حدث شئ غير عادى خاصة بعد ان تم ادخال باقى الزملاء بدون ضرب

وهرب اسماعيل همت وحسن مينر عبد اللطيف رشدى ويونس مرعى والسيد منصور ومرجان وتركوا الاوردى للصول مطاوع الذى اشرف على القاء جثة البطل فى نزانه خلف عنبرنا مباشرة ثم اطفئت الانوار وبدأ القلق يسرى الى كل العنابر

وبعد قليل بدأ عنبر رقم ٤ يبلغ عن موت شهدى عطية الشافعى .

اثناء تعذيبة على اعتاب أوردى ليمان ابو زعبل وهو يدافع عن فكرة و عدالة القضية التى قدم روحه وحياته من اجلها واعتقد الجلادون فى اول الامر ان شهدى يدعى الاغماء فبدأوا بالعصى والجريد والشوم . . ولكنه كان قد رحل عن عالم متخلف يقمع الرأى والفكر بالموت ويسيئ الى سمعة الوطن قبل ان يسيئ الى رجال الحكم .



مرثية

صورتك على عينى .. عين تانيه بشوف بيها
الجـــن والسجـــان وايـــام بأسيـــهـــا
وكل شومـــه فـــى ايـــد سجـــان الاقيهـــا
اهم . واجـرى ورا السجـــان استفـــســـر
عن دم واقف على شومتـــه يقـــول اســـرار
شيوعـــــى ؟ طبعـــاً شيوعـــى

من قصيدة الدكتور عبد العظيم انيس
أوردى ابو زعبل سنه ١٩٦٠

المكـــان أوردى الليمـــان بيـــن المـــزارع والصخـــور
والـــزمـــن لحظـــة محـــن الشمـــس خائفة تشع نـــور
والبطـــل آه عـــالبـــطـــل له فـــى البـطولـه تسللـى دور

دخل البطل ولا فيش بطل زيك يا شهدى فى ده النهار
فوق الخشب صلبك عجبوا لجلد فوق اللحم نار ولاقالشى ، آه
صرخ اللوا انطق ولد أو تنجلد او نبعتك
تلحق فريد ترقد معاه

من قصيدة
الدكتور رؤوف نظمى
أوردى ابو زعبل سنة ١٩٦٠

عرفنا صوت مبارك عبده فضل وأخرين ولم ينم احد فى هذه الليلة المشئومة وقد سمعنا قرب منتصف الليل صوت ارتطام مكتوم لجسم يلقى على ارض الزنزانه وكنت فى الصباح اول من خرج من عنبر ٦ ثم توجهت مباشرة الى الزنزانه - المقبرة - التى استقبلت قبل شهدى فريد حداد وبنفس الاسلوب وكان شهدى عطية هو ثالث الشهداء ولقد عبر رؤوف نظمى عن هذه المأساة باصدق تعبيره بقصيدة الرائعة سالفة الذكر .

ولم يكن شهدى هو الاخير فقد لحق به بسبب سوء المعاملة كل من رشدى خليل وعلى الديب وشعبان حافظ واويس اسحاق رحم الله الجميع .

وبعد إنتهاء محاكمة الزملاء فى الاسكندرية لم يتمكن احداً من اسر الزملاء معرفة الجهة المرحلين اليها ولكن زوجة شهدى قررت ان تتابع الرحلة بسيارتها الخاصة الى ان وصلت الرحلة الى مدخل الليمان الرئيسى ولم تتمكن من الدخول الى الاوردى ولكنها انتظرت عند المدخل الرئيسى لكى تطمئن على زوجها ورفاقه ويظهر انها كانت تتوقع شئ غير طبيعى قد يحدث فى هذا المكان..!

ولم يطل انتظارها فقد وجدت رطل من السيارات تغادر المكان ومن ضمن السيارات سيارة بها ضابط بالملابس الميرى ومنهم ضباط السجن ولاحظت حركة غير عادية عند مكتب رئيس الحرس وكثر استعمال التليفون فى ساعة متأخرة وتوجست ان يكون قد حدث مكروه لأحدا من الزملاء مبدأت تسأل من يمر بها من الجنود حتى اجابها احد الجنود فقال لها وهو يجهل شخصيتها . . .

يقال ان واحد اسمه شهدى مات من الضرب عند الاوردى وقع الخبر على زوجته وقع الصاعقة وبعد ان تاكدت من الخبر المشئوم عادت الى الاسرة واخبرت من يهمه الامر بالفاجعة . وابرقت الى اصدقاء شهدى فى كل مصر وخارجها وكان الرئيس عبد الناصر فى هذه الليلة يقف فى مدينة بريونى بيوغسلافيا امام رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف فى حضور تيتو زعيم الرابطة وكان الرئيس يعلن بأنه سوف يتجه نحو نوع من

الاشتراكية الديمقراطية فى مصر تحقيقاً للعدالة الاجتماعية .. فوقف واحداً من رابطة الشيوعيين وقال مقاطعاً الرئيس . .

– كيف تتحدثون سيادتكم عن **الاشتراكية** وانتم تقتلون **قادة الاشتراكية فى مصر؟!** **فرد الرئيس** نحن لم نقتل احداً وكرر لم نقتل احداً ولكن من يخرج على النظام يقدم للقضاء العادل

وفى هذه اللحظة قدم الرجل الى الرئيس البرقية القادمة من مصر حالاً والتى تعلن عن موت شهدى على باب أرودى ابو زعبل من جراء التعذيب الذى تعرض له هو ورفاقه عقب انتها المحاكمة فوراً بل فى نفس اليوم قبل مرور ٢٤ ساعة على مغادرتهم الاسكندرية ؟

وقرأ الرئيس البرقية بنفسه مما سبب له حرجاً شديداً فأرسل برقية عاجلة الى وزارة الداخلية بوقف ما يحدث من تعذيب فى الارودى وترحيل **المعتقلين** الى مكان اكثر أمناً ؟ ! . . .

وبالفعل تم وقف التعذيب خاصة بعد ان **ابلغت اسرة الشهيد اكثر** من نيابة للتحقيق **وقبل مرور ٢٤ ساعة** كانت عدة نيابات تقوم بالتحقيق وتم عملية **عرض للمتهم الاول وهو المأمور وضباطه وتعرف الزملاء على المتهمين جميعاً** وكان عرض المتهمين بالصوت مرة و بالصورة الحية ولم تفلح محاولة حسن منير الذى حضر امام رئيس نيابة الخانكة وهو يلف ذراعه بالجبس مدعياً ان شهدى قد اعتدى عليه وكسر له زراعه واثناء دفاع الحرس عنه مات شهدى قضاءً وقدراً من ضربة صادرة من احد العساكر غير معروف صاحبها ؟ :

أذيع اسم شهدى من كل إذاعات العالم تقريباً وقد حزن عليه **بعض موظفى السجون** لأنه هو الذى قام باصدار **مجلة السجون** المستمرة حتى الان بعد لقائه **بمدير مصلحة السجون الاسبق اللواء محمود** صاحب وهو الذى ادخل الاضاءة الى الزنازين والعنابر على مستوى كل السجون المصرية وهو الذى اقنع مصلحة السجون بحق الطلبة فى المذاكرة اثناء تنفيذ العقوبة والحصول على مؤهلات جامعية بعد اداء الإمتحان كأى طلبة عادية . وفوق كل هذا وذاك كانت له مواقف يعرفها كل مثقفى مصر والعالم ويكفى انه **اول مفتش لغة انجليزية فى المدارس المصرية.**

لقد كتبت ما رأيت وشفت وعاصرت وان استطع ان أوفى هذا الموضوع حقة ويؤسفنى عدم تذكر كل الاسماء لكل من تقابلت معهم وارجو ان يكتب غيرى ما خفى عنى او مالم ادركه حتى لا نضيع فترة تاريخية من اهم و اعظم فترات التاريخ المصرى الحديث وقد سجلت رأيى بامانة وشرف عن حياتنا فى أرودى ليمان ابو زعبل خلال المدة من نوفمبر ١٩٥٩ حتى يوم ١٩٦٠/٦/١٦ يوم الترحيل الى حيث لا نعلم . . .

ان أى زلطة بازلت مرصوف بها شارع فى مصر فهى تحمل آثار من دماء الشيوعيين ولقد كان الحوار مع البازلت ارحم وافضل من الحوار مع بعض البشر من امثال حسن منير وهمت ورشدى ويونس مرعى ومرجان والسيد منصور وقد أمرت النيابة بنقلهم من السجون الى العمل بجهاز الشرطة ولكن خارج مصلحة السجون فكان من نصيب عبد اللطيف رشدى الانقل الى احدى قرى اسيوط حيث لقى حتفه هناك بعد ان أراد ان يمارس نفس سياسة السجون فى قرى الصعيد فكانت نهايته وقيدت عملية قتله ضد مجهول هذا ما علمت من الشاويش عابد بعد ان تقابلنا مرة اخرى فى سجن الواحات الخارجة .

أما الملاحظة التى خرجت بها من الحوار مع البازلت الاسود فى جبل ابو زعبل هى كيف يكون عندنا هذا الجبل من الحجر والزلط ولم نتمكن من رصف كل شوارع المدن المصرية وهل هذا غائب عن ذهن المسؤلين ؟ !

ولقد ذكرنى هذا الجبل بقول مناحيم بيجن اثناء تواجده عند الهرم وهو يقول لأنور السادات .

– عندكم كل هذا النيل العظيم . . وكل هذه الصحراء ؟ ؟

كيف . . . !



مرة اخرى رحلة الى المجهول

والحجلة الثانية

توقفت طوابير العذاب الصباحية كما توقف العمل فى الجبل والوحيد الذى ظل يتعامل معنا الصول مطاوع دون ان يتفوه بكلمة واحدة وقبل ان يمر يوم واحد على نقل جثة شهدى تم فتح كنتين لشراء مايلزم من المواد الغذائية مثل الجبن والحلاوة والسجائر واختفى تماما المأمور وضباطه وخيم الوجوم على المعتقل ولم يمر ثلاثة ايام حتى أبلغونا بالرحيل وسمحوا لنا باستلام ملابسنا التى اكلت الفئران نصفها من جراء فوضى التخزين ولم نجد أى نقص بها حتى الأمانات مثل الذى يقال انها نقود أو يقال انها ذهب . وجدناها كاملة وهذه شهادة لموظف العهدة الذى لم يستغل ظروفنا السيئة وكان موظف العهدة حريصاً على سؤال كل من يتسلم متعلقاته .

– مظبوط يا بيه وشكراً وعفواً كلمات كانت قد غابت عن سمعنا وكدنا ننساها .

وبرغم الحزن الجاثم فوق الصدور وبرغم الشعور الخفى بالذنب الا ان بعض اعضاء جماعة التفاؤل قد نشطوا وبدأ الكلام والتهامس عن الافراج المرتقب بعد موت شهدى الذى انتشر خبره خارج مصر وداخلها مسبباً ما يشبه الفضيحة للنظام وكان هذا هو الاحساس الغالب عند اغلب الزملاء ولكن عاد التشاؤم مره اخرى بعدان حضرت السيارة التى سوف تقل المعتقلين الى المجهول خاصة بعدان رأينا جنازير الحجلة وهى تعد لا ستقبالنا معاًمن جديد وبسبب هذا التشاؤم حدث هذا التناقض ، فلو كان الامر فيه نسبة للإفراج . ما هو سبب وضعنا فى الحجلات مرة اخرى والمرة الوحيدة التى رحلنا فيها بدون الحجلة هى التى كانت من الفيوم الى الاوردى تجاه القاهرة . اما اليوم وبعد حادث شهدى ورحلة أخرى الى المجهول بالقيود والجنازير فهذا لا يدل على بوادر افراج اطلاقاً .

بعدان تجاوزت السيارات احياء القاهرة الجميلة واتجهت الى محطة سكة حديد الجيزة وضحت الرؤية نسبياً خاصة بعد حركة الارهاب المباحثى بطرد الجمهور بعيداً عن مكان ركوب المعتقلين فى الجزء الامامى من رصيف المحطة وكان اكثر الزملاء احباطاً هم مؤيدوا سياسية

الحكومة الذين يقولون بأن على قمة السلطة مجموعة اشتراكية بزعامة **عبد الناصر**.

وكانت **محطة الجيزة** تمتلئ برجال المباحث وعساكر السجون بالملابس الصفراء وعدد غير قليل من جنود بلوكات النظام ممازاد فى رغبة الجماهير فى معرفة كنه هذا العدد الضخم من المقيدين بالسلاسل وهذه عادة عند الشعب المصرى الذى يتعاطف دائما مع أى مكبل بالحديد حتى ولو كان خارجاً على القانون ولو لا وجود هذا الحشد من رجال الدولة لقدم الناس العيش والحلاوة وهو التعبير الشائع عمن هم فى مثل حالتنا .

وفى الساعة العاشرة مساءً جاء قطار الصعيد وبه عدد **ثلاث عربات خالية تماماً وهى عربات مخصصة لنقل المواشى** وكان بها بعض الروث الحديث مما يدل على انهم اخلوها خصيصاً لنا منذ وقت قليل فقد حاولنا بعد ركوبنا ان ننظف بقدر الامكان اماكن بجوار جدار العربة لنجلس عليه فقد توقعنا اننا ذهبون الى قنا أو الواحات أو إلى مكان ما على ارض مصر ما عدا منازلنا . . . ؟!

وقبل ان يكتمل ركوب الزملاء تحرك القطار وكان البعض مازال على رصيف المحطة فجرجر القطار بعض الزملاء وكادت تحدث كارثة اخرى تحت عجلات القطار لو لا ان **السيد منصور جرى بالحصان ليلحق بالسائق ثم اطلق رصاصة فى الهواء فى اتجاه السائق ليوقف سير القطار** الذى توقف بالفعل بعدان سحب عدداً من المقيدين بالحجلة الذين اصابهم رعب وفزع شديدين من جراء **هذا الفعل المتفق عليه مع هذا السائق المباحثى** . اقول متفق عليه حيث انه سبق حدوث مثله مع زملاء اخرين . **مثل الزملاء من مجموعة قنا** وزملاء أخرين لبث مزيداً من الرعب والخوف وكل هذا مقصود ومدبر من قبل بواسطة خبراء نفسيين فى فن التعذيب ونشر الرعب والارهاب النفسى لكل من يجروء على اتخاذ موقف او ابداء رأى . حتى وان كان هذا الرأى مؤيداً للنظام ورئيسه .

تركونا مكبلين فى الحجلة داخل عربات اقرب الى الحظائر منها الى عربات السجن فى اطول رحلة قذرة عرفها البشر والحجلة هى نوع من الكلبشات الجماعية تضم شخصين متجاورين فى كلبش واحد مثقوب من نصفه بين الرسغين ليمر من هذا الثقب جنزير طويل وفى نهاية الحجلة احد الجنود وفى يده الواحدة كلبش من النوع العادى محكم بقفل نحاس غير قابل للعبث به ولكن فى هذه الحجلة استبدلو الجندى بزميل بحل محله خوفاً على حياة الجندى خلال هذه الرحلة الطويلة ومن حسن الحظ لم يكن معنا داخل العربات أى نوع من الحراسة فأستطاع بعض الزملاء نحيفوا الاجساد ان يخرج يده النحيفة نسبياً من الحجلة ومن حظنا نحن ان الزميل المربوطه يده فى اخر الحجلة استطاع ان يخرج يده من اسورة الكلبش الجماعى ولم يبق بالحجلة الا اصحاب الايدى الكبيرة ولكن خروج بعض الزملاء من الحجلة جعل الامور محتملة وبالذات عند الرغبة فى التبول من احدى فتحات العربة الضيقة . كما قام الزملاء الذين تحررت اياديهم بنظافة العربة بقدر الامكان مستخدمين فى ذلك بعض الملابس التى اكلت منها فئران ابو زعبل فقد كان كل واحد يحمل حقيبة فى يده .

وجلسنا على ارضية العربة ونام البعض على أكتاف البعض من شدة الارهاق والتعب وطبعاً كانت هذه العربات بدون سست فكنا نشعر بمطبات السكة الحديد وبالذات عند مفترق السكك مثل التحويلات ممازاد فى ارهاق الاجساد ولعلك تستغرب لو قلت لك ان مطبات السكة الحديد اشد وافظع من مطبات الشارع السيئ رصفه . . .

والحجلات هى ابتكار انجليزى كما هو الحال بالنسبة لنظام السجون .

ويظهر ان الدولة فى مصر لم تعجب بأى اختراع انجليزى سوى السجون والحجلات وتعتبر السجون من المرافق المهمة التى ورثها النظام عن الانجليز وبالرغم من تطوير السجون فى بريطانيا - كما نرى فى الافلام - الا ان حالة السجون فى الادارة والمعامله المصرية قد ساءت عن ايام الاستعمار الانجليزى الذى كان يصرف لكل معتقل مبلغ من النقود وكمية من السجائر بخلاف الغذاء المخصوص من احد المطاعم المعروفة وليست السجون فقط هى التى ساءت حالتها بل ان جميع ما ورثناه من مرافق مثل المياه والسكة الحديد والترام والنور والطرق والكبارى والرفق بالحيوان الذى تحول الى الاساءة للإنسان ومهما حدثتك عن بشاعة منظر الحجلة فلن اصفها لك وصفاً دقيقاً يعبر عن وضعها المؤلم الغير حضارى لا بالنسبة للبشر فقط . . بل وايضا بالنسبة للمواشى التى هى مصدر الخير لكل البشر .

نزلنا من القطار فى محطة قرب قنا تسمى المواصلة لنجد جنود ومباحث من نوع

جديد ويحمل الجنود بنادق انجليزية الصنع من نوع **لى انفلد** وبعد ساعة من الزمن حضرة قطار صغير يشبة تماماً قطار الدلتا فى الوجه البحرى يجر عدة عربات وابور فى نفس الحجم ويعظم شبابيك العربات محطة بفعل الزمن وبعدان اخذ القطار فى التحرك بدأ الزملاء يخرجون ايديهم من الحجلات مرة أخرى فضحك الشاويش الذى كان يرافقنا داخل العربة الصغيرة وهو يقول بلهجة صعيدية ظريفة . .

– أديك شلت يدك طب حاتروح فين عاد . . ؟

فقلنا له عند أى تفتيش سوف ندخل يدنا فى الحجلة فلا تخشى شيئا وتفهم الرجل الموقف وكان رجلاً طيباً اعطى لنا بعض السجائر اللف .

كان القطار يعانى من مرض عدم السرعة فكان يقف كل عدة كيلو مترات ليلتقط أنفاسه ثم يستأنف سيرة مرة أخرى وكانت الرحلة بالنسبة لى فيها شئ من الطرافة فقد رأيت لأول مرة فى حياتى صحراء مصر الغربية خلف الصعيد الجوانى .

ومررنا على ارض شاسعة بها حجر رملى على هيئة كرة تشبة كرة القدم **أو البطيخ وبالفعل قال لنا الشاويش الطيب** ان هذه المنطقة تسمى **وادى البطيخ** وحكى لنا اسطورة تقول بأن اهل هذا الوادى كفروا بنعمة ربنا فحولهم الله الى حجارة وحول حقول البطيخ الى حجارة وكان ايمان الرجل بهذه الخرافة ايماناً صادقاً ولقد سمح لنا ان ننظر من النافذه الضيقة ومن اغرب ما رأيت بعض الهياكل العظمية لحيوانات نافقة على الطريق وهى كثيرة حتى وقع نظرى على هيكل بشرى هلك منذ زمن بعيد وقلت **للشاويش** .

– هاهو صاحب الحقل .. فقال ..

– ياما حاتشوف .. هنا اللى يموت فى هذه الجهات وهذه الصحراء ان لم يدفنه احداً سيظل **هكذا تاكل منه الطيور والذئاب حتى الذئاب نادرة فى هذا المكان** . ولم نجد لدينا ما نقوله للرجل سوى ما حدث لنا **فى الاوردى** ولكنه غضب غضباً شديداً وقال لنا بعصبية ..

– ليه سكتم على هذا الذل ؟ ليه كده ؟ يا بوى عالرجاله ولم أجيبه فلم اجد ما اقوله وجلس الرجل بعيداً عنا حتى وصلنا الى قرب الواحات الخارجة فقال لنا الشاويش بأدب ...

– كل واحد يدخل يده فى الحجلة فقد وصلنا الى **محطة الواحات** وسوف نقف فى **عزبة المحاريق** حيث يوجد السجن واسمه سجن المحاريق بالوادى الجديد **كانت الساعة بعد السابعة** مساءاً فلم نتبين معالم قرية المحاريق فقد عم الظلام المنطقة وكانت محطة المحاريق قريبة من السجن فوصلنا مشياً على الاقدام ولم يكن هناك صوت سوى صوت جنازير الحجلة وعندما دخلنا

من باب السجن الضيق أمر المأمور بفك كلبشات الحجلة فوراً وتحررنا منها بعد ما يقرب من٢٤ ساعة منذ ان غادرنا الاوردى لنصل الى سجن حديث هو بالنسبة لباقى السجون سجن خمس نجوم .

وكان أول ما حدث هو ان سلم كل زميل على زميلة بالاحضان وكان فى انتظارنا فخرى لبيب مسؤل التعامل مع الادارة هو وبعض الزملاء فرحبوا بنا وطمئنونا على ان الحياة هنا افضل من أى سجن أخر واحلوت الحبسة فى سجن المحاريق .

سجـــن المحــــاريق

ثلاثة عنابر مستطيلة حديثة البناء من دور واحد مرتفع عن الارض نجمس درجات سلم وكل عنبر مكون من جناحين يضم كل جناح عشرة زنازين كل زنزانة لها باب شراعة بها بعض الاسياخ الحديدية البسيطة ومساحة كل حجرة عبارة عن ٦×٦ امتار وتسع اكثر من اثناعشرة فرداً لذلك اسميها حجرة فهى ابعد ما تكون عن الزنزانه .

ويفصل الجناحين الباب الرئيسى للعنبر فهو يقع فى منتصف العنبر وله بهو صغير ويغلق على كل جناح باب من ضلفتين وعند غلق الحجرات ثم غلق باب الجناحين ثم يتم غلق الباب الرئيسى للعنبر من الخارج مع تواجد سجان يجلس وحده بين الجناحين على كرسى خشب يشبة كرسى البواب ومن حين لأخر يمر على الغرف أو ينام حيث مكانه بجوار الباب الرئيسى وفى نهاية كل جناح دورة مياة حديثه ونظيفة بها خمس محلات بكل محل دوش وفى نهايه دورة المياه ثلاثة احواض لغسيل الوجه وتأتى المياة من الماكنية المقامة على احدى العيون وهذه الماكينة تغذى مسكن المأمور وهو على هئية فيلا بسيطة كما تغذى عنبر الجنود وخيام السجانه ثم تغذى عنابر السجن الثلاثة بالاضافة الى المكاتب ومرافق السجن مثل الفرن والمطبخ والمغسلة وحوش الشجن وكان بعض الزملاء يشغل عنبر رقم واحد والاخوان المسلمين يشغلون عنبر رقم ٣ وكان عنبر رقم ٢ مجهز لاستقبالنا فى هذه الليلة من شهر يونية ١٩٦٠ وكان تصميم السجن يخالف السجون الاخرى فى كل شئ ويوجد بكل حجرة شباك مدعم بالحديد البسيط وليس كروهات مثل شبابيك الاوردى وكانت شراعة باب الحجرات تسمح بالتعامل مع من فى خارج الحجرة مثل تبادل السلامات أو علب السجائر أو الحديث وكان اهل الواحات يطلقون على هذا السجن اسم السرايات وعلى المسجونين فيه سكان السرايات ولهم كل الحق فى ذلك فقد كانت مبانى السجن افضل من منازل اهل المحاريق وهم

يعرفوق السجن من الداخل فقد عملوا فعله عند بناء هذا السجن منذ عهد قريب . كانوا يحسد وننا على الاقامة فى هذه السريات وعلى الخبز الابيض الذى يصنعه السجن ويسمونه الفطير الميرى وعندما كانوا يأتون لأى غرض كان يحرصون على الحصول على

– ولو قطعة صغيرة من عيش السجن أو الفطير الميرى .

كان المأمور فريد شنيش فى استقبالنا مع باقى ضباط السجن ولم نسمع أى لفظ خارج أو جارح من احد وأعتقد ان بعض الزملاء كان قد مهد لا ستقبالنا وقد علمنا من الزملاء ساعة وصولنا بأن سعد التائة واحمد البدينى المحامى الذى ترافع عن الزملاء فى الاسكندرية ثم اعتقلوه بعد المرافعة مباشرة وكذا محمود السعدنى علمنا بأن هؤلاء السادة سوف يعودون فى نفس القطار الصغير الى القاهرة تمهيداً للإفراج عنهم نظراً لبعدهم عن التنظيمات الشيوعية وقد علمت من حسن فؤاد ان دكتور لويس عوض والدكتور عبد الرازق حسن مازالوا بالاوردى وسوف يرحلون هم ايضاً الى سجن القلعة تمهيداً للإفراج عنهم ايضاً ومن سوء الحظ لم أقابلهم فقد دخلنا من باب وخرجوهم من باب أخر .

لم يسعد أحداً بوجوده فى سجن الواحات بقدر سعادتى وذلك بسبب اشياء كثيرة وعديدة منها مثلاً بعد السجن عن الادارة المركزية فى القاهرة سواء مصلحة السجون أو المباحث العامة ووزارة الداخلية وايضاً للبعد عن الذكريات المؤلمة فى الفيوم والاوردى فقد كان نصيبى من الضرب فى هذين المعتقلين نصيب الاسد علماً بأننى لم اسعى الى هذا الضرب بل كان الضرب هو الذى يسعى الى فقد كان ينطبق على قول الشاعر – مرغم اخاك لا بطل –

واجمل ما وجدته هم الاساتذة من رجال الفكر والصحافة والجامعات ولقد تقابلت عن قرب مع الدكتورفؤاد – الرفيق خالد – والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله والفريد فرج والدكتور عبد العظيم انيس وفخرى لبيب وابو سيف يوسف والدكتور فايق فريد والدكتور حمزه البسيونى ورزق عبد المسيح وشكرى عار وثروت الياسى وشريف حتاته وصلاح حافظ وفليب جلاب وطاهر عبد الحكيم ومصطفى كمال حسن فؤاد ومحمد صدقى كسبه ومحمد شطا والعزب شطا وعائلة شعراوى محمد والسيد وميسور ومصطفى (الشعراوية) وعبد الملك

خليل وعادل حسونه وبدر رضوان وفاروق فتح الله زايد وعادل كامل وفوزى جرجس وبهجت النادى وممتاز فرغلى وحسن بحب وحسن الساكت وفكرى قورة وعبد العزيز عوض ويوسف ماضى وعبد اللطيف هنداوى وامين شرف وفوزى وهبة زخارى واخوه صبحى وفليمون وعشم الله ومنصور فهمى وعدلى جرجس وداود عزيز ووليم اسحاق - (الملك) - ومجدى نجيب وشوكت والسيد اسحاق والسيد حسن وفؤاد حبشى وسيد سليمان رفاعى وزكى مراد وجمال غالى والسيد عبد الله ومحمود سويلم وعبد الوهاب الجرتلى وسعيد عارف وفاروق مراد ومكرم الله مرقص ويوسف درويش وصادق سعد وريمون دويك ونبيل القرنفلى وداوود شلوم والبيرأريه وياسين مصطفى ومحمد على تركى وجلال معانى ومتولى السلاماوى وشحاته عبد الحليم واخية محمد وعبد المنعم شتلة ومصطفى الحمادى وغنيم مصطفى وسعيد ابو طالب وفؤاد وبليع وزهدى العدوى واحمد عرابى ومحمد خليل الاسى ومحمد خليل قاسم ومختار جمعه ومحمود شندى ومحمد حمام وسليمان القائمقام واحمد الزقم ومصطفى طيبة وعبدون وحلمى عبد المجيد ومحمد المليجى ومحمد زيان وفؤاد مصطفى وسامى عبد المسيح ويوسف حجازى وممدوح الفكهانى وممدوح نور الاسمر والسيد جزجا واسمه السيد عبد الرحيم وقد اطلق عليه جزجا لانه كان يعد عواميد التليفونات اثناء سير القطار فيقول على عمود التلغراف جزجا جزجتين ثلاث جزجات ومنذ هذا اليوم وهو يعرف بأسم السيد جزجا . . ومصطفى خليل وعلى المرشدى وابراهيم امام وعلى الحجار وليس المطرب - وعبد الستار الطويلة وابراهيم هرارى وعادل مائير وجمال بلية وكرم نسيم ومحمد القلعاوى وامام المنزلاوى وكانت سعادتى غامرة لتواجدى مع هذا العدد من المفكرين والقادة واعتبرت نفسى فى جامعة مفتوحة اتعلم فيها كل ما خفى عليه من المعارف والفكر والسياسة وكنت اسعى اليهم فقد كان العلاقة بينى وبينهم من طرف واحد . . او حب من طرف واحد فقد كنت انا فى حاجة لهم دائما لمزيد من الحصول على المعرفة والاستفادة من علمهم ولم اترك فرصة او مناسبة او حلقة او ندوة او محاضرة تفوتنى فوجودى مع هؤلاء العباقرة والقيادات النادرة فرصة لن تتكرر مرة اخرى لذلك كانت وحصيلتى من الاستفادة منهم عظيمة وقد تعلمت منهم الكثير والكثير والكثير ولهم جميعاً فضلاً عظيماً على العبد لله ولن انسى لهم تواضعهم وحبهم للناس وانسانيتهم الفياضة ودعمهم المالى

للحياة العامة بجلب مزيداً من النقود عن طريق أسرهم من اجل ان تستمر هذه الحياة العامة المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياة البشر داخل السجن . ومازالت لى صداقات اعتز بها حتى اليوم منهم على سبيل المثال الحصر فكرى الخولى ومحمد المصلحى ولمعى يوسف ويوسف موسى وجوزيف ونادر بولس وجلال عبد الحميد وانور العطار واسماعيل جبر وابراهيم العطار وعدلى عزيز وخيرى عزيز ونبيل عزيز وفرنسيس كيرلس وطوسون كيرلس وفؤاد كيرلس وفريد الشرقاوى وفخرى فؤاد عوض ومحمود خالد وثروت الياس سلامه ومن اعظم من قابلت روفيه نظمى التى تركت فى نفسى اعظم الاثر حتى يومنا هذا .

وبعد ان استقرت بنا الحياة داخل عنبر رقم ٢ بدأ الزملاء الذين لم يحضرو الى الاوردى يسألوننا عما تم فى الاوردى والسبب فى عدم اتخاذ موقف هناك وشرحنا لهم ظروفنا وظروف العمل فى الجبل وكيف تمادت ادارة الاوردى فى تعذيبنا ولم نتخذ موقفاً تفادياً لمؤامرات المباحث خاصة يوم الاربعاء الدامى وموقف اسماعيل صبرى البطل وشرحنا لهم اسباب عدم التجاوب مع استفزاز الادارة حسب قرار القيادة فى عنبر واحد بالاوردى حرصاً على حياة وارواح الكوادر السياسية وكان للبعض الحق فى ان يسخروا منا بسبب ضعف موقفنا هناك خاصة وانهم فى الواحات كانت لهم تجربة عظيمة بطلها فخرى لبيب الذى وقف وتصدى لهمت عندما حضر اليهم فى المحاريق ورفض فخرى لبيب اسلوب همت وفرقته بعد ان أمر اللواء بضرب وتعذيب المرضى والعجزه واصحاب العاهات والمكفوفين وكان لابد ان يتصدى لهمت احداً فكان فخرى لبيب هو المتصدى وهو موقف شجاع لشاب شجاع امام عدداً من الجبناء عدموا الضمير والانسانية .

ومن ضمن الذين تصدوا لإسماعيل همت باشا وفرقته الاستاذ المناضل عبد الخالق الشهاوى الذى اخذ الزميل زكى عثمان وهو مناضل قديم فقد بصره خلال مراحل حياته النضالية . اخذه عبد الخالق فى حضنه من تحت الشوم والعصى التى بأيد العسكر متحملاً الضرب المكثف ومتحدياً همت بكل شجاعه وكان لهو الفضل فى انقاذ زكى عثمان من هؤلاء الوحوش وليس هذا الموقف وحده هو الذى اخذه عبد الخالق فقد كانت له مواقف مشابهة فى معتقل العزب بالفيوم وكذلك تصدى فخرى لبيب لهمت فى نفس اليوم الذى تصدى فيه ايضاً لهمت عبد الخالق الشهاوى .

وليس هذا الموقف وحده الذى اتخذه فخرى لبيب فقد تصدى لحسين الصيلحى يوم ان حضر لإجبار بعض الضعاف على استنكار فكرهم ومبادئهم كما سنرى بعد قليل .

وبرغم عدم اتفاقى مع فخرى لبيب فى السياسه أو التنظيم إلا اننى احترم هذا الرجل واقدره حق قدره .. فهو بكل المقاييس رجل شجاع .

وقد سبقنا الى سجن المحاريق الزملاء التسعة الذين كانوا فى معتقل قنا

واذكر منهم اسماعيل عبد الحكم وغنيم مصطفى وابراهيم حسن وحلمى عبد المجيد وأخرين .

كما سبقنا الى هناك ايضاً زكى عثمان وشمس السلاب وشوكت و زين سليط ومحمد مستجير مصطفى وعبد الستار الطويلة الذى اسس وكالة انباء واس .

وقام الحزب باصدار جريدته المعبرة عن رأى الحزب اسمها الطريق واصدرت حدتو جريدة اخرى باسم المجلة الناطقة تعبر ايضاً عن موقف حدتو المتميز عن باقى مواقف الشيوعيين ولقد كان لو كالة واس والمجلات الناطقة بالاضافة الى جريدة وتسمى الفلكا بعد ذلك اعظم الاثر فى تحديد وبلورة المواقف وبذلك تحول سجن المحاريق الى جامعة مفتوحة بالنسبة لى تعلمت فيها الشئ الكثير وقد شارك كل الصحفيين فى كل الجرائد مثلاً كان محمد صدقى كسبه هو مسئول الناطقة ويساعده مصطفى كمال حسن فؤاد . وفتحى عبد الفتاح هو مسئول الطريق يساعده طاهر عبد الحكيم . وفليب جلاب هو مسئول الافق يساعده رؤوف نظمى الذى كونت معه صداقة حميمة فى بطن الجبل وحفظت بعض اشعاره ومواويله وكان رؤوف لا يهاب الضرب فهو يتمتع بقوة احتمال عجيبة وليس هذا غريباً على الرجل الذى وكان تعلقى برؤوف وثروت الياس وزكى عثمان واسماعيل عبد الحكم وعبد اللطيف هنداوى وغنيم مصطفى وأخرين شديداً جداً لا لانهم من الحزب الشيوعى المصرى القديم ولا لأنهم على اعلى مستوى ثقافى وفكرى وكان رؤوف دائما يجد من انفعالاتى ودائماً هو لى مثل طيب لم استطيع ان افارقة طوال الحبسة وفجاة دبت حركة غير عادية فى الغرف وكنا فى غرفة رقم ٢٠ بعنبر رقم ٢ عندما دخل ثروت الياس وحمل بورشه أو نمرته وخرج من الغرفة وبحثت عن رؤوف ولم اجده لمدة ساعة تقريباً وانا فى غاية البلبلة من هذه الحركة التى عمت كل العنبر وانا لا

افهم أى شئ مما يحدث حولى . . ! فسألت زميل اسمه **جلال معانى** عن سبب هذه التنقلات فقال لى .

– أن كل تنظيم يجمع ناسه فى غرف خاصة به ولما سألته عن **خروج ثروت ورؤوف من غرفة ٢٠** . . قال . .

– اصلهم من **حزب الراية** وهم يرغبون فى السكن مع بعضهم فجريت على رؤوف وهو يحمل نمرته وقلت له . .

– لماذا تركتنى فى **غرفة ٢٠** ؟ فقال ما قاله لى **جلال معانى** فقلت له . .

– انا كمان راية . . قال – إذن هات غرتك وحصلنى على غرفة رقم ٦ وقد كان . .

وقد بدأت اتذكر ما حدث فى **عنبر رقم ٥ بالفيوم** عند تكوين الحياة العامة وبعض المشاكل مثل رفض زملاء حدتو الدخول فى حياة عامة واحدة لو لا موقف **حسن فؤاد والدكتور عبد الرازق حسن وابراهيم العطار واسماعيل جبر وفليب جلاب** وبدأت اعرف معنى كلمة انقسام لأول مرة فى حياتى فقد كانت افكارى مسطحة تماماً وكنت شيوعى مبتدئ ساذج بل ميح . وكان يكفينى – وانا خارج السجن – ان تقولى **هذا شيوعى** حتى أقدم له روحى عن طيب خاطر على طبق من فخار بصرف النظر عن الحزب أو التنظيم الذى ينتمى اليه هذا الزميل . . ولكننى داخل السجن عرفت ان الموضوع اكبر من ادراكى السياسى وقد وجدت فى **الغرفة ٦** كل زملائى قبل وبعد الاعتقال وسعدت بلقاء **زكى عثمان** بالذات فقد كان يحتاج دائما لم يساعده نظراً ظروفه الخاصة بعد ان فقد بصره تماماً قبل الاعتقال بوقت قليل وجدت ايضاً **عبد اللطيف هنداوى وسعيد ابو طالب بلدياتى** وتعرفت على الزميل الطيب **فوزى زخارى وصبحى زخارى واحمد فؤاد بلبع** صاحب الكوزخانه أو الكزخانه **وغنيم مصطفى وامين شرف** واعتقد ان **غرفة ٦** كانت فى غاية الانسجام ولم أيمر يوماً واحداً دون قراءة او ثقافة أو حفلة غناد ويرجع الفضل فى ذلك الى **رؤوف** منهوا شعلة ثقافة ونشاط غير عاديين وكذا **ثروت الياس** الذى له القدرة على اقناعك بشئ ثم بعد قليل يقنعك بعكسه وكان **رؤوف** يجيد **اغانى عبد المطلب** اجادة جيدة وصوته جميل ويشبه صوت طلب وكانت الثقافة تتم بشكل جماعى يومياً مثل قراءة كتاب ثم مناقشته او تحليل ما يدور فى جريدتى الطريق والناطقة بالاضافة الى ما يصل عن طريق وكالة انباء واس لنخرج بالرأى الصحيح من كل هذا فقد كانت قيادات جميع الحركة **الشيوعية موجودة فى سجن الواحات** وكنت اسمع تحليلات مختلفة من اقصى اليسار الى اقصى اليمين مثل **اسقاط الحكومة وجمال عبد الناصر** و . . حل **التنظيمات** والدخول فى وحدة عضوية مع الاتحاد الاشتراكى العربى بقيادة جمال عبد الناصر زعيم المجموعة الاشتراكية وكان

البعض يرى ان تأييد النظام خيانه . . والبعض الاخر يرى ان معارضة النظام خيانه ومن خلال هذا التناقض كنت انا المستفيد الوحيد تقريباً من الناحية الفكرية والسياسية فقد كنت فى حاجة الى معرفة الحقيقة والموقف الصحيح ولم اترك هذه الفرصة الفريدة التى لم ولن تتكرر نظراً لأن سجن المحاريق يضم قمة رجال الفكر والمعرفة فى كافة العلوم والمجالات وكان من الغباء ترك هذه الفرصة خاصة بالنسبة لى فلم يحالفنى الحظ بدخول الجامعة ولا فى التعليم النصف كم كما كان يسميه لويس عوض أى التعليم المتوسط . . فأنا لم ادخل الجامعة فأتت الى الجامعة فى هذا السجن الفريد . . .

ثم اختيار فوزى وهبة عمدة للغرفة واثبت جداره وحكمة واستطاع بالدخل البسيط الذى تحصل علية الحجرة من لجنة الحياة العامة ان يوفق بين رغبات الجميع بين المدخنين وغير المدخنين وكان نصيب كل حجرة يتارجح بين عشرة جنيهات أو تسعة أو اكثر وكان عددنا فى هذه الغرفة احد عشرة . زميلاً هم أمين شرف ، رؤوف نظمى ، ثروت الياس ، غنيم مصطفى ، بليغ هنداوى ، المناويشى ، زكى عثمان ، سعيد ابو طالب ، فوزى زخارى ، حسن ابراهيم .

وكان المبلغ يوزع على الجميع بالتساوى بعد عمل حساب غير المدخنين وكان على كل زميل ان يقوم بخدمة الغرفة فى استلام اليمك وادخال بعض التحسينات عليه بما يتوفر من امكانات ثم يتولى مسح وغسل الارضية يومياً ثم غسل الموعين أى القروانات وغسل جردل البول بالتراب وبالمياه يومياً وكذا جردل الشرب وكانت خدمة الغرفة هى اهم عمل يقوم به من عليه الدور فى اخذ النوباتجية نظراً لوجود بعض الحشرات الضارة مثل البق والنمل والفئران وبالصدفه تمكنت من القضاء على هذه الحشرات فى جميع الغرف جاء على الدور فى النوباتجية وكنت لم انم قبل هذا اليوم من لدغ الحشرات وقفز الفئران فسألت رؤوف عن مكان العيادة الطبية فقال – ماذا تريد منها – قلت بعض المطهرات مثل الفنيك . . فقال – اذهب الى الصول متى وقل له أن يعطيك ما تطلب . . وانصحك ان تعطى له سيجارة وكان الحصول على السيجارة مشكلة ولكن رؤوف اخذ من امين شرف سيجارة بكاملها واعطاها لى وذهبت للصول متى وهو التمرجى والدكتور وكل شئ ولكنه يختلف عن الصول امين فى الاوردى فهذا انسان والاخر غير ذلك اعطيت السيجارة لمتى وطلبت منه قليل من الفنيك وكان متى مشغول فى أى حاجة فأعطى لى المفتاح الخاص بغرفة المطهرات وقال . . . . خذ قليل من الفنيك وهات المفتاح . . . فاهم . . وعندما فتحت الغرفة وجدت

امامى صفيحة فنيك وبرميل مكتوب عليه – تكسافين احترس لانه خطر ثم وجدت عدة جرادل مركونه بشكل غير منظم فأخذت واحداً منها ووضعته تحت برميل التوكسافين وملأته عن أخره واخذت ملء تنايه – صفيحة صغيرة – فنيك واخفيت التوكسافين خارج الحجرة واعطيت المفتاح لمتى وعدت الى الحجرة وكان لابد من اخلائها من جميع النمر وادوات الاعاشة **مثل القراوانات** والتوتو ، والتوتو هو البوتاجاز الذى اخترعة بعض الزملاء وهو عبارة عن كوز سلمون أو علبة يتم ثقبه بشكل دائرى من قرب القاع بمسافة ٤ سم تقريباً ثلاثة صفوف من الثقوب فوق بعضها ثم صفين من اعلى مع وضع قطعة من السلك او الحديد وبذلك يكون عندك اسرع وسيلة للطهى وتحسين الطعام وعمل الشاى وخلافه اخرجت كل ما فى الغرفة وتركت جردل التوكسافين وصفيحة الفنيك على ارضية الاشغلت داخل الغرفة وذهبت الى احضار مكنسة أو ما يشبة المكنسة وغبت لمدة نصف ساعة والغرفة مغلقة تماماً وعندما عدت رأيت شيئاً غير متوقعاً فقد تساقط **البق** من نفسه على ارضية الغرفة بكميات غير متوقعة كانت تسكن شقوق السقف الخشبى بشكل وبائى ولم اصدق ما حدث من هول الكمية من الحشرات الاخرى مثل **النمل – حرامى الحله –** ولم اكتفى بهذا فقد وضعت كمامة على وجهى واخذت ارش السقف الخشب بالتوكسافين فخرجت منه بلاوى ولم ينقص من الكمية شيئاً يذكر فقمت بتوزيعة على جميع غرف السجن فى العنبرين ثم القيت منه كمية فى محلات دورة المياة والبلوعات وكانت المفاجاة ان خرجت فئران فى حجم الارنب وكانت هذه الفئران تدخل الغرف اثناء النوم من الشرعة الحديد الموجودة بالباب . . خرجت هذه الفئران الكثيرة وهى تترنح فقابلها الزملاء فى الطرقات والقرف وقضوا عليها وقد عمت هذه التجربة على كل من عنبر ١ وعنبر ٢ فتم القضاء على **البق والفئران** بمحض الصدفة وكان نصيبى من هذه العملية ان اصبت بحساسية فى انفى حتى اليوم ولكن الحساسية ارحم من لدغ البق ومنذ هذا اليوم لم يرى احداً حشرة أو صرصار أو فأراً وانا احكى هذه القصة لابرهن على ان النظافة داخل السجون ممكنة ولن تكلف الادارة شيئا فكل السجون بها كم من القذارة رهيب جداً يسبب امراض الجلد والربو والصدر علماً بأن الامكانيات متوفرة بكثرة داخل السجون .

كنا نحصل على الكيروسين – الجاز – من مخازن السجن وكان المتخصص فى سرقة الجاز هو الزميل **ابراهيم إمام** وكان يبيع كوز الجاز بسيجارة على انه هو مصدر البترول الوحيد داخل السجن فقد كان كثير المشاكل خاصة إذا لم يحصل على السيجارة نحرم من الوقود لزوم الطهى والشاى وقد تسبب **ابراهيم امام** فى تشكيل عصابة من بعض **الزملاء منهم السيد**

عبد الرحيم - جزجا - وبذلك وحصلنا على اشياء اخرى غير الجاز مثل **الزيت والفول الجاف لزوم صناعة الفلافل** على التوتو وقد عثرنا على منجم لبن جاف . . فقد كان يوجد بمخزن الدقيق الذى سطونا عليه كميات كبيرة من لبن البودرة الذى وصل الى السجن ضمن مساعدات النقطة الرابعة وهى هيئة أمريكيه تتولى مساعدات الدول الصديقة فى الخمسنيات ولم تسخدم ادارة السجن هذه الكميات الضخمة من هذا اللبن . . ثم عملنا علي خلط اللبن بالدقيق فصنعنا اجمل خبز مما سبب لنا زيادة الوزن بعد ان كنا فى الاوردى نسابق الريح وكان **السيد جزجا** هو المندوب عنا فى الفرن كما كان **هنداوى** هو المسئول عن المطبخ ومن الفول والزيت والجاز كنا نصنع اجمل فلافل فى غرفة ٦ وكنا ندعوا بعض الزملاء الى وجبة من الفلافل الساخنة. . **وكان رؤوف نظمى** يصر على اكل نصيبه من الفلافل بايتة فهو يعشق الفلافل البايته وقد علمنى هذه الخصلة فقد وجدت ان الفلافل البايته لذيذة جداً ولها مذاق خاص كما اننى قد تعلمت فن الطهى من بعض الزملاء الذين قابلتهم فى الحبسة مثل **الدكتور محمود القويسنى الذى كان يجيد فن الطهى وعمل اجمل شربة من الدقيق المحمر فى الزيت** ومن ضمن من عزمناهم على **وجبة الفلافل الدكتور فؤاد مرسى وصلاح حافظ واحمد الزقم وكمال السيد ومحمد عباس سيد احمد وأخرين** ولم تنتظم مشكلة الجاز **وابراهيم امام الا** بعد تدخل **السيد عبد الله** المسئول عن الحياة العامة وكان الزميل **ابراهيم ابو حديد** من اعز اصدقائى وكذا اسماعيل عبد الحكم ورمزى يوسف وعلى صبرى فرغلى حيث كنا نلتقى يومياً فى كميونه للتدخين حيث يقدم كل زميل ثلث سيجارة ونجز أما بجوار السور وأما فى الغرف كما كان من اصدقائى ابراهيم حسن وعادل محمد على وطه محمد على وهما ليسا اخوين ومن احب الشخصيات الى نفسى المرحوم ابراهيم عامر الذى علمنى معنى كلمة القومية العربية وكذا طاهر عبد الحكيم والفريد فرج وكان الفريد يسكن مع حسن فؤاد فى غرفة واحدة وقام حسن فؤاد برسم بحر اسكندرية على خلفية باب الغرفة وكان الفريد يحب هذا المنظر وكانت غرفة حسن فؤاد والفريد غرفة فنية بحق ولم ينقطع عنها الزوار وقد حضرت سلسلة محاضرات لالفريد فرج عن تاريخ مصر وبالذات اسطورة ايزيس وأوزوريس ومؤامرة ست ونفتيس عليهما كماحدثنا حسن فؤاد المدارس المستعددة فى الفن التشكيلى وكنا نخرج من عند حسن فؤاد والفريد فرج بصعوبة نظراً لحديثهما الشيق والممتع ثم نجد صبحى قلينى الشارونى ليحتفنا بانغام الصغيرة الصادرة من فمه وهو فم فريد متعدد الاصوات والانغام نظراً لبعد الاسنان عن بعضها مما ساعدة على اصدار هذه الانغام ومن ضمن الاصوات الجميلة التى كانت تطربنا صوت الفريد

نسيم وصوت شوكت واشعار فؤاد حداد الخالدة واشعار رؤوف نظمى وكذا اشعار محمود شندى وزكى مراد وكمال عمار وبعض محاولات مجدى نجيب الذى أذكر له قصيدة يقول مطلعها . .

سوريا تفقس بيضاً أزرق – وكثيراً ما كان ينظر الى القمر من .

شباك غرفته ويظل طول الليل يقول . . . ياقمر . . . ياقمر . . .ياقمر .

وبعد الخروج من السجن فتح الله عليه وقال غاب القمر يا ابن عمى ياللا روحنى لشادية .

ومن اعز اصدقائى فى الواحات عائلة كيرلس طوسن وفرنسيس وفؤاد كلهم كيرلس ومازال فرنسيس ينافس ستالين فى تربية شاربه حتى اليوم . وكل من ذكرتهم هم اصحاب فضل على العبد لله حيث تعلمت منهم الالتزام وضبط الوقت خاصة من الدكتور فايق فريد العالم الذى سبق عصره فهو اول من حدثنا عن التكنولوجيا فى سلسلة محاضرات عن نظام التحكم المصروف باسم السبرناطيقا أو السبرناتكس أو نظام التحكم عن بعد المعروف باسم الأوتوميشن ولم يقتصر حديث الدكتور فايق فريد عن المجال العلمى فقط بل كان يتحدث عن النظم البرلمانية بأعتباره عضو فى مجلس الامة فى أواخر الخمسينيات وقد تعلمت منه كيفية التعامل مع الاخرين بكل احترام وان المجاملة النظيفة شئ مستحب عند الناس واللفظ الطيب والكلمة الحلوة هما سر اعظم الصداقات ومن يعرف الدكتور فايق فريد لن ينساه ابداً فهو مدرسة لوحده من الثقافة والمعرفة وحب الناس والاخلاق الراقية .

ولقد كان الدكتور شكرى عازر هو الاخر شعلة من النشاط الثقافى وقد حاضرنا فى سلسلة عن التطور البشرى منذ المشاعية البدائية وظهور الارانج أوتان حتى النوع الراقى من الجنس البشرى وتعلمت من الفنان داود عزيز كيفيت تذوق الفنون وقد حضرت له عدة محاضرات عن سيزان وفان جوخ وليوناردو ديفنشى وعن المدارس المتعددة فى مجال الفنون مثل المدرسة التكعيبية والواقعية والسريالية وكان لهم جميعاً الفضل فى زيادة معرفتى وتثقيفى على الاقل تعلمت منهم كيف افهم ما يصادفنى فى حياتى من مواقف كما كنت اجلس فى غرفة وليم الملك بالساعات لأنظر اليه وهو يرسم اجمل اللوحات التى كانت

تخرج من السجن الى باريس «فرنسا» مش باريس الواحات كما كان عبد الوهاب الجرتلي هو الاخر استاذ فى فن البرتوريه وذات يوم رسمنى داوود عزيز وانا اغنى لأحمد الذقم ومصطفى طيبة غنوه ياللى انت رايح البلد وكتب تحت الصورة المغنى- كما صنع لى صبحى قلينى تمثال رأس فقط تحطم من قبل ان اصبه بالجبس وكانت علاقتى طيبة بالجميع وخاصة محمد شطا وزكى مراد ومحمد خليل قاسم صاحب الشمندورة والعلم لقد كتبت الشمندورة اكثر من مرة وكان لى شرف اخراج نسخة منها مع العسكرى المجند ابن الاسكندرية - محمد عزب ومن اظرف من قابلتهم السيد سليمان رفاعى وحديثة الفياض عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية وانقساماتها المتلاحقة حتى اليوم .

رؤوف نظمى-مناضل شريف طبق القول على العمل ايمانا منه بعدالة القضية وهو الزميل الوحيد الذى يعمل فى صفوف المقاومة الفلسطينية وهو الزميل الوحيد الذى كان مطلوبا حياً أو ميتاً لاكثر من نظام رجعى وبالذات اسرائيل وقدم شبابه وصحتة فى سبيل تحقيق العدل والتحرر فهو مناضل على مستوى العالم العربى كله ويعتبر رؤوف نظمى مستودع اسرار الحركة الشيوعية المصرية وايضا حركة التحرير الفلسطينية ومازال يعطى حتى اليوم.
فقد تعلمت منه الصبر والتواضع والقناعة والثبات على المبدأ واحترام المراحل وعدم القفز فوق الواقع ونظراً لعدم خبرتى بالعمل السياسى فقد نصحنى بالقراءة المتواصلة والفهم المتأنى العميق وتقبل النقد من الاخرين وشجاعة النقد الذاتى وهى عملية شاقة على النفس فى اول الامر ولكنها هى التى تصقل الانسان على ان يتعود الفرد على ترويض نفسه بنفسه ومن يفعل كل هذا بصبر وحكمة يكون قد وضع قدمه على أول الطريق الصحيح فى مسيرة حياته .

وكانت غرفة ٦ تحت مسئولية رؤوف وقد تعلمت منه كيفيه تأمين البيانات والوثائق الهامة فقد علمنى كيف يتم بناء مخبأ فى جدران الغرفة او تحت البلاطة لاخفاء الراديو والمستندات الحزبية وبعض الكتب المهربة الينا من الخارج وقد قمنا ببناء مخبأ تحت البلاطة بمساحة ٣٠ × ٣٠ سم بعمق ٦٠ سم وذلك بعد ان خلعنا بلاطتين من ارضية الحجرة لعمل حفرة ثم عمل محارة جيدة تحمى المستندات ومعظمها من ورق البفرة الرفيع المستخدم فى لف السجائر فهو الوسيلة الوحيدة للكتابة السياسية من قرارات الحرب واشياء اخرى مثل النقود وكان المخبأ غير معروف

للجميع وكان **رؤوف زعيم سياسى** بحق فقد كان يكتب المقالات والبيانات وكان يستعين **بالزميل سعيد ابو طالب** ليقوم بالكتابه نظراً لخطه الجميل وكان من الصعب ان **تقرأ خط رؤوف فهو يكتب بسرعة** لكى يلاحق افكاره فكان **سعيد** هو كاتبه وكاتم اسراره بالاضافة الى جمال خطه فى الكتابة وكان **رؤوف يعطى** لكل واحد فينا عمل دون ان يشعره بذلك ولم الحظ ولو لمرة واحده ان **رؤوف متوتراً** أو منفعلاً أو فى حالة غضب مهما كانت الظروف وهو مستحكم فى اعصابه بشكل لافت للنظر كما انه كان له رأى فى استمرار انقسام الحركة الشيوعية المصرية مما جعله يفكر فى شئ يوحد كل الشيوعيين فى حزب واحد ولم يجد وسيلة توصلة الى هذا العرض النبيل سوى **تجربة الافق وهى تجربة** عظيمة جداً وشريفة جداً والغريب ان جميع القيادات داخل سجن الواحات تآمرت على ضرب هذه التجربة التى كانت تدعو الى توحيد الحركة **الشيوعية المصرية بعد** ان تجمعت كل القيادات فى هذه الحبسة داخل سجن الواحات وكان برنامج الافق من نقطة **واحدة فقط هى** عمل **مؤتمر لكل الشيوعيين داخل سجن المحاريق يتم فيه اختيار لجنة مركزية واحدة لحزب شيوعى مصرى واحد وخط سياسى واحد يجب كل ماقبله ويتم انتخاب سكرتير عام للحزب الشيوعى المصرى الجديد بعد دخول كل التنظيمات والقيادات** فى هذا الحزب مع ابلاغ الزملاء الذين فى خارج السجن بتوحيد الشيوعيين فى حزب واحد ومن لم يلتزم بذلك يكون خارج اطار الحركة فقد آن الاوان قيام حزب واحد فى مصر وقيادة واحدة لكل الشيوعيين .

وكانت مقالات جريدة الافق برئاسة فليب جلاب تركز تركيزاً واضحاً على هذا المطلب بالاضافة الى الموقف السياسى الناضج الذى يعتبر ان **جمال عبد الناصر** ونظامه . وطنى معادى للأستعمار وفي نفس الوقت معاد للحريات السياسية ويمارس الحكم باسلوب دكتاتورى لا يخدم سوى الرجعية وعملاء الاستعمار ومن خلال جريدة الافق تحدث كل الزملاء المخلصين لتوحيد الحركة **الشيوعية المصرية ومنهم فؤاد بلبع وثروت الياس** وعدد كبير من الزملاء وكانت **تجربة الافق هى** اروع تجربة سياسية حقيقية بالنسبة لى وخرجت من السجن وانا على زمة الافق ومازلت افق حتى اليوم على الرغم من حل هذه المجموعة الرائعة فقد كانت فى رحلة علاجية خارج السجن تغيب فيها عدة شهور عدت بعدها لاجد الافق قد حُلت ونقد كل زملاء التجربة انفسهم **واولهم رؤوف ولما طلب منى الدكتور فؤاد مرسى ان انقد نفسى واعود للحزب الكبير** رفضت ذلك وقلت له انا لم اترك الحزب ولكننى ادعو الى وحدة الحركة الشيوعية فى مصر

فقال لى . . ولكن هذا موقف انقسامي وعليك ان تنقد نفسك فرفضت حتى بعد مناقشة سكرتير الحزب ابو سيف يوسف معى بخصوص نفس الموضوع فرفضت ايضاً وخرجت من السجن وانا تبع الافق ومازلت اعتز بهذه التجربة التى لو تحققت ما استطاع احداً ان يحل الحزب ولكن كانت الظروف أقوى من الافق ومن اصحابها ولم تتوحد قيادات الحركة الشيوعية المصرية مثلما حدث ضد مجموعة الافق وانا اسجل هذا للتاريخ وهى وجهة نظر متواضعة فانا لم اكتب تاريخ الحركة الشيوعية المصرية فهذا فوق طاقتى وله اصحابه من رجال الفكر والقلم ولكننى اكتب تجربتى ووجهة نظرى بكل صدق وامانه للتـاريـخ .

وأن ولكتابة تاريخ الحركة الشيوعية المصرية مهمة الاساتذة الموجودين اطال الله أعمارهم والوحيد الذى كتب فى تاريخ الحركة رجل متحيز لأصله التاريخى ولم يكن منصفاً واعتقد ان المواقف الشخصية يجب ان يشار اليها بعد ان خرجنا وتم حل الحزب اصبح كل واحد يدعى البطولة حتى الذين كتبو عربى على حد قول عبد الملك يواقيم خليل وعن نفسى لو عادت بى الحياة مرة اخرى الى ايام الشباب لاخترت نفس الطريق ونفس الزملاء ونفس التجربة وقبل هذه التجربة لم تكن لحياتى معنى او طعم والمؤلم الوحيد فى هذه التجربة هو الانقسام المعتمد من جانب البعض ولم اعرف حقيقة هذا الانقسام وطعم مرارته الا بعد دخولى المعتقل وتجربة الافق بنوع خاص فقد كانت هذه التجربة هى المحك الحقيقى فى عملية الوحدة وكنت اعتقد باننا زملاء فى قضية واحدة وان وجود تنظيمات متعددة انما هو من قبيل الضغط على الحكومة لكى تعترف بشرعية الحزب الشيوعى وتبينت خطأ هذا الكلام فى الداخل ومن المؤسف ان هذا الانقسام مازال مستمراً حتى بعد الانهيار العظيم واخيراً تبينت باننى الوحيد من ضمن الشيوعيين الى اشترى الترمواى .



قرار العمل فى المزرعة

علمت من الزملاء الذين سبقونا الى الواحات انهم يعملون فى مزرعة السجن ولكننى رفضت ذلك على انه عمل سخرة مقصود به اذلال الشيوعين واستمرار هذا الحال مدة طويلة حتى بعد ان حضرنا من الأوردى ولكن بعض الزملاء كان لهم رأى أخر والبعض يرى انه عمل سخره ولكننا قبلنا العمل وخرجنا الى المزرعة بعد ان تفاوض فخرى لبيب مع الادارة حول كيفية العمل فى المزرعة كما اتفق مع ادارة السجن على وجود بعض الزملاء فى المطبخ والفرن لتحسين نوعية الطعام فقد كان الاخوان المسلمين هم المسيطرون على هذه المرافق وحدهم وكان الطعام سيئ جداً لعدم الاهتمام بنضجة بشكل جيد وقد فهمنا من الزملاء ان العمل فى المزرعة سوف يعود علنيا بالخير ويكفى انك تخرج للهواء النقى والشمس وبرغم ذلك كانت هناك مرارة من العمل فى المزرعة لأن ذلك كان شبيه بما حدث فى الأوردى مع الفارق فقد كان العمل فى الأوردى يتم تحت الشوم والفلكة وجريد النخل العالى لكن فى الواحات يتضمن رغبة من الزملاء فقد كان فى استطاعة الزملاء قبل حضورنا ان يرفضوا اى شئ لا يرغبون فيه وذلك بفضل مواقفهم الشجاعة امام اسماعيل همت مباشرة فقد حدث ان تصدى له عدد من الزملاء اولهم فخرى لبيب وقد حدث له كسر فى ذراعه بعد ان شتم همت وهزأه امام ضباطه وامام المعتقلين وامام الجميع . كما تصدى له عبد الخالق الشهاوى وقام باخذ الزميل زكى عثمان وهو فاقد - البصر - من ايدى فريق التعذيب وذهب به بعيداً وخلال قيام عبد الخالق الشهاوى باخذ زكى عثمان تحمل الكثير من الضرب بالشوم والعصى والجريد ولم يرحم همت المرضى وكبار السن واصحاب العاهات الدائمة مثل عبدون وزكى عثمان تماماً كما حدث فى الأوردى نفس الاسلوب الوحشى من المجردين من الإنسانية ، ذهبنا الى المزرعة مع الزملاء وقد شارك فى عمل المزرعة كل التنظيمات بلا استثناء ولكن على مضض فقد كان بيننا وبين المباحث ثار بسبب ما حدث فى ابو زعبل ولكننا لم نقرر بعد اتخاذ الموقف وكان قرار الخورج للمزرعة من اعظم القرارات التى اخذتها القيادة فى الواحات فقد حققنا من وراءه الكثير مثل توفير نوع افضل من الطعام من كدنا حيث الخضار الطازج والطماطم رائعة ووفيره لدرجة ان العسكر كانوا يأخذون منها كميات كبيرة عند نزولهم فى اجازات وكانت ادارة السجن تستجيب لأى طلب بعد ان رأت بنفسها كيف قام الشيوعيون باصلاح عدة افدنة من الارض القابلة للزراعة بعد ان قامت مجموعة من مهندسى الزراعة مثل عبد المنعم شتلة

وحسنى **يسى** وغيرهم من اصحاب الخبرة مثل **الشيخ محمد عراقى والزملاء ابراهيم الشناوى وأخرين من اصول ريفية .**

وجد الزملاء ان الارض يغلب عليها الطابع الصلصالى أى انها تحتاج لمعالجة من اجل اصلاح التربة مقرر المختصون بأن كل متر من الارض يحتاج الى اربعة امتار من الرمل وقد تبين ذلك بعد ان روينا الارض فى اليوم الاول ولم نستطيع أى عمل فقد كانت الفأس تعض فى الارض النصف مبتلة كما لو كانت من المطاط نظراً لكثرة الصلصال بها وهذا الصلصال هو من مخلفات نهر النيل الذى كان يمر من هذه البقعة منذ الاف السنين لذلك اسموه بالوادى ثم اضافوا له كلمة جديد ليصبح الوادى الجديد المعروف حاليا وكان النيل يمرى من هذا المكان من مليون سنة قبل الميلاد .

واعتقد أن أراضى الوادى الجديد هى مستقبل زراعة القمح فى مصر لو تم استخدام مياة النيل بحكمة وعلم خاصة بعد وجود السد العالى كان لابد من تقسيم وتوزيع العمل فى المزرعة وكان لابد من تكوين مجموعات عمل وكل مجموعة لها مسؤل وكنت ضمن مجموعة **عبد الخالق الشهاوى** للعمل تحت اشرافه وكان هذا من حسن حظى وطلب من كل واحد ان يحضر اربعة مقاطف رمل على كل متر طمى وكان هذا شأن جميع الزملاء وفى خلال ايام قليلة كنا قد غطينا مساحة كبيرة من الارض بالرمل المطلوب وبعد رى الارض تم تقليبها بواسطة المحراث الذى كان يتناوبه الزملاء وتمت زراعة الارض زراعة علمية بعكس ماكان يفعله الاخوان المسلمون فقد كانوا لا يعملون شيئا حيث يجلس كل واحد منهم تحت شجرة خروع يقرأ فى المصحف ولم يزد احداً منهم عن متر واحد يرزعه جرجير او بقدونس ولا شئ اكثر من هذا .

وكانت المفاجاة ان الارض اعطت بشكل غير متوقع كميات كبيرة من الخضروات والطماطم والقثاء والفول الحراتى والباذنجان بنوعيه وكان علينا ان نسلم الى **السيد عبد الله وسامى عبد المسيح كميات** من انتاج المزرعة ليقوما بتوزيعه على جميع الغرف بالتساوى وكذا فعلت حدتو وباقى التنظيمات كانت دائما مع الحزب الكبير فى كل المواقف **سواء فى الأوردى أو فى الواحات أو فى الفيوم أو القلعة .**

وزاد انتاج المزرعة زيادة ملحوظة خاصة بعد توفير كميات المياه اللازمة بعد حفر بركة لحجز المياة افادتنا افادة عظيمة فى مزيد من استصلاح الارضى ومزيد من الانتاج لدرجة ان

ادارة السجن كانت تبتع جزء من هذا الانتاج فى سوق **الخارجة** بعد الاكتفاء الذاتى للسجن والضباط والعساكر حتى **الاخوان المسلمين** كنا نرسل لهم نصيبهم من منتجات المزرعة بعد ان انقطعوا عن العمل بها بعد خروجنا للعمل بالمزرعة ورفضوا فى أول الامر على اساس ان هذا الخضار من **كد الملاحدة الكفرة** : ؟ لكن بعد ذلك قرروا ان يأخذوا نصيبهم من هذا الانتاج عن **طريق ادارة السجن وليس من الشيوعيين مباشرة ؟ !** ولما تقابلت مع مندوبهم **ابراهيم عوض** مصادفة عند عنبر العساكر المجندين وسألته عن سبب تراجعهم وأخذ الخضار قال لى بكل جرأة يحسد عليها . .

– انتم كفرة وملحدين وكل ما نحصل عليه منكم هو حق لنا وليس لكم فضل فيه فكل شئ من عمل الكفرة . . هو حق لنا . . بل هو حق لكل مسلم...!

لم نعرف الشبع طوال الحبسة الا بعد العمل فى المزرعة فقد اكلنا الخضروات الطازجة إما بواسطة المطبخ أو عن طريق الطهى فى الغرف لدرجة اننا توقفنا عن **استلام اليمك «طعام السجن»** ساعة العشاء وكنا نزرع أجود انواع **الملوخية والكوسة واكلنا الملوخية لمدة سنة دون ملل** خاصة عندما ثم ذبح **الثور العتيق** قبل ان ينفق فأخذنا لحمه بعد انضاجه فى المطبخ لنعيد طهية على **الملوخية اللذيذة** التى من انتاجنا وكل ذلك يعود لتوفير المياة بعد حفرنا البركة العظيمة التى تحولت الى **حوض سباحة** بعد العمل ثم تحولت بعد **تصفية سجن الواحات الى مزرعة لتربية البط الباكينى** لحساب هيئة الاصلاح الزراعى بالوادى الجديد وهى التى استولت على ما يقرب **من ٣٠ ثلاثين فدان من اجود الارض الزراعية بالوادى الجديد** .

روبـرت يا ولدى الحبيب ... وفيض احلامى الطـروب
روبـرت قـبل خد امـك ... لــن يذبـله الشحـوب
سر يا بنى مع الصبـاح ... ولا تسـر نحو الغـروب

جزء من قصيدة عبد الخالق الشهاوى عن لسان احد شهداء أول مايو فى مدينة شيكاغو بامريكا..

وعبد الخالق الشهاوى شخصية متميزه نظراً لفرط حساسيته وهو عاطفى جداً وحنون جداً

ومهما انفعل يعود سريعاً الى مرحه وأى شئ فى يده ليس له وكانت أول محاضرة له فى المزرعة محاضرة عن المنهج العلمى فى مجال العمل السياسى ومحاضرات اخرى فى الديمقراطية وغيرها وله حديث ممتع وشيق وكنت دائما اتتبع خطاه فقد أفادنى كثيراً .

ذات مرة كان يلقى علينا محاضرة وكنا نسمع له والجميع فى صمت كامل فسمعنا صوت طريشة فقفذنا بسرعة البرق بعيداً عن المكان وبعد قليل ظهرت **الطريشة** وهى تمسك فأراً جبلياً متوسط الحجم وعندما رأينا هذه الطريشة وكنا نراها لأول مرة حدث لنا شئ من الرعب فقد كنا تسمع من الجنود بأن **الطريشة اخطر ثعبان صحراوى** وهى بطول ٣٥ أو ٤٠ سم لا تبصر ولدغة واحدة منها تكفى لأرسال المصاب **الى العالم** السفلى ومن حسن الحظ ان **للطريشة صوت** يسبق حركتها له خشخشة غريبة قبل الانقضاض وسبق ان قتلت حماراً يتبع السجن وبعد ان أزاًن **الفأر** ببطئ شديد بعدة دقائق قام **الزميل امير اسكندر** - وكان عنده فكرة عن **الثعابين بقلب الطريشة** على ظهرها ثم قام بفتح بطنها **الثعبان** لنجد الفار بكامله لم يهضم منه سوى جزء من الرأس وأخذنا **الطريشة** وسلمناها فى **ورشة النجارين** حيث قاموا بتحنيطها حتى يتعرف الناس على شكلها نظراً لخطورتها القاتلة وبعد ذلك الحادث قررنا ان تكون المحاضرات داخل العنبر وقد حُرمنا لحظات جميلة كنا نقضيها فى التحصيل والمعرفة من رجل له ثقافة واسعة وعلم ويحب الناس كل الناس نسيت اقول ان ثعبان الطريشة يختفى تحت الرمال ولا يظهر الا عند فريسته ليقضى عليها كان وجود زملاء لنا فى الفرن والمطبخ اثراً كبيراً فى تحسين حين الخبز والفول وباقى انواع الطعام وكان الاعتماد الاساسى فى عملية التغذية يعتمد بشكل كبير على ما يأتى من المزرعة فهى المصدر الاساسى للتغذية لكل السجن .

وكانت المزرعة مجال للتعارف فقد تقابلت مع أحد ضابط القوات المسلحة الذى حضر قبل ذلك الى **الأوردى** لأخذ نفسى الطريحة وهو محمد منير موافى شاب فى منتهى الرقة والظروف وكل ذنبة انه يصادف **زميل شيوعى** لا اكثر .

وتعرفت ايضاً على ابراهيم فتحى وكمال القلش والشاعر متولى عبد اللطيف وسعد اللجنة وعبد السلام الفشاب وابراهيم المنسرلى ومحمود المنسترلى وصلاح حافظ ومحمد على عامر - شيخ العرب .

وكان الشاعر متولى عبد اللطيف يؤلف لى الاغانى على الوزن

الاسكندرانى ويؤلف فوازير رمضان ومن اجمل فوازيره .

ياراسى بـراس المركوب	انا معـدولة بالمقلـوب
لو كنت فى السوق متحير	اعدلنى واملانـى خروب

وكان متولى قد نشر فى جريدة الراية ذات مرة قصيدة اسمها الترحلية . كما كان الشاعر فؤاد حداد يؤلف لى بعض المواويل واقنع رؤوف الزميل محمد حسن برق بصناعة كمطر لزوم الكتابة وال كمطر هذا هو مكتب ارضى وتعرفت على لانسن خليل ونشات اسكندر والفريد نسيم ومحمود طه ورزق مكارى وفخرى مكارى وحلمى يس وعبده ويوسف ويوسف ماضى وعبد العزيز عوض وعبد العزيز بيومى وعبد العزيز محمد .

لقد اتاح لنا النجاح المبهر الذى تحقق فى زراعة الارض ان نقوم بانجازات أخرى داخل السجن فقد قام حسن فؤاد وزهدى وداوود عزيز وعبد الوهاب الجرتلى بوضع تصميم لبناء مسجد داخل سجن الواحات وقد شارك جميع الزملاء فى بناء هذا المسجد الجميل فقد قمنا بعمل مضرب للطوب من الصلصال المتوفر بكثرة وكان على الزملاء ان ينزل كل واحد فيهم الى المعجنة بقدمية من اجل تجهيز الكميات اللازمة من الطوب وصنع الزميل برق من الخشب نموذج لقالب الطوب وكان الانتاج عظيماً نظراً لكبر عدد المشاركين وكان الزميل عبد المنعم ناطوره هو الذى يقوم بالبناء نظراً لخبرة سابقة عنده يعاونه الفنان على الشريف وزميل أخر اسمه سامح وشكوت وانجاز أخر عظيم وهام شارك فيه كل الفنانين وعلى رأسهم الفريد فرج وهو بناء مسرح جميل قدمت عليه اجمل المسرحيات مثل حلاق بغداد وعائلة الدغرى ومسرحية الخبر واشرف الفريد فرج على حجرات المسرح وكواليسه ورسم الفنانون عدة ستائر جميلة وبكل ذلك بالجهود الذاتية وكانت فرحة موظفى السجن وجنوده كبيرة ببناء المسجد حيث لا يوجد مسجد فى هذه المنطقة المعزولة .. وهذا لم يفعله الاخوان المسلمين وكان تعليق موظفى السجن . . ان من يقال انهم كفرة قاموا بناء مسجد بينما الاخوان لا يفعلون شيئا سوى النوم تحت الشجر وبجوار حوش السجن .

واعتقد ان المسجد والمسرح مازلا قائمين هناك بجوار بركة المياه والمزرعة يشهدا على ما

قدمه الشيوعيون من انجازات خلال اقامتهم بسجن المحاريق وكان تصميم المسرح حسب الشكل الروماني وقمنا بحفر الارض تمهيد لعمل مدرجات دائرية كمقاعد للفرجة على هيئة حدوة حصان وبرغم قلة الامكانيات المادية فقد جاء المسرح على اكمل واجمل ما يكون وكان يقدم على هذا المسرح بجوار الاعمال الفنية الندوات والمحاضرات والبيانات خاصة بيانات وكالة واس .

وقد كان المأمور وضباط السجن والجنود يحضرون تقديم المسرحيات وقام بدور حلاق بغداد الزميل فخرى مكارى لدرجة اذهلت مامور السجن نفسه وقال المامور للفنان حسن فؤاد ما قدتموه افضل بكثير من ماقُدم فى المسارح بالقاهرة وكان الفنانون يشاركون فى حياكة الملابس من ورق خاص اسمه الكوريشة له الوان متعددة وكان يقوم بالتمثيل على الشريف الذى احترف هذه المهنة بعد ذلك وسامح وحسن فؤاد هو الذى قام بدور السيد فى مسرحية عائلة الدوغرى رائعة نعمان عاشور او دور الطواف لا اذكر ولكنه قام بالتمثيل وكان يوجد معنا زملاء لهم علم بالاخراج مثل لويس بقطر ومسرحية الخبر مثل فيها صلاح حافظ نفسه وهو المؤلف .

وقد تحسنت العلاقة نسبياً مع الادارة وان كانت مرارة الاوردى مازلت فى حلوقنا . وكان الجنود وقد تعودو علينا وعلى التعامل معنا خاصة الشاويش محمود الذى اصر ان يعمل مع الشيوعيين رافضاً العمل مع الاخوان فقد سئم من طريقتهم البخيلة فقد وجدان الشيوعيين يقدمون وجبة عشاء يومياً لمن يعمل فى عنبرهم وعلبة سجائر ونجز فقرر ان يعمل معنا فى عنابرنا وترك عنبر الاخوان بعد خناقة حامية وذلك بسبب انهم دأبوا على سؤاله عن الساعة عند موعد كل صلاة فقد كانوا كل شوية يقولون له . .

- السلام عليك يا حاج محمود . . فيرد عليكم السلام .

- الساعة كم علشان صلاة الظهر أو العصر أو الخ يتجاوب معهم . . كل هذا ولم يقدم واحداً منهم له سيجارة او قطعة حلاوة طيحينية أو عليه سلمون فقد كانت امكانياتهم المالية كبيرة وكل واحد فى نفسه فقط ولا توجد عندهم حياة عامة فقط فى نهاية شهر رمضان يخرج الغنى منهم زكاة الشهر الفضل يواقع قرشان ونصف عن كل جنيه يعطيها للفقراء من نفس الاخوان ولا

يرى **الشاويش محمود** أى شئ حتى مجرد سيجارة .

قام الشاويش بكتابة ورقة بالخط العريض وعلقها على باب العنبر وخطها له احد الزملاء قام الشاويش بكتابة ورقة بالخط العريض وعلقها على باب العنبر خطها له احد الزملاء .

تقول هذه الورقة الآتى . عندما يسألون عم موعد الصلاة .

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

ثم يشير الى الساعة المعلقة على باب العنبر ثم دب خناقه مع واحد منهم وطلب من الضابط ان يعمل مع عنبر الشيوعيين .

وكان يقول السيد عبد الله ومحمود سويلم اعضاء لجنه الحياة العامة .

انتم المؤمنون وهم الكافرون فالايمان سلوك وعمل ورحمة وكانوا يتعاملون مع الجنود على انهم هم الحكومة لذلك رفض جميع الشاويشية التعامل مع الاخوان حتى تدخلت الادارة لتجعل العمل فى عنابر الشيوعيين بالتناوب ولقد رفض الاخوان عمل أية علاقة وكنا قد طلبنا منهم المشاركة فى ماتش كرة القدم كنوع من التسلية وعمل علاقة انسانية باعتبارنا فى سجن وبعيداً عن الاهل والدنيا فسجن الواحات اقرب الى المنفى منه الى السجن ولكنهم رفضوا ذلك واكتفوا بأخذ نصيبهم من أنتاج المزرعة لانه حلال لهم وحرام على من انتجه . . ؟ !

وذات يوم فوجئ الشاويش **محمود** بأن جميع ابواب الزنازين مفتوحة فصعق الرجل ولكن الزملاء اعضاء لجنة الحياة العامة طمأنوه وقالوا له ان السبب فى ذلك هو شدة الحرارة داخل الحجرات المعلقة وكان الزميل سويلم هو أول من سبق له فتح زنزانته لتقديم الوجبة بمساعدة نفس الشاويش بحركة مدروسه وبعد حوار طويل اقتنع **الشاويش** خاصة وان احتمالات الهروب غير واردة نظراً لان الباب الرئيسى مغلق من الخارج وكانت علب الونجز هى المقنع الحقيقى وكذا الوجبات الساخنة احياناً ولم يهدأ **الشاويش** الا بعد اخذ العهود القاطعة بأن احداً لن يعلم من رجال الادارة بفتح هذا الزنازين .

كان الزميل **أحمد السيد** المليم هو الذى عمل على تبويظ كل الاقفال بعمل طفاشات لها وكان **احمد السيد رحمه الله** فنى من الدرجة الاولى لدرجة انه صنع وابور بحر من علب السلمون الفارغة بواسطة قليل من القصدير .

لم نعد نستعمل جرادل البول بعد فتح الزنازين كما كنا نسير اغلب ساعات الليل فى طرقة العنبر وكثيراً ماكنا نتبادل الزيارات فى الغرف لتشارك فى **ندوة أو غناء للسيد درويش وكنت فى الفيوم قد اتفقت مع يوسف حلمى المحامى على تكوين جمعية لاصدقاء سيد درويش بالاسكندرية وعندما خرجنا كان يوسف حلمى قد رحل.. رحمه الله .**

الفنانون غير المتحدين

فى سجن المحاريق

كانت لى صدقات عديدة خاصة بالفنانين الغير متحدين منهم على سبيل المثال حسن فؤاد وداوود عزيز ووليم اسحاق وسعيد عارف ومحمد نصر الدين المهداوى وعبد الوهاب الجرتلى وعبده مكاوى ومجدى نصيف والشاعر سمير عبد الباقى وكمال عمار والفريد فرج ولويس بقطر وصلاح حافظ وعلى الشريف ومحمد همام منهم من يعمل فى مجال الفنون التشكيلية ومنهم يعمل بالصحافة ومنهم من يكتب الشعر ولكنهم جميعاً فى نظرى فنانين دخلوا السجن فى سبيل قضية واحده هى قضية تحقيق العدل على ارض مصر من اجل حياة افضل للشعب المصرى الصابر الذى تحمل كل سلبيات الحكومات المتعاقبة منذ الفتح العثمانى حتى اليوم سلبيات حكومة ثورة يوليو ١٩٥٢ تحملها هؤلاء الابطال من اصحاب الفن والقلم ورجال الفكر مثل الاساتذة مع حفظ الالقاب والتقدير لكل تخصص علمى وفكرى ! وفنى وثقافى .

عبد العظيم انيس وابراهيم عامر وفتحى وخليل ابراهيم وفتحى عبد الفتاح وفكرى رفاعى وطاهر عبد الحكيم وفليب جلاب وعلى الشوباش و محمد صدقى كسبه ونبيل زكى وأمير اسكندر وللحقيقة كانت صداقتى مع هؤلاء الاساتذة العظام صداقة من طرف واحد اللى هو انا . . فأنا دائما المحتاج اليهم لكى احصل منهم على ما اريد من معرفة وثقافة وكان عندهم منها الكثير وهكذا كنت انا الساعى اليهم مع حبى وتقديرى لهم جميعاً وكان ما يحز فى نفسى وقلبى ان كل واحد من هؤلاء الافاضل يتنمى الى اتجاه أخرو بعضهم الى تنظيمات اخرى . وبرغم هذه الفرقة التى كانت واضحة داخل السجن الا انهم انجزو الكثير الاعمال العظيمة مثل الجامع والمسرح والمزرعة وحوض المياه الذى تحول الى حوض سباحة للجميع فما بالك لو كانوا متحدين ! لكانوا هم الامل فى انقاذنا من مهزلة ابو زعبل التى سوف تلازمنا على مدى التاريخ وسوف يقول التاريخ ان اصحاب الرأى الحر فى مصر لم يثوروا من اجل كرامتهم برغم وجود الفنانين والصحفيين والمثقفين والثورين واساتذه الجامعة ومع ذلك قبلوا ان يلفوا للتفتيش وحزام سروالهم فى ايديهم ولم يجروء احداً ان يقول لا بل ان القيادة اصدرت قراراً بعدم التجاوب مع أى استفزاز صادر من ادارة السجن فى

الاوردى علماً بأن بعض الزملاء دخلو فى تجربة مع الاداة واخذاوا مواقف رائعة مثل فوزى حبشى فى الفيوم واسماعيل صبرى فى الاوردى وغنيم مصطفى فى قنا وفخرى لبيب فى الواحات وعبد الخالق الشهاوى امام همت وفرقته وفى كل هذه المواقف كانت الادارة تتراجع خاصة امام رجال اقوياء بعزيمتهم مثل سعد زهران ومحمد منير موافى ومحسن الاعصر فى أوردى ابو زعبل وكان حسن منير مأمور الاوردى يقول على مسمع منا . .

– الولاد دول مابيهمهمش الضرب دول جنون والاغرب ان خدودهم حمراء ويتزداد حمار كل يـــوم ؟ ؟ ؟

هذا الاعتراف من مأمور التعذيب يؤكد اننا لو اخذنا موقفاً صادقاً مع أنفسنا ومع الادارة فى اول الامر لما حدثت هذه المهزلة وكان ممن الممكن وقف التعذيب فى جميع السجون حتى لو قدمنا ضحايا . . ونحن بالفعل قدمنا الضحايا مثل احمد البكار وفريد حداد وشهدى وعلى الديب ورشدى خليل ولويس اسحاق ومن لحق بهم بعد ان تم الافراج وحتى الافراج تم بطريقة مهينة جداً لا تتفق مع كلمة افراج لما سيأتى بعد ذلك ومن وجهة نظرى كان على الفنانين ان يجبرو كل القيادات على اتخاذ الموقف الصحيح ولكن عدم توحد هؤلاء الفنانين هو الذى ساعد بل وشجع هذه القيادات على عدم اخذ موقف نضالى لوقف التعذيب حيث ان الحياة مرة واحدة فقط وهذا ما يعلمة رجال الفن والصحافة والمسرح والاطبقاء اكثر من غيرهم فكان علينا ان نعيش هذه الحياة بالعرض وليس بالطول فمن لم يمت بالسيف مات بغيره . . .

عنتر ملك فى القوافى الحـرب وغزالها
عشق حورية اسمها الحريـــة وغزالهـا
نوبيان وطى وضرب فى الحى بالحديـن
والسلم كان حلم ما اتلمت عليـه يديـن
ان عاد لعبله قطف قبلـه مـن الخديـن
وجمع فى توبها خيوط الشمس وغزالها
دلوقت عنتر وعبله فى كل حـى كتـار
دلوقت للسلـم والحريـة نفـس الثـار
والسجن تضحية والحر اللـى مايخ؟ ·
مش قبلـه لكن براح الدنيـا

اغنية لولاك يا بكره

ولـولاك يـابكـره مـا كـ ــان النـوم سكـن عينـى
ولاكنت اشـوف فـى المنـ ـام من كان تعشقه عينى
ولا كنـت اسهـر واغنـى واقـول ياليلـى يـا عينـى
لـولاك لكـان الصخـر فـ ـوق الدهـر مـا اتصـور
ولا راس بتعلـى و لا حتـى الكتـاف قـامت
لـولاك لكـان الفـل شـاف الـذل لـم نـور
والسمـا الصـافيـة ورا سـود السحـاب غـامت

لولاك لكان العيد على المحبـوس له مـواجع
فى فكر تايه فى أهـل بعيـد ونواجـع
فى نورك الصبر للى الهجر لــه مواجـع
والليل ده مش راجع وبكره راح تنول عينى

كلمات دكتور رؤوف نظمى
أوردى ليمان ابو زعبل ١٩٦٠



الاضراب الكبير والموقف الصعب

بسجن المحاريق

بكل المقاييس كانت حياتنا داخل سجن الواحات افضل بكثير من أى سجن أو معتقل آخر . وذلك بسبب بعد هذا السجن عن الإشراف المركزى لوزارة الداخلية ومصلحة السجون وبالذات البعد عن جهاز المباحث العامة .

ولم يحدث أى تفتيش مفاجئ مثل باقى السجون إلا فى مرة واحدة فقط عقب الإضراب الكبير ولم تتكرر مرة أخرى .

وكان رجال الادارة فى سجن الواحات من ضباط وجنود ومجندين يشعرون بأنهم فى منفى لا وظيفة بل كانوا يحسدوننا على ما نحن فيه من عز مفقود لديهم بسبب وسائل الإعاشة مثل توفر الشاى والسكر والتوتو والسجائر وكلها اشياء نادرة بالنسبة لهم وكانوا يفضلون الجلوس داخل السجن مع **الشيوعيين** عن الذهاب الى **مدينة الخارجة** حيث لا أصدقاء ولا معارف ولانقود ناهيك عن البعد عن الحياة الناعمة **بالقاهرة** حيث الاقارب والمعارف والاصدقاء الخ فكانوا فى حاله تعاطف معنا الى ابعد حد ممكن . وكان الضابط **سلومه** يقول :

– انا افضل النوم او التواجد فى السجن على مشوار الخارجة كانت هذه حالة ادارة السجن . اما حالتنا نحن . فكانت افضل من حيث لقاء الزملاء في العنابر وتبادل الزيارات والمبيت فى ضيافة حجرات اخرى بالاضافة الى مبنى السجن نفسه من عنابر ودورات مياه نظيفة وغرف لها شبابيك وابواب عادية وندوات ومحاضرات وجرائد ناطقة **ووكالة انباء واس** وامكانيات اخرى مثل الراديو الترانسيزستور الصغير الذى كنا نسمع منه مختلف الاذاعات بالاضافة الى **اغاني الست** علاوة على التمتع بسماع الرأى والرأى المعارض فقد كان السجن صورة طبق الاصل من المجتمع فى الخارج وكان قرار الاضراب يجد بعارضة من البعض وقبول من البعض الاخر **وكانت القيادة** فى الحزب تجد أن دخول الاضراب رداً على ما حدث فى **الأوردى** علي الاقل لتزيل عن نفسها وصمة **التخاذل** الذى حدث منها فى عز المهزلة التاريخية فى **أوردى ابو زعبل** وكان بعض **موظفى السجن** لديهم قناعة بأننا قد نصبح فى يوم من الايام حكومة هذا البلد والفضل فى انتشار هذا المفهوم هو **جهاز المباحث** نفسه فقد اشاع على طول الحبسة باننا نسعى لقلب النظام لكى نحل **محل الرئيس** لكل هذا نحن هنا فى **السجن** عقابا لنا فكانوا يعاملوننا بكل

احترام تحسباً لما قد يحدث في المستقبل فقد ساعد على هذا المفهوم بعض تصرفلتنا فقد كنا نتحدث كثيراً باسم مصر والقومية العربية والدفاع عن وحدة مصر وسوريا والاشادة بالمواقف الوطنية ممارسب فى اعماق موظفى السجن اننا من المحتمل ان نصبح حكومة . .

وقد ساعد ايضا على اشاعة هذا الاعتقاد عند الجنود وبعض الضباط وموظفى السجن ان **الاذاعات العالمية كانت تذيع اسماء مثل الدكتور فؤاد مرسى والدكتور عبد العظيم انيس والدكتور اسماعيل صبرى الذين مازالو فى معتقل ابو زعبل بالاضافة الى اسماء موجودة فى الواحات وسجون اخرى . حتى اذاعات اسرائيل وامريكا اهتمت بسجناء الواحات .**

وبدأ الحديث عن الاضراب يأخذ طابع الجد وكان لابد من مناقشة جميع الزملاء من اجل اقناع اكبر عدد ممكن من الزملاء لدخول الاضراب لكى نرد اعتبارنا امام نفسنا اولا ثم امام المباحث والنظام وكان الاضراب هو الرسالة التى بعث بها الشيوعيون الى الرئيس جمال عبد **الناصر نفسه** وكان الدخول فى الاضراب هو عمل تطوعى حتى من الزملاء لاعضاء فى **الحزب الكبير** وكان الدخول فى عملية الاضراب يحتاج الى تحضير جيد على المستويين السياسى والشخصى وللأمانه فقد تم التحضير لهذا الاضراب تحضيراً ممتاز بكل المقاييس فعلى المستوى السياسى فقد تم ابلاغ **الاهل والاقارب** والاصدقاء **وجميع الاحزاب سواء فى العالم العربى أو فى غرب وشرق أوربا خاصة الاحزاب الشيوعية وقد تم اخطار منظمة العفو الدولية فى لندن** وقد ارسلت لنا هذه **المنظمة لجنة** للنظر فى حالتنا قبل الاضراب وكانت تحمل لنا طرود الادوية ولكن **المباحث العامة** رفضت زيارة هذه اللجنة برغم الالحاح من جانب المنظمة دون جدوى كما تم اخطار **الجمعية العالمية لمنظمة حقوق الانسان فى جنيف واذاعة بعض الاذاعات نبأ الاضراب** وموعد تنفيذه قبل ان يبدأ وكان الموعد المحدد للإضراب هو يوم فى الاسبوع الاول من شهر يوليو ١٩٦١ اعتقد انه كان يوم ٤ يوليو كان هناك شبه اجماع من الحزب على الدخول فى الاضراب مهما كانت النتائج كما **وافق جميع الزملاء فى التنظيمات على الاضراب ماعدا زملاء حدتو فقد رفضو الفكرة من اساسها .**

اما التحضير على المستوى الشخصى مكان بدرجة جيد جداً فقد اشرف **الزملاء**

الاطباء على تحضير الزملاء وقد تكونت لجنة لقيادة الاضراب اذكر منهم فخرى لبيبوالدكتور مامون البسيونى والدكتور رؤوف وقام الدكتور شكرى عازر والدكتور رزق عبد المسيح والدكتور ثروت الياس بالاشراف الطبى على صحة المتطوعين بتوقيع الكشف الطبى على كل واحد واستبعاد المرضي واصحاب العاهات برغم اصرار الجميع على دخول الاضراب وكان موقف الاطباء حاسما فى هذا الامر . ثم تقرر ان يأخذ كل زميل مضرب شربة سلفات الصوديوم و شربة زيت خروع فقد كانت لجنة الاضراب قد كلفت الزميل شبل اسماعيل باحضار كميات كبيرة من هذه الشرب بالاضافة الى كميات كبيرة من الليمون البنزهير وفى نهاية الامر وعشية الاضراب كان لابد من عمل غسيل معدة بواسطة حقنة شرجية لزوم تنظيف وتطهير الامعاء والامعاء الغليظة بشكل عام حتى لا تحدث مشاكل صحية اثناء الاضراب .

باختصار شديد تم التحضير للإضراب بشكل ممتاز على كافة المستويات خاصة على المستوى السياسى العام لان الاضراب هو اضراب سياسي قبل كل شئ الغرض منه رفض سياسة التعذيب لاصحاب الرأى بل رفض سياسة التعذيب حتى للخارجين على القانون لان التعذيب البشري تحت اى دعوة من الدعاوى هو عملية غير انسانية وغير حضارية حيث يوجد بقانون العقوبات ما يردع اياً من كان لدرجة الاعدام ولهذا ليس من الانسانية أو من الحضارة تعذيب البشر مهما كانت الافكار المخالفة .

تقرر الاضراب بعد موافقة الاغلبية من جميع التنظيمات مثل ط ش - وش والحزب الكبير ماعدا حدتو وكان لنا عدة اسباب صاغتها لجنة الاضراب ضمن بيان سياسى عن اسباب الاضراب وسوء المعاملة داخل السجون والمعتقلات المصرية وكان اهم هذه الطلبات بالطبع الافراج فوراً عن جميع الشيوعيين والمسجونين السياسين وهذه هى المطالب .

١ - الافراج فورا عن جميع المعتقلين والمسجونين السياسين
٢ - السماح بالزيارات للمحكوم عليهم والمعتقلين على السوء .
٣ - السماح بالصحف والمجلات وسماع الاذاعة .
٤ - صرف ملابسنا الداخلية واحذيتنا والسماح بشراء احذية .
٥ - فتح العنابر طوال اليوم نظراً لشدة الحرارة بالغرف .

٦ - التعامل مع الكنتين لشراء ما يلزم من مواد غذائية بدون تحدد .

٧- حضور مندوب من الرئاسة لبحث الموقف السياسي معه والى ان يتم الافراج يسمح لنا بباقى المطالب وهى لا تتعارض مع لائحة السجون اطلاقاً .

وبعد تنفيذ اول يوم فى الاضراب اعتقدت ادارة السجن ان الموضوع هو تهويش من جانب الشيوعين حيث ان الذين بدأو الاضراب كانوا اربعة فقط اذكر منهم رؤوف نظمى وفخرى لبيب وعادل كامل ومامور البسيونى ولقلة العدد توهمت الادارة ان العملية تهويش لا اكثر فلم تبلغ النيابة ولكنها فوجئت فى اليوم الثاني بدخول مجموعة اخرى وكنا اكثر من اربعة هذه المرة وكان الدكتور فايق فريد من الاوئل وكان معى اسماعيل عبد الحكم وثروة الياس وعبد اللطيف هنداوى ومصطفى العمادى ونشأت اسكندر وبدر رضوان وفاروق فتح الله زايد وعادل حسونه وابراهيم فتحى واخرين وفى اليوم الثالث دخل نجاتى وحسن الساكت ومنصور فهمى باختصار شمل الاضراب كل الزملاء تقريباً ماعدا من لهم عند صحى بالاضافة الى موقف الزملاء فى حدتو .

حرصت ادارة السجن على احضار الطعام الى المضربين فى غرفهم بعنبر رقم ٣ الجناح المقابل لجناح الاخوان المسلمين وكانت رائحة الاكل خطيرة بعد اليوم الرابع خاصة الخبز وبدأت المياه بالليمون تفقد طعمها فقد تحولت فى اليوم السادس والسابع والثامن الى ما يشبة الشربة وبدأت رائحة الاسيتون الصادرة من الافواه المضربة تنتشر الى خارج العنبر حسب قول احد الشاويشية ويتم رفع جراكل الطعام فى اليوم التالى بعد ترك الطعام الحديث ولم يقرب احد من هذا الطعام على عكس توقعات ادارة السجن ولم تبلغ النيابة الا فى اليوم الخامس بعد وصول الخبر الى الرأسة فى القاهرة والى ادارة المباحث العامة والى الاهالى الذين كتبوا العرائض والتلغرافات لكل من يهمه الامر داخل مصر وخارجها حتى ارسل الرئيس عبد الناصر مندوب من الرأسة حضر التحقيق الذى قام به الاستاذ سمير ناجى وكيل النائب العام الذى وعد بتحقق كافة المطالب ما عدا مطلب الافراج لانه يمثل سياسة عليا لا يملكها الا الرئيس نفسه وقد تحققت كل المطالب بالفعل استفادوا منها الجميع الذين قالوا لا والذين قالوا نعم تعبير . . اي ان كل الزملاء قد استفاروا من هذا الاضراب الذى جاء متأخراً عن موعده ما يقرب من العام .

استمر الاضراب ثمانية عشرة يوماً بالنسبة للمجموعة الاولى وستة عشرة يوما واربع ساعات للمجمعة الثانية ولقد ساءت حالة بعض الزملاء فى المجموعة الاولى **فذهب رؤوف الى مستشفى الخارجة** ورفض التغذية بالحقن برغم خطورة حالته وعندما علم من الجنود الحرس بفك الاضراب لم يصدق الا بعد **حضور مأمون البسيونى** له فى **مستشفى** الواحات وابلغه بفك الاضراب **واخبره بما تم مع سمير ناجى ومندوب الرئاسة وكان مأمون البسيونى ضمن الذين قابلوا وكيل النائب العام هو وفخرى لبيب مسؤل لجنة الاضراب .**

وعند ما كنا نخرج الى حوش السجن اثناء الاضراب لنقف فى الشمس قليلاً . . كنا نرى ضوء الشمس من خلف الضلوع فقد تحول الجميع الى هياكل بشرية متحركة فقد كنت ترى القفص الصدرى ومابدا خله فى ضوء الشمس وهو منظر لاينسى مهما طال الزمن كما ان تجربة الاضراب لا تنسى هى الاخرى وهى تجربة فريدة من نوعها ومن يتحدث عن الجوع ليس كمن عاشة وجربة ستة عشرة أو ثمانية عشرة يوماً وبضع ساعات وكان من ابطال الاضراب ورمز المقاومة هو **الدكتور فايق فريد فرج الله الرشيق زو الجسد النحيف والقلب الكبير والعزيمة الفولاذية . . ويؤسفنى اننى** قد لا اذكر بعض الزملاء الابطال وذلك بسبب ضعف الذاكرة التى داهمتها الشيخوخة بعنف فأرجو المعـــذرة .

لم نوافق علي فك الاضراب الا بعد **حضور رؤوف من مستشفى الواحات** خوفاً على حياة هذا البطل وكنا على استعداد لعمل اى شئ بعد قرارنا اخذ الموقف لنهاية بصرف النظر عن التضحيات التى قد تحدث . . وبعد حضور رؤوف والاطمئنان عليه وعلى كل الزملاء قررنا أن تنفذ قرار الفك ولكن كان قرار فك الاضراب اصعب من دخول الاضراب نفسه فقد حضر الينا الزملاء فى حدتو **وعلى رأسهم الدكتور حمزة البسيونى** وهم يحتضوننا بحب اخوى ويقولون لنا الف حمد لله على **سلامتكم وطلب الدكتور حمزة من ادارة السجن عدم صرف طعام** لنا حرصاً على سلامة امعاءنا من الاصابة بتقرحات نتيجة خلو المعدة مدة طويلة وتولى الدكتور حمزة مع غيرة من الاطباء عملية تغذيتنا بطريقة طبية صحيحة وكان **حمزه** هو اكثر نشاطاً وحركة نظراً لمشاركة **كل اطباء الحزب فى الاضراب تقريبا** وكان يعاونه فى ذلك **الزميل محمد شطا وصلاح حافظ وعددا كبيراً من زملاء حـدتــو .**

وكان قرار الدكتور حمزة فى اول يوم فك الاضراب هو صرف بسكوته واحدة مع كوب لبن

بودرة بقليل من العسل الاسود لزوم تسليك الامعاء واستمر هذا الحال الى قرب نهاية اليوم الثالث لفك الاضراب وعندما طلبت منه قطعة من الجبن الابيض - وهو جبنه قريب من الحجر الجيرى حـذرنى بقـوله .

- أوعى تـأكل شئ به ملح او فلفل او حتى العيش اذا اردت ان تحافظ على صحتك . . وقد كان ولا انسى فضل الدكتور حمزه وزملاء حدتو الذين وقفوا بجانبنا رغم اعتراضهم على دخول الاضراب اول الامر لكنهم بعد الاضراب كانوا الذين ساعدونا علي اجتياز مرحلة ما بعد الاضراب وهى الاخطر والاصعب فقد دخلنا الاضراب ونحن فى منتهى الصحة وخرجنا منه ونحن فى قمة المرض وكان لهم الفضل فى الحرص على حياتنا وصحتنا وبدأ الاكل بربع رغيف ثم نصف رغيف حتى اكلنا الزلط بعد ذلك وكان **عبد اللطيف هنداوى** يحضر لنا كمية من العظم الخالى من اللحم لنقوم بمصه حتى النخاع .

ولم يتوقف دور الدكتور حمزه عند هذا الحدث فقد كانت له مواقف عظيمة اخرى . فقد خرج الزملاء من تجربة الاضراب وهم فى منتهى الضعف الجسمانى فقد كانت تجربة الاضراب تجربة قاسية وطويلة .

ومن المواقف الطريفة للدكتور حمزه يوم ان خرج هو وصلاح حافظ لانقاذ اولاد المأمور بعد ان اخذاوا دواء الضغط الخاص **بوالدتهم** مما سبب لهما ما يشبة حالة التسمم واستطاع **حمزه وصلاح** ان يقوما بغسيل معدة وانقاذ الطفلين من موت محقق مما كان له اعظم الاثر فى تغيير . سياسة المأمور تجاه الشيوعيين بشكل عام وكان المأمور متعاطفاً معنا عندما مرض **الزميل اسماعيل عبد الحكم الذى اصيب فجأة بمرض التهاب كبدى وبائى** نتج عنه ضعف شديد وعدم القدرة على الحركة وكانت حالته تدعوا الى القلق ولم يكن **بمستشفى الواحات** وسائل طبية لاسعاف الزميل وكان لابد من نقله فورا الى القاهرة بعد ان عجزت **مستشفى الخارجة** عن علاجه ولكن **المباحث العامة** كانت ترفض ترحيل اسماعيل الى القاهرة مما جعل الزملاء فى السجن يهددون بحرق السجن اذا لم يرحل **اسماعيل الى القاهرة للعلاج** مما جعل مأمور السجن يعلن لادارة المباحث ومصلحة السجون بأنه غير مسئول

عما يحدث داخل السجن بعد تهديد الشيوعيين بحرق السجن والدخول فى معركة مع الادارة مهما كانت النتائج .

كان والد اسماعيل ووالدته قد حضرا من القاهرة بناء على برقية تقول .

- احضروا لاستلام جثمان ابنكم اسماعيل من مستشفى الخارجة . .

واخيرا رضخت ادارة المباحث لطلب نقل اسماعيل عبد الحكم الى العلاج بالقاهرة على اساس انه حالة ميئوس منها - هذا تبريرهم - ولكن فى الحقيقة انهم كانوا فى حالة ذعر بعد الاضراب الكبير خاصة وان تقرير مندوب الرئيس الذى حضر مع سمير ناجى اثناء التحقيق فى الاضراب قد اشار فى تقريره الى الرئيس بان هؤلاء الرجال يستحقون ان يتبوأوا ارفع المراكز فى الدولة وان وجودهم بالسجن خطأ يجب ان يصحح وبسرعة اذن كان موقف المباحث فى منتهى التعنت بعد هذا التقرير من مندوب الرياسة بجانب تقرير سمير ناجى الذى كان لا يختلف كثيرا عن تقرير المندوب . لذلك تقرر فورا ترحيل اسماعيل عبد الحكم وهو فى شبة غيبوبة بالطائرة من الواحات الى القاهرة يصحبه والده ووالدته ويرافقه فى الرحلة الدكتور حمزه تحت ضغط من الزملاء وإلا تتحمل المباحث مسؤلية حدوث أى تدهور فى حالة اسماعيل عبد الحكم لذلك ارادت اخلاء مسؤليتها فوافقت على مرافقة حمزه البسيونى له ويعتبر اسماعيل عبد الحكم هو المعتقل الوحيد فى تاريخ السجون والمعتقلات المصرية الذى نقل بالطائرة يرافقة دكتورهو زميله فى نفس الحبسه وبمجرد أن وصل اسماعيل الى القصر العينى لم تترك المباحث حمزه البسيونى ولو ليوم واحد فقامت فوراً بترحيله الى سجن المحاريق بالواحات الخارجه وكان لوجود حمزه مع اسماعيل فى هذه الرحله العجيبة اعظم الأثر فى إنقاذ حياة الزميل اسماعيل عبد الحكم بكّر ولكى يرافق حمزه اسماعيل اقنع احد ركاب الطائرة بالتنازل عن مقعده وبالفعل تنازل الرجل عن طيب خاطر وهذا نموذج من النماذج الطيبه للشعب المصرى ، ومهما مر الزمن لن انسى ابداً موقف الزملاء النوبيين اثناء الاضراب الكبير فقد كانت لجنة الاضراب تريد ابلاغ قرار او معلومة الى عنبر واحد وكان الحديث يتم باللغة النوبية تحت سمع وبصر

الضباط الذين كانوا يرغبون فى معرفة أى شئ لابلاغة الى المباحث العامه فى مكتب المامور الذى كان فى انتظار خبر او معلومة قد تفيدهم .

كانت القرارات والمعلومات تنقل الى الزملاء بواسطة اللغة النوبية الجميلة تحت بصر وسمع الضابط دون ان يعرفوا منها كلمة واحدة فقد كان الحديث يدور بين محمود شندى ومختار جمعه ومحمد حمام وسليمان القائمقام وجمال بليه باللغة النوبية .

وبعد فك الاضراب طلب منا سامى عبد المسيح ان نكتب الى اسرنا من اجل الاسراع بارسال نقود وطلب ايضا ان ترسل برقيات قصيرة نظرا لظروف الصعبة على ان تكون برقيات قصيرة فجاءت اقصر برقية فى تاريخ هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية وكان نص البرقية من محمد مختار جمعه كـالاتــى . .

(**توشكا تلغرافونا عشرة**) انتهت البرقية وكان المبلغ المطلوب هو قرشين لا غير ثمناً لهذه البرقيه !

وجاء رد الده كالاتى . . .

(**سجن محاريق مختار جمعه حبابك عشرة**) أى ارسلنا لك عشرة جنيهات .

وعندما يكتب تاريخ الحركة الشيوعية المصرية سيكون للنوبيين فيه شان عظيم فقد كان عدد النوبيين فى سجن الواحات عدد غير قليل . ففى حدتو كان زكى مراد ومحمد خليل قاسم ومحمد خليل اسى والسيد حسن والسيد اسحاق ومبارك عبده فضل .

وكان الزملاء من ابناء النوبة عموماً هم اكثر انسجاما من غيرهم حتى وان اختلفت الاصول التاريخيــة .

دروس مستفادة من تجربة الاضراب

ومن تجربة الاضراب الكبير والدروس المستفادة هو التضامن وحدة الموقف والارادة التى تعطيك قوة دافعة لاتخشى معها شيئا حتى الموقف نفسه والموقف الجماعي ويشعرك بانك اقوى من ساجنيك وكانا رفضنا للطعام رفضا باتا وجادا وهذا كان جديداً على ادراة السجن وهى لم تتعوده بهذا العدد الكبير فقد تعودت ادرات السجون على الاضرابات الوهمية التى كان يمارسها بعض **المساجين العاديين** الذين يرفضون الاكل شكلا بينما هم يتعاملون مع الكنتين بفلوسهم حيث يتناولون الطعام وبذلك لاتأخذ ادارة السجن موقفا جادا منهم وتنص **لائحة السجون على ابلاغ النيابة بعد ٢٤ اربعة وعشرين ساعة فقط** بداية الاضراب لاخلاد مسؤلية ادارة السجن ولم تدرك ادارة سجن الواحات ان **اضراب الشيوعيين** عن الطعام يختلف عن اضراب المساجين العاديين **فاضراب الشيوعيين هو اضراب سياسي وله طابع عالمى حسب القضية التى بسببها دخل الشيوعيون السجون والمعتقلات .**

والاضراب سلاح ذو حدين اذا لم يتم التحضر الجيد له ويحتاج كل اضراب الى لجنة للاشراف عليه تكون هذه اللجنة على اعلى مستوى فكرى وعلمى وهى التى تحدد مطالب الاضراب والتفاوض مع مندوبى الحكومة وهي التى تحدد بداية ونهاية الاضراب وهى لاتكشف موعد انتهاء الاضراب الى من هم من خارج لجنة الاضراب وكانت لجنة الاضراب فى الواحات على هذا المستوى ويرجع لها الفضل فى نجاح الاضراب ومن الامانه ان نتذكر ان الزملاء فى هذه اللجنة كانوا على مستوى الموقف وكذلك فعل الزملاء **الاوردى** واخذوا نفس الموقف وقاموا بعمل اضراب خاص بهم واقصد زملاء القضية الاولى **ومنهم اسماعيل صبرى وفؤاد مرسي ونبيل الهلالى وكمال السيد وامين شرف وابو سيف يوسف وريمون دويك واخرين فقد تركناهم فى الاوردى بعد موت شهدى** وذهابنا الى الواحات ويظهر ان زملاء **الاوردى** قد تخلو عن القرار الذى يدعو الى عدم التجاوب مع استفزاز الادارة وكان من الافضل لهؤلاء الزملاء اتخاذ الموقف عند اول يوم وصلوا فيه الى **الاوردى باعتبارهم هم القيادة العليا للحزب الشيوعى المصرى وكلهم اعضاء فى لجنته المركزية . ونجاح الاضراب الكبير فى سجن الواحات يرجع الى قادة الحزب فى الواحات اى الى فخر لبيب ورؤوف نظمي وعبد الخالق الشهاوى ومأمون البسيون وزكى عثمان ومصطفى الحمادى وعدلى جرجس وطاهر عبد الحكيم وفيليب جلاب وشكرى عازر وداوود**

عزيز ومصطفى طيبة واحمد الرقم ومنصور فهمي ومجدى فهمى وابراهيم فتحى وفوزى جرجس وعادل كامل والرجل الذى يمثل القوة الدافعة والصلابة الدكتور فايق فريد فرج الله وغيرهم من القيادات الشجاعة التى اتخذت قرار الاضراب فى سجن المحاريق بالواحات الخارجة .

ومن حسن حظنا ان لجنة الاضراب بعد ان حققت بعض المكاسب من هذا الاضراب مثل الزيارات وكتابة الخطابات والحصول على ملابسنا الداخلية والاحذية قررت فك الاضراب يوم ١٨ يوليو ١٩٦١ سنة الف وتسعمائة وواحد وستون اى قبيل قرارات يوليو بثلاثة ايام فقط فكانت الفرحة فرحتين واحدة بفك الاضراب والاخر بالقرارات الثورية ردا على انفصال مامون الكزبرى في سوريا . وبعد هذا الاضراب حضر الزملاء من الاوردى ليكتمل جمع كل الشيوعيين على ارض الواحات الخارجة .

واطرف اشاعة سياسية سمعتها في داخل السجن ان الرئيس عبد الناصر لم يكن يعلم بما جري من تعذيب للشيوعيين فان كان يعلم فتلك مصيبة وان كان لا يعلم فالمصيبة اعظم ومن تجربة الاضراب والجموع الحلم بالاكلات الخرافية مثل المهلبية بصدر الفراخ وطاجن اللحم بالعسل وبجميع الفطائر من كل لون .

هناك عائلات بكاملها دخلت فى الاضراب الكبير مثل عائلة كيرلس طوسون وفرنسيس وفواد والشعراوية وموسى جندي ابراهيم والاخوين زخاري وفؤاد بلبع والسيد العشري وصبحي محروس ومتولى السلاماوى وفؤاد مصطفى وباختصار لم يتخلي احدا من الزملاء عن دخول الاضراب سواء كانوا معنا فى سجن الواحات أو الذين تركناهم فى معتقل الفيوم دخلوا نفس التجربة ولكن على خفيف مثل تجربة اسماعيل وفؤاد فى الاوردى التى جاءت متأخرة فقد كانت فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر فترة وطنية بكل معنى الكلمة وهو اول زعيم مصرى يحكم مصر وهو المصفي للوجود الاستعمارى فى منطقة وهو المساند لحركات التحرر على المستوى العالمى وهو اول من حارب الاحلاف العسكرية وبكل المقاييس ليس هناك من هو اكثر وطنية من جمال عبد الناصر وحكومتة وعهدة . . ومع هذا فإن هذه الحكومة الوطنية هى التى صفت القوى والاحزاب الوطنية فى مصر واعتقد ان هذه الاساليب الدكتاتورية هى التى مهدت لهزيمة ١٩٦٧ وهى التى افرزت العناصر التى هبشت قبر

عبد الناصر بعد موته ولم يدافع عن عبد الناصر احدا كما دافع الشيوعيون الذين عذبوا فى سجون عبد الناصر وهى معادلة صعبة فلم تستطيع القوي الرجعية التى كانت تحكم قبل الثورة ان تصفى القوى الوطنية مثلما حدث بعد الثورة ؟ ! بل ان النظام الملكى كان يصرف مرتبات لأى معتقل سياسى مهما كان رأية وكان يعامل المساجين والمعتقلين السياسين على انهم اصحاب رأى لا مجرمين وهذا ما افتقدناه فى عهد الثورة ومازلت حائراً في تفسير هذه الظاهرة . . ؟ ظاهرة ان الحكومة الوطنية هى التى صفت القوى الوطنية بداية بحزب الوفد وانتهاء بالاخوان المسلمين والشيوعيين وكان من الخطأ السكوت على سياسة التعذيب خاصة بعد قيام ثورة طال انتظارنا لها لتخلصنا من حكم ملكى عميل وفاسد ولكن تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن فقد قامت الثورة وانا فى سن الثالثة والعشرين وكنت من اول الفارحين بقيام هذه الثورة التى بدات علي شكل انقلاب وانتهت بثورة غيرت نظام الحكم وانتقلت السلطة من طبقة عميلة للاستعمار والرجعية الى طبقة ثورية جديدة من شباب كان يمثل طليعة القوات المسلحة وكان هذا الشباب هو الامل فى تحقق العدالة على ارض مصر .

والمسؤل عن هذه كله هم طليعة الشعب المصرى من المثقفين في جميع الاحزاب والهيئات ايضاً جماعة الاخوان المسلمين بل ان جماعة الاخوان المسلمين هم اول المسؤلين لانهم قبلوا علي انفسهم ما تم من تعذيب لهم سواء في السجن الحربى او فى سجن طره ١٩٥٦ ولم يقاموا ولحقهم الشيوعيون ١٩٥٩ وقبلوا هم ايضا علي انفسهم التعذيب في معتقل الفيوم وفي اوردي ليمان ابو زعبل وفى سجن الواحات وان كان السجن الاخير اقل تعذيبا نظرا لبعد الادارة فى هذا السجن عن الاشراف المباشر والمركزى للمباحث العامة وقديما قالوا لفراعون يا فراعون مين فرعنك قال مالقتش حد صدنى ومادمنا نعترف ونقرر بان نظام حكم الرئيس عبد الناصر نظاما وطنيا ومعاديا للأستعمار والصهيونية العالمية علينا ان نعترف ايضا بان اسلوب الحكم كان اسلوبا دكتاتوريا ومعاديا ايضا للديموقراطية والحريات السياسية وهذه فى نظرى هى سر هذيمة ١٩٦٧ امام اسرائيل المدعومة من الاستعمار العالمى وتؤكد كل الوثائق التى ينشرها محمد حسنين هيكل فى كل كتبه تامر القوى الاستعمارية على التخلص من جمال عبد الناصر مما يؤكد وطنية الرئيس ولذلك يكون الدرس المستفاد لنا ولكل نظام وطنى ان يمارس الحكم باساليب ديموقراطية حماية للنظام نفسه قبل غيره من القوى وان ممارسة الحكم باساليب غير ديمقراطية ودكتاتورية لا يخدم سوي الاستعمار وحلفائه

واعتقد ان جذور نكسة ١٩٦٧ بل هزيمة ١٩٦٧ بدأت مع بداية ضرب القوى الوطنية وممارسة سياسية التعذيب لاصحاب الرأى المخالف للنظام وهذا راى متواضع اسجله للتاريخ وللاجيال القادمة لكي لا تقبل مثل ما حدث لنا حتى وان قدموا ضحايا فالحياة مرة واحدة فقط يجب ان تعاش بشرف ورجولة افضل من الحياة الذليلة والف للتفتيش لتنكشف عورات الرجال بين ضحك له صوت فحيح الافاعى فى ابو زعبل واعتقد انه من الواجب على من خاض هذه التجربة من رجال الفكر والقلم واصحاب التنظيمات الذين ماذالوا على قيد الحياة ان يكتبوا تاريخ هذه المرحلة الهامة من تاريخ مصر الحديث لان هذا الموضوع اكبر من قدرة فرد واحد ولكن يحتاج هذا الامر الى هيئة او جماعة محايده لتكتب تاريخ هذه المرحلة بامانة وصدق وليس من وجهة نظر تنظيم بعينة مثلما حدث من قبل . . .

وانا لا اكتب تاريخ الحركة الشيوعية المصرية فهذه مهمه فوق قدراتى وانما اكتب تجربتى الذاتية خاصة بى ومن وجهة نظرى ان الاشتراكية سوف تظل هي الأمل والحل لجميع مشاكل الفقر واستغلال الانسان لاخية الانسان حاليا ومستقبلاً برغم الانهيار العظيم وعندما تتجدد فكرة الاشتراكية على يد جيل جديد متطور اكثر ايماناً بعدالة القضية سوف تذدهر الاشتراكية من جديد وعلى مستوى عالمى بعد ان انكشف ما يسمى بالنظام العالمى الجديد .



فى الطريق إلى الواحات

اسيـر فى أرض الوطن والقيـد فـى يدى غريــب
والشمس ترمى الذهـب فـوق الرجـال ولهيـب
جبل الليـالى انــا لـى فـى المنـافى نصيـب
وقفـت اشــاور لكــم يـا اعــز احبابــى
مع السلامة انا مسافر بعيـد وجـاء أغيـب

من كلمات المهندس محمود المستكاوى رحمه الله
الواحات الخارجة سجن المحاريق ١٩٦١

د. حمزه البسيونى و الصول احمد مطاوع

كان **الصول مطاوع** هو الدينامو والأداة فى تعذيب الشيوعيين **بالاوردى** ولكن حظة السيئ اتى به الى سجن المحاريق **بالواحات** ضمن حركة تنقلات عامة روتينية على مستوى المصلحة .

وعندما حضر الى **الواحات** وجد الشيوعيين هم المسيطرين على زمام الامور . . حتى عملية التمام التى هى من صميم عمله كان **الشيوعيون** هم المسؤلين عنها وضمن من حضر الى **الواحات ايضا الشاويش عبد اللطيف احمد** الذى رفض ان يضربنا فى **الاوردى** **وتحدى حسن منير امام** الجميع ورجل اخر هو **الشاويش عابد** .

وفوجئ الصول **مطاوع** بان الزملاء يأخذون **الشاويش عبد اللطيف** بالاحضان ويسلمون على **الشاويش عابد** باليد وبدون احضان اما هو **مطاوع** - لم يقترب منه احدا لا بالخير ولا بالشر فقد قاطعه الجميع بشكل عام فلا يرد احدا عليه السلام أو التحية دون ان يصدر قرار بهذه المقاطعة بل هى مقاطعة تلقائية مع هذا الرجل الذى وضع لنا التراب فى جراكل اليمك والفنيك فى العسل ويضربنا اذا لم نهتف **لعبد الناصر** ويضرب بدون سبب لكى يكسب رضى **حسن منير وعبد اللطيف رشدى وغيره من الضباط وشارك فى قتل فريد حداد وشهدى عطيه** .

وكانت هذه المقاطعة من جانب الجميع لها وقع رهيب على نفسية **مطاوع** خاصة وهو ينظر الي الزملاء وهم يقدمون السجائر الى **الشاويش عبد اللطيف** وكاد مطاوع ان يجن وفجاة داهمه مرض مفاجئ لم يكن فى الحسبان وغاب **مطاوع** عن السجن وفى المساء **طلب المامور الدكتور حمزه البسيونى** بالاسم على غير العادة وذهب حمزه مع احد الضباط الى مخيمات عساكر الدرجة الاولى حيث يرقد الصول **مطاوع** وبالكشف عليه وجده الدكتور حمزه معرض للموت السريع بسبب **انفجار فى الزائدة الدودية** ولا يحتمل الموقف **نقل مطاوع الى المستشفى** خاصة وان **المامور اخذ السيارة** القديمة الوحيدة وخرج فى مامورية وكان لابد من انقاذ حياة **مطاوع** باى شكل وبكل وسيلة وباعتبار حمزه جراح شاطر فقد قرر ان يتصرف بما

هو موجود من امكانيات تحت يده فى هذه اللحظة فطلب من زملاء **مطاوع** ان يكتفوه ويجلسون فوقه وقام بفتح بطن مطاوع لينقذه ثم خيط له بطنه بخيط وابره عاديين وبذلك انقذت حياة **مطاوع** الذى ازهق الارواح فى **الاوردى** وبعد شفاء مطاوع طلب من **حمزه** ان يعامله الزملاء كباقى موظفى السجن واعتذر له عنما سبق ووعده حمزه بذلك ولكن لم يستجب عدد كبير لرغبة مطاوع لانهاء هذه المقاطعة وكان قراراً ذاتياً لا حزبياً ولم يحتمل **مطاوع** هذه المعاملة فطلب من مامور السجن ان ينقله الى سجن اخر وقام مطاوع باجازة مرضية بعد اجراء اغرب **عملية جراحية داخل سجن المحاريق** ولم يعد **مطاوع** بعد هذه الاجازة فقد خرج بعد ذلك بقليل الى المعاش وتوفى بعد ذلك بمدة قليلة الى **رحمة الله التى وسعت كل شئ** .

والشئ الظريف فى كل ما حدث في موضوع الدكتور حمزه هو ان الدكتور لم ينقطع عن ممارسة مهنتة كطبيب طوال الحبسه ومازال يعالجنا حتى اليوم وماذا يفعل فهذا قدره .

قلت فى بعض السطور اننى دخلت المعتقل وانا عندى فكرة مثالية عن الشيوعين بشكل عام . . وقلت ايضا يكفى ان تقول لى هذا شيوعى حتى أقدم له روحى على طبق من فخار وكانت صدمتى شديدة جداً عندما بدأت اكتشف مدى **بشاعة الانقسامات التنظيمية داخل الحركة الشيوعية المصرية** وكنت مثل **الاطرش** فى الزفة وبدات اعرف القليل عن **طريق مصطفى الحمادى كواحد من زعماء الحزب الشيوعى المصري القديم – الرايه** – ولكن وجودى فى الواحات قد كشف لى الكثير وبدأنا تجربة الافق التى تكاتفت القيادات على افشالها ومما لفت نظرى بشدة .. وجود عدد غير قليل من ابناء العم اليهود والاغرب من هذا انهم متواجدين فى كل التنظيمات تقريبا واعتقد ان جهاز المباحث وصل لهذه المعلومة للرئيس فكان يتهمنا بالعماله وكان الرئيس على خطأ طبعا ولكن تواجد هذا الكم من اليهود فى نظرى انا هو سبب اتهام الرئيس لنا وهذا من ضمن جهلى بما **يدور داخل كل حزب شيوعى ما عدا الحزب القديم – الرايا – الذى رفض عضوية أى زميل يهودى لاتعصبا ضد اليهود ولكن نظرا لحساسية القضية الوطنية فى ذلك الوقت وشدة الصراع العربى الاسرائيلى .**

ومعظم الاحزاب الشيوعية ايدت قرار التقسيم الصادر سنة ١٩٤٧ باعتباره

افضل الحلول السيئة بالنسبة للعرب حسب مقولة ستالين وفى اعتقادى الشخصي ان هذا القرار كان خاطئا لان ستالين يعرف ان اسرائيل كيان دخيل على المنطقة ومع ذلك اعترف بقرار التقسيم .

وكان احمد صادق سعد - وهو يهودى - يقول فى محاضرة بحجرة رقم ٨ بعنبر واحد بان اسرائيل هي واحة الديمقراطية فى الشرق الاوسط كله وكان احمد صادق سعد من قيادات الحزب الكبير الذى اشرف انا بعضويته . . . ؟ ! وكان يوسف درويش وريمون دويك وهو يهودى ابن بلد والبير أريه فى حدتو وابراهيم ارنسيت هرارى يقول انه مستقل وهو ليس مستقلا كما كان داوود شلـــوم .

ان مهمه اسرائيل هى ابادة العرب مهما طال الزمن وكل صهيونى لابد ان يكون يهودى . . وليس كل يهودى لابد ان يكون صهيونى وعلى اولاد عمنا ان يتركوا الحركة الشيوعية المصرة حتى ينتهى الصراع العربى الاسرائيلى اذا قدر له ان ينتهى فى يوماً ما .



مسعد البنا ونبوة المستقبل

كان المسرح هو ملتقى الجميع وبدات واس تدعوا الزملاء الى هذا المسرح ويوميا لنجلس فى مدرجات المسرح بعد انتهاء ماتش السلة والركت ورفع الاثقال . كان الزميل **جودت ابراهيم** و**ممدوح عبد الرحمن** و**نبيل عزيز** و**عدلي عزيز** قد ساهموا فى ايجاد النشاط الراضى وبالذات **جودت** و**انور ابراهيم** وعقب انتهاء مباراة فى كرة السلة دعى الزميل **مسعد البنا** الجميع ليعرض عليهم فكرة تساهم فى حل كل المشاكل والانقسامات وكنت احب **مسعد البنا** نظرا لطيبة قلبه وسعة أفقه فذهبت مع عدد كبير من الزملاء وجلسنا فى المدرجات وجلس هو على المسرح وبدا شرح وجهة نظره فقال :

على جميع الزملاء ان يتصافحوا ويحلوا كل التنظيمات خاصة بعد ان تم سجن الجميع بدون تمييز بين معارض ومؤيد فعلى ماذا نختلف اذا كنا فى سجون ومعتقلات الحكومة وبعدها نخرج من هنا نتصالح مع الحكومة .

وايضا على الاتحاد السوفيتى ان يتصالح مع امريكا وكذا العالم الاشتراكى كله يتصالح مع العالم الرأسمالي وتنتهي الحروب بعد أن يتصالح العرب واليهود وتكون دولة فسلطين دولة مشتركة بين العرب والاسرائيليين اى دوله ديمقراطيه وكان **مسعد النبا** يتكلم بكل جدية ولكن الزملاء اعتبروه وصل ولم يحتمل بشاعة السجن ولم يصدق واحد منا ان نبوة **مسعد** قد تتحقق على المدى البعيد وكانت البداية في مصر حيث تم حل الحزب الشيوعى وباقى التنظيمات الاخرى ومن لم يوافق بشكل علنى على الحل . . حل بينه وبين نفسه ولا تصدق احداً اذا ادعى بأنه لم يحل . .

كما تحققت نبوة مسعد النبا على يد **جوربا تشوف** و**يلتسين** وبعد ان كان **الاتحاد السوفيتى** سندا للقضية العربية اصبح حربا على كل العرب وبدأت دول اوروبا الشرقية بما فيهم **روسيا الاتحادية** تورد الرجال المدربين الي دولة **اسرائيل** و**امريكا** تورد لهم السلاح وتم اجبار العرب على الصلح حسب رغبة كل من **اسرائيل** و**امريكا** وكان **مسعد البنا** سابق زمانه فكان رأية هو الذى تحقق فى النهاية بعد اكثر من ثلاثين سنة بعد الحبسة .



الموقف الانقسامى

مع كثرة نشاط الزملاء وبعض التشنجات بشان تأييد او معارضة الحكومة اطلق عبد الملك خليل عدة مصطلحات منها (كتب عربى) و (الحنجورى) و (بلوهم) وحدث اثناء الحبسة عدة احداث لها دوى عالمى مثل الانفصال السورى والباخرة كليوباترة التى امتنعت الموانئ الامريكية عن التعامل معها وبعد حل الاتحاد القومى واعلان قيام الاتحاد الاشتراكى وبعد اعلان ما يسمى بالقوانين الاشتراكية اجتمع الزملاء فى الحزب ووافق الحزب على ارسال برقية الي الرئيس جمال عبد الناصر تعبر عن موقف الحزب من هذه الاحداث وبالذات من الانفصال السورى بزعامة مامون الكزبرى وكان نص البرقية يقول ما معناه . . .

ان الجميع الشيوعيين فى سجن الواحات يرفضون عملية انفصال الشقيقة سوريا عن مصر فقد كانت الوحدة ومازالت هى امل الشعوب العربية كما نرفض ضغط الولايات المتحدة الامريكية والتآمر على الباخرة المصرية كليوباترة واننا على اتم استعداد للتطوع دفاعا عن مصر وعن الوحدة وندعو كل الموانئ المصرية لمقاطعة السفن والبواخر والبضائع الامريكية) .

لم تقل البرقية انها باسم الحزب وانما باسم كل الشيوعيين فى سجن الواحات بحيث تكون البرقية معبرة عن جميع الشيوعيين مما يعطى لها شكل افضل عند الرئيس وكانت هناك مناقشات مع زملاء حدتو من اجل اتخاذ موقف لتاييد الحكومة فى مواجهة مؤامرات الاستعمار والرجعية العربية فى كل من سوريا ومصر .

توجه الجميع فى الساعة الواحدة ظهرا ونحن القواعد وراء القيادات وكان المتحدث مع الادارة هو الدكتور اسماعيل صبرى بعد حضوره من الاروى فوقف وبدأ حديثة قائلا للمأمور . . .

(قررنا نحن الشيوعيون جميعا ان نرسل برقية الى الرئيس جمال عبد الناصر من داخل السجن نعبر فيها عن راى الشيوعيين فيما يجرى من احداث على ارض مصر والعالم العربى بل والعالم كلـــه ..) ثم قرأ نص البرقية

وكان الصمت يخيم على الجميع من شدة التأثر وقد شارك فى هذا الموقف الوطنى جميع الزملاء من جميع التنظيمات بما فى ذلك الكيان الفلسطينى .

وفجاة خرج صوت غليظ نسبيا وهو يقول . .

(لا يا سيادة المامور لسنا شيئا واحدا فنحن ضد هذا التكتل نحن شيئان مختلفان وسوف نرسل برقية منفصلة خاصة بنا وليس لنا أى علاقة بالاخرين نزل كلام احمد الرفاعى علينا مسببا شيئا من الاحباط وعدم الرضى فقد اصر على الانقسام حتى ابسط المواقف الوطنية ونحمد الله ان احدا من هذه التنظيمات لم يصل الى كراسى الحكم فقد كان احمد الرفاعى هو الذى رفض هذا الموقف الموحد ليتاكد الانقسام حتى يومنا هذا ولن يتم القضاء على هذا الانقسام الا برحيل هذا الجيل الذى لم يبقى منه الا القليل والزمن دائما هو العبقرى الوحيد فى حل جميع الخلافات سواء على المستوى الفردى او الاجتماعى او حتى الدولى) .



نهايــة قــاتــل

تغيرت قوة الحراسة وحضرت الى الواحات مجموعة جديدة كان من ضمنها **الشاويش** الذى كان يحفظ اسمى منذ **الاوردى** فسألته عما تم مع فريق التعذيب من الضباط والعساكر بعد مقتل **شهدى عطية الشفعى** فى **ابو زعبل** فقال لى . .

- بالنسبة للعساكر لم يحدث اى تغير فى التحركات حسب الروتين العادى .

اما الضباط فقد تم نقلهم بعد تحقيقات النيابة وكان من **نصيب رشدى أن يعين** ماموراً لاحد مراكز **مدينة اسيوط فلقى مصرعه** هناك علي يد واحد من ابناء المركز وذلك بسبب سلوك **عبد اللطيف رشدى** الذي لم يختلف عن سلوكه وهو ضابط سجون فقد اعتقد **رشدي** أن أهل هذه القرية التابعة لأحد مراكز اسيوط ما هى الا سجن اخر يملك هو وحده حق التصرف فيه فقام باكبر غلطة فى حياته فأثناء مروره فى جولة بوليسية عادية لم يعجبه سلوك بعض الناس فكان هناك من اهل القرية من لم يقف للمأمور اثنا مروره فأعتقد الضابط ان الرجل يتحداه بدليل عدم وقوفه احتراما لــه . . .

فتوقف امام الرجل الذى ظل جالساً على مقعده ودار بينهما الحوار الاتي :

- انت يا رجل . . لماذا لم تقف اثناء مرورى عليك ؟ ؟
- ولماذا اقف لك ؟ ؟
- **انا مأمور المركز** ..؟ اهلا وسهلا . .
- وماذا فى ذلك ؟ ؟
- فيه انك قليل الادب . . ! فرد الرجل . .
- بلاش الغلط ده وبلهجة صعيدية قوية واصل . حديثه
- مالنا ومالك ؟ ليك ايه عندى ؟

واعتبر الضباط هذه العبارات الصادرة من الرجل امام العسكر والمخبرين تحدياً وامر بالقبض على الرجل ثم طلب من رجاله ان يمدوه على قدمية . ! !

وحاول بعض رجاله ان ينبهه الى خطورة هذا التصرف وبالذات فى قرى الصعيد . . كما ان الرجل من كبار رجال القرية وهو أب عدد من الرجال المحترمين ومن اسرة كبيرة فيهم الطبيب وغير الطبيب ولكن الضابط اصر على ضرب الشيخ وفى وسط القرية وامام الناس ليكون عبرة لغيره عندما يمر بعد ذلك . . ؟!

وتم ضرب الرجل على قدميه امام الناس وتركه الضباط وعاد الى مركزه . واجتمع اهل القرية بما فيهم ابناء الرجل وقرروا التخلص من هذا الضباط الذى بدأ عمله بهذه الجريمة التى لا تغتفر وبناء على خطة شارك فى وضعها اهل القرية تم التخلص من قاتل محترف وقيدت الحادثة ضد مجهول فقد حدث الاتى :

ذهب افراد اسرة الرجل المضروب الى بلدة اخرى فى مركز اخر وافتعلوا خلافاً مع احدى العائلات وانتهى بهم الامر الى عمل محضر صلح مع العائلة الاخرى داخل نقطة الشرطة بحضور **الضباط رئيس النقطة .**

وفي نفس الليلة التى بات فيها ابناء الرجل خارج قريتهم حدث الاتى :

قامت مجموعة من الرجال الاشداد المسلحين . لمهاجمة المركز الذى يسكن فوقه **الضابط رشدي** بعد منتصف الليل وقبضوا على العسكرى الواقف بالباب وهو من نفس القرية واخذو سلاحه وباقى الاسلحة الموجودة فى المزكر بعد ان قاموا بتكتيف باقى الجنود ثم صعدو الى مسكن المأمور الذى كان يغط فى النوم العميق وغنوه باطراف **المدافع الرشاشة** وفهم الضابط ان هذا هو الرد السريع على ما قام به فى القرية فمد يده ليسحب مسدسه من تحت المخدة ولكن المدافع المصوبة الى صدره جعلت منه مصفاه دامية وبذلك مات **عبد اللطيف رشدى** وقيدت الواقعة ضد مجهول فقد كان ابناء الرجل فى مكان اخر ساعة ان لقى مصرعه ولم يجروء احدا ان يدافع عن الضابط يشهد لصالحه فكان الجزاء من جنس العمل .

وغادروا المركز بعد ان تركوا جميع الاسلحة على بعد كيلو متر فى حراسة احد الجنود وهو مربوط مع الاسلحة وبعد قليل مرت سيارة نصف نقل كما لو كانت تمر بالصدفة وعمل السائق ومن معه على فك الجندى واعادته الى زملائه الذين قالوا فى محاضر التحقيق بانهم لا يعرفون الفاعل فقد كانوا اكبر عددا من قوة المركز . .

رحلة علاجية الى سجن طره

مرتان خرجت فيهما من سجن المحاريق من اجل العلاج الاولى الى سجن طره والثانية الي سجن اسيوط وكان الغرض من رحلة سجن طره هو اجراء عملية جراحية لوقف تمدد الشرايين الدموية وربط الدوالي ومكست بمستشفى سجن طره ما يقرب من ستة اشهر تقابلت فيها مع بعض السجناء من اصحاب الشهرة العالمية مثل المرحوم **السيد قطب** زعيم جماعة الاخوان فى سجن **طره وانور منسى عازف الكمان المشهور وابراهيم رشيد .**

كان الاخوان لهم اثنا عشرة سريرا فى نهاية العنبر ولهم زيارات يومياً بالتناوب حيث تحضر سيدة يومياً باسم اخ جديد كل يوم فكانت هذه الزيارات تتم تحت سمع وبصر المباحث و كل ما يخطر على البال يأتى ويخرج فى هذه الزيارات وكانت **كتب السيد قطب تصل للسجن** كله وقد اعارنى كتاب "**التصوير الفنى عند الاسلام**" على ان ارده بعد قراءته لاخذ كتاب **اخر** **وكان السيد قطب** يمر يومياً على جميع **الاخوان** داخل سجن **طره** سواء فى **المستشفى** او فى العنابر وكان يملأ جيوبة بالفكة من فئه الشلن والبريزه والنصف فرنك زى قرشان صاغ ثم يعطى من يقابله من الجنود كل بحسب رتبته وانتهاء **بالصول على** المسؤل عن ادخال الزيارات مقابل ٢/١ جنية بالاضافة الى راتب شهرى .

وكان معى فى مستشفى طره محمد صبرى عبد العال شقيق الزميل احمد بك عبد العال الذى سبق ان انقذ الملك فاروق بالصدفة يوم حادث **وقع للملك قرب القصاصين** وتصادف وجود شخصيات كبيرة حتى من الضباط الاحوار لا ذكر اماؤهم وكان **السيد قطب** هو صاحب الامر والنهى فى هذا المستشفى وكان من الشخصيات المهمه في السجن عصام جربوعة الذى يقوم بعمل الدكتور وبالذات فى عمليات التشريح في حالة وفاة احد المساجين وكان عصام جربوعة قد حكم عليه بتأبيدة بسبب قتله **فراش مدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية اثناء محاولة** سرقة الامتحان مع بعض الطلبه وهو من عائلة جربوعة التى تملك **منطقة دفشو بكفر الدوار** تلك المنطقة التى تقع **فيها شركة مصر للحرير الصناعى** وكان **عصام** يرغب فى دخول كلية الطب . . ولما فشل ودخل السجن بدلا من الطب بدأ يمارس الطب داخل السجن فكان يشق صدر المتوفى بقطعة من الحديد الصدئ وكان الدكتور عبد **القادر**

الحسينى يعتبره ساعده الايمن فى اعمال المستشفى وكانت **مستشفى سجن طره هى** المكان المفضل عند اصحاب الدخول الكبيرة وكانت تتم فى **مستشفى سجن طره** معظم اتفاقات عمليات الثأر وتجارة المخدرات والصلح بين العائلات الكبيرة فى **صعيد مصر** وعندما علم **عصام جربوعة بدخولى المستشفى** فى ساعة متأخرة من الليل ارسل من يسألنى عن بلدى ومهنتى لان المستشفى لا يتم فتحة فى الليل الا للشخصيات الكبيرة من السياسيين او الاخوان وبما ان حياة الاخوان كانت مستقره داخل السجن بشكل عام فلابد ان يكون القادم شخصية هامة وكان ردى على مندوب **عصام** . . . من ارسلك فقال .

- عصام بيه . فقلت . .

- من عصام بيه هذا فقال

- رئيس المستشفى دى . فقلت له .

- اذهب وابعث لي بعصام بيه هنا

جاء **عصام** وعرف اننى من **الشيوعيين** فقد سبق له التعامل معهم ولما عرف باننى من الاسكندرية قام بعمل **الواجب** معى فارسل لى الشاى وسيجاره وبدأت صداقة جديدة **فى سجن** طره وبعد ذلك عرفت من **عصام جربوعة** نوع التعامل فى هذا السجن وعرفت منه ان **السيد قطب** وتلميذه المخلص السيد سالم المحامى يقيمان فى **مبنى مستشفى الدرن** المجاور لنا خلف المستشفى وانه يحتل جناح بحديقة بمفردة لزوم انجاذ بعض الكتب وكان **السيد قطب** قد وعدني بكتاب معالم على الطريق بعد قرأءة كتاب **التصوير الفنى عند الاسلام** ومعرفة رأيى فيما جاء بالكتاب وكان الكتاب يتحدث عن فن التصوير على انه حرام ولكن المسموح به فى فـــن التصوير هو فقط رسم الايات القرانية داخل **المساجد** مع الزخرفة الخفيفة التى لا تشغل الفرد عن **ذكر الله وماعدا ذلك فالتصوير فن** محرم . .

ولما قلت له وجهة نظرى المخالفة لما جاء فى الكتاب رفض اعارتى كتاب معالم على الطريق الذى وعدنى به وقد كان **حوار السيد قطب** معى هو بقصد هدايتى الى الطريق المستقيم وكان للسيد **قطب جماهيرية** كبيرة فى عموم سجن طرة وعندما كان يصل الى باب الوسط الذى يفصل المستشفى عن العنابر كان حارس الباب يفتح الباب وهو يعظمه كما لو كان احد الضباط .

وكان عدداً من السجناء العاملين فى حوش السجن ينتظرونه يومياً لاخذ المعلوم او ما يجود به الباشا كما كانو يطلقون عليه وكانت ملابس **السيد قطب** تصنع خارج السجن مكانت لديه بدلة من قماش اللينوه الازرق او الزهرى الجميل لانه محكوم عليه بالمؤبد وبدلة اخرى من نفس القماش الفخم بيضاء اللون لزوم المستشفى .

وهو شديد الاعتزاز بنفسه وله شخصية قيادية بارزة له وجه اسمر شوية به اثار جُدرى قديم ويسير خلفه عدداً من تلاميذه ومريدية .

ولقد علمت من بعض السجناء القدماء **ما حدث فى مذبحة الاخوان بسجن طرة سنة ١٩٥٦** وكيف انهم لم يقاوموا سياسة التعذيب بل استكانوا لها مما شجع **جهاز المباحث ومصلحة السجون** على ممارسة هذه السياسة مع **الاخوان والشيوعيين** وغيرهم من اصحاب الرأى طوال **فترة الحكم الناصرى ولو ان الاخوان والشيوعيين** قاوموا سياسة التعذيب مهما كانت التضحيات لتوقف هذا الاسلوب البشع المجرد من أى شعور انسانى

ويظهر ان تعامل **ادارة سجن طره** مع **السيد قطب** هو نوع من **المجاملة** تعويضا عما حدث سنة ١٩٥٦ .



اشرف مجرم واعظم السجناء

توثقت علاقتى **بعصام جريوعة** الذى فرجنى على نظام العمل فى **مستشفى سجن طره** وزرت معه عنبر الغلابة وكان هذه العنبر عبارة عن مقبرة حية كبيرة نظراً لليأس والبؤس الظاهرين على الوجوه وكان افضل موقف **لعصام** مع هؤلاء البؤساء هو حرصه على تسليمهم الوجبات الغذائية كاملة فقد دأب موزعوا **اليمك « اى الطعام »** على سرقة نصفه خاصة الفراخ التى كان يباع الربع منها بخمس سجاير ونجز وكان المرضى من السجناء البؤساء يفضلون السجائر على الفراخ ولكن عصام حرص على ان يأخذ كل واحد حقه فى يده ثم يتصرف فيه بعد ذلك ومات احد المرضى فى عنبر الغلابة فأخذنى عصام أرى كيف تتم عملية تشريح الجثة ويا هول ما رأيت ..

رأيت عصام يشق صدر الرجل بقطعة من الحديد على شكل سكينه طويلة وشاكوش يشبه شاكوش تكسير الزلط فى ابو زعبل وبعد ذلك جاء العسكرى المرض واخرج امعاء الميت فى كيس مخصص لهذا الغرض ثم غسلوا الجثة بالمياه ولفوها فى قطعة من قماش خام اسمه العبك انتظاراً لحضور من يستلم الجثة فى خلال يومين فقط واذا لم يحضر احد لاستلام الجثة يتم دفنه فى مقابر الصدقة ..

كما عرفنى عصام على اشرف مجرم فى تاريخ السجون المصرية فقد حضر فى المساء الضابط فتحى دراز مدير سجن الإيراد ومدير المستشفى وبصحبته رجل فى الاربعين من العمر يرتدى بذلة سجن زرقاء من افخم انواع **التريكولين** وبصحبة هذا الرجل **كلب وولف** من الحجم الكبير من النوع البوليسى من سلالة الكلب هول الشهير ..

وبعد ان سلم الضابط على **عصام بك جريوعة** قال للمسجون الشيك - سوف اترك المفاتيح مع الصول على وانا عائد الى المنزل الآن بعد ان قضينا يوماً شاقاً لكثرة الإيراد .. سلم ومشى **وترك احمد حجازى مع عصام** فى المستشفى **وكانت الساعة الحادية عشرة مساءً قدمنى عصام الى الأخ احمد حجازى قائلاً** :.

- .. واحد بلدياتك يا ابو حميد .. اسمه حسن المناويشى .. نظر الىّ احمد حجازى وقال ..

- انت تقرب للبوبى اخو **المناويشي** بتاع الظاهرية ؟؟ نعم عمى والمناويشى والدى فقال ..

- انا لا **اعرف المناويشي** ولكن **عمك** كان صديقى وسوف احضر لك واحد من حتتكم يمكن أن ترسل معه شئ او تطلب من اهلك شئ .. ثم قال .. **انا من غبريال و اسمى احمد حجازى** وانا على استعداد لتقديم أية خدمة لك **وقدم لى علبة سجاير هليود** وسألنى عما اذا كنت اريد شيئاً ؟؟ .. فعرفته بأن الزيارة ممنوعة عنى لسبب كذا وكذا .. فقال فى الصباح سوف نرى هذا الموضوع ودعنا نتحدث ونتعارف .. ما هى جريمتك .. فقلت له ..

- .. لم ارتكب جريمة .. فقال بتعجب شديد .. ماذا ؟ - لم ارتكب جريمة وحكيت له كل **المشوار منذ زوار الفجر** حتى تاريخه وكان **عصام** يسمع القصه وهو فى شبه ذهول من هول ما جرى لنا فى ابى زعبل **واحمد حجازى** فى غاية التأثر ثم بدأت اسأل بدورى عن قصة دخول **احمد حجازى** السجن **وعن الكلب حفيد هول وعن الضابط فتحى دراز وعن الصول والمفاتيح وعن وعن** .. فأجابنى على هذه الاسئلة ونحن نشرب الشاى الذى لا يملكه **إلا عصام جريوعة** وحده فى هذا المبنى الكبير .. فقال ..

- (عندك استعداد للسهر ؟ فقلت .. للصبح معاك .. فقال .. دخلت السجن بحكم ثلاث سنوات فى قضية تعاطى مخدرات وفى داخل سجن **الحضرة بالأسكندرية** علمت بأن الذى وشى بى وارشد عن المنزل الذى كنا نحشش فيه هو زوجتى بواسطة صديق لها لادخل السجن وتطلب هى الطلاق لتتزوج من صديقها بعد التخلص منى .. ولما جاءنى اعلان الطلاق فى السجن توقعت ان احداً من اسرتى ضايقها فأرسلت للزوجة احد المراسيل من موظفى السجن فعاد وقال لم يضايقها احد وهى ترغب فى الطلاق منك ثم جاءت شقيقتى لزيارتى وعلمت منها بأن زوجتى هى التى ابلغت عنى وانها لا تستحق ان أفكر فيها فقد صارت العلاقة بينها وبين صديقها علانية والناس بدأت تتحدث وان اهل الزوجة يوافقون على الطلاق وبعد مغادرة شقيقى لى اخذت افكر فى كيفية الانتقام من هذه الزوجة الخائنة . وقد كان من الممكن ان تطلب منى الطلاق دون ان تؤذينى ووجدت نفسى على وشك الجنون لرميتى فى السجن وجرح كرامتى ومرمغة شرفى فى الوحل ووجدت ان العقاب الوحيد لها هو القتل جزاءً لها على مرمطة شرفى والوشاية بى وبأصدقائى .. بل اننى قررت قتل الاثنين معاً وكان على ان انتظر اكثر من سنتين لكى اخرج لهما .. واثناء هذه الفترة .. فترة إنتظار يوم الافراج لتنفيذ الإنتقام تقابلت مع رجل متهم بقتل زوجته لأسباب تتعلق

بالميراث لأنها ابنة عمه وحكيت له قصتى وقرارى بقتل الخونة ولكن الرجل حذرنى من ذلك بدرجة ملحة وكاد ان يبكى وقال .. اياك ان تقع فى هذه الخطيئة خطيئة القتل فأنا نادم اشد الندم وسألنى .. هل معك منها اولاد ؟ فقلت لا عال .. اذن طلقها ولا تندم طلقها وانت فى السجن فهذاخيراً لك .. وبعد اخذ ورد وطول تفكير قررت ان أطلقها وقد حدث ذلك بالفعل .. فسألته ما هى حرفتك خارج السجن .. فقال .. (املك محل لاصلاح الكراسى وشماسى البحر .. وقد كتبت هذا المحل لشقيقتى الوحيدة فهى لم تتخلى عنى وكذلك زوجها الذى حرص على زيارتى بشكل منتظم .. وبعد ان عاد اليَّ هدوء نفسى فوافقت على الطلاق قبل ان تصدر المحكمة حكمها فى الدعوة المرفوعة ولكن ظل جرح كرامتى ينغص علىّ منامى .. ولم اجد وسيلة للهروب من التفكير فى جريمة القتل سوى الهروب داخل السجن فحصلت على قطعة من الحشيش وقدمتها للمأمور بقصد محاكمتى مرة اخرى قبل ان تنتهى مدة الحكم الأولى وبالفعل حكم على بخمس سنوات اخرى ثم عملت فى تجارة المخدرات داخل السجن حتى وصلت الاحكام ضدى الى **مائة وخمسين سنة أشغال شاقة** فتم ترحيلى الى **ليمان ابو زعبل سنة ١٩٥٥** وكنت فى منتهى السعادة لأننى سوف اقضى بقية عمرى فى السجن بعيداً عن هذه الحياة التى لا تخلو من خيانة وغش واجرام . وقد وجدت ان الحياة فى داخل السجون هى انظف كثيراً من خارجه فمن يرتكب جرم داخل السجن له عذره .. اما من يرتكب جرم خارج السجن فليس له أى عذر فلو أن زوجتى طلبت الطلاق لكنت طلقتها بالمعروف كما دخلنا بالمعروف .. ثم سألته عن قصه **حفيد الكلب** هول فقال .. سوف اكمل لك باقى القصة ..

(حدث العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ وضمن الغارات المكثفة على **منطقة ابو زعبل وعنابر السكة الحديد ومنطقة السجن وبعض المصانع المنتشرة اصابت** الغارات السجن اصابات بالغة ومن يذكر هذه الأيام يذكر ايضاً انه كانت فى **يوم ١٩٥٦/١٠/٢٩** عندما وقعت احدى القنابل الضخمة على العنابر المغلقة على المساجين فتهدمت بعض العنابر وخرج المساجين وهرب البعض وبقى البعض وكنت من الذين فضلوا البقاء ولم أهرب .. وكان السجن نصفه مهدم وفى حالة فوضى وبدأت اتجول بين الضحايا من الجنود والمساجين وقرب باب السجن الخارجى وجدت ضابط برتبة صاغ مفصولة رأسة عن جسده وبجواره حقيبة يد خشب الخاصة بالصيارفة وادركت انه الصراف الذى حضر ومعه مرتبات موظفى السجن ولكن القدر لم يمكنه وقتل الضابط وبجواره الحقيبة التى كان بها **اكثر من ثلاثين الفاً من**

الجنيهات فأخذت الحقيبة وتوجهت الى اقرب قرية للسجن التى هرع اليها الهاربون قبلى وطلبت من احد الفلاحين ان يقرضنى جلباب من عنده لمدة يومين فقط ولم يتردد الرجل فاعطانى بعض ملابسه وبعض النقود وغادرت القرية فى سيارة متوجهة الى القاهرة وفى صباح اليوم التالى توجهت الى ادارة مصلحة السجون وطلبت مقابلة المدير العام لأسباب هامة وخطيرة وحاولوا فتح الشنطة او معرفة ما بداخلها ولكننى رفضت .. وكان مدير عام مصلحة السجون حاضراً بالفعل فى مقر عمله نظراً لسوء الحاله على مستوى البلد كلها ..

لم يلحظ احداً اننى مسجون فقد كانت ملابسى نظيفة وحرصت على حلاقة ذقنى قبل الذهاب الى المصلحة وتناولت طعام الافطار خارج السجن منذ زمن بعيد . وبعد ان هيأت نفسى تماماً توجهت الى ادارة مصلحة السجون .

ادخلونى الى المدير العام والحقيبة فى يدى وسط حراسة مشددة مسألنى المدير العام .. ماذا تريد فقلت ..

- انا احمد حجازى .. وقصيت عليه ما حدث واننى احضرت النقود الى هنا خوفاً ان يعثر عليها واحد بلا ضمير من البشر مسجون أو غير مسجون وها انذا اسلم لك هذه الحقيبة وسوف اعود الى السجن مرة اخرى وهذا هو اقل واجب وطنى اقدمه لبلدى فى هذه الظروف الصعبة ..

عندما فتح المدير الحقيبة ووجد النقود بنفس النظام التى كانت عليه قبل موت صاحبها طلب احضار كبير الصبارفة بالمصلحة ليعد النقود ومعرفة صاحب العهدة الذى استشهد عند سجن ابو زعبل وامرنى بالجلوس فى نفس المكتب وطلب لى غداء وشاى واعطانى سجاير وامر احد الضباط الكبار باعادتى الى ابو زعبل مع توصية باكرام وفادتى تمهيداً للنظر فى أمرى بعد انقشاع الغمة.

عدت الى السجن معززاً مكرماً وقام الضابط المرافق لى بشرح القصة للمأمور الذى كان مذهولاً مما حدث من تصرفات بعض المساجين فقد تعاون البعض وهرب البعض وكانوا قد حسبونى ضمن الهاربين وامر المأمور بعد سماعه قصتى ان اساعد فى رفع الانقاض والعمل على ازالة آثار الغارة مع فرق الإنقاذ والتطهير كما لو كنت واحداً من موظفى المصلحة وصرفوا لى علبة سجاير يومياً بعد ان رفضت أى مقابل لموقفى الوطنى فى هذه الظروف ..

قلـــت لــــه ..

– لكنك لم تحدثني عن حفيد هول .. فقال لم انته بعد مـن قصـتي – وواصـل حديثه قائلاً ..

– بعد ما يقرب من شهر فوجئت بقرار إفراج عنى بعفو صحى . قلت له

– جميل ان يأت لك هنا الإفراج المشرف بعد حكم صادر ضدك قدره مائه وخمسون سنة . . لقد ولدت من جديد .. ! ؟ قال ..

– لا مش جميل .. ؟ .. كيف يا عم احمد يا حجازى مش جميل ؟! قال ..

– لأننى تذكرت ما ينتظرنى فى الخارج من نظرات تهكم وشماته بسبب طليقتى وخفت من نفسى ان ارتكب جريمة قتل بعد ان قربت انسى الموضوع كله فرفضت الأفراج مما اذهل مدير المصلحة نفسه وتم عرض الأمر على وزير الداخلية الذى أمر بتشكيل لجنة برياسة مدير عام المصلحة للنظر فى أمرى ..

واخذونى الى الادارة بحضور اللجنة وحدث بينى وبينهم الحوار التالى

– (لماذا رفضت العفو الصحى الصادر لصالحك نظير موقفك الوطنى ساعة الغارة على سجن ابو زعبل ... والرئيس نفسه علم بهذا الموقف وبيشكرك بنفسه عليه) .

– شكراً للرئيس وشكراً لكم فقد رفضت وارفض الافراج صحى او غير صحى نظراً لظروف خاصة بى واخشى عند خروجى ان ارتكب جريمة قتل وحكيت لهم القصة واصريت على رأى فى عدم الخروج من السجن .. فقالوا ..

– لابد من مكافأتك ولك ما تريد اذا لم تقبل بالأفراج عنك فوراً فأطلب ماشئت نحققه لك فوراً .. فطلبت منهم الاتى :

قضاء بقية مدة الحكم الصادر ضدى متنقلاً بين السجون التى احبها بحيث اقضى ثلاثة اشهر فى سجن بلدى – الاسكندرية – وثلاثة اشهر فى سجن بورسعيد وثلاثة اشهر فى سجن ابو زعبل وباقى السنه فى سجن طره وان تعطونى كلباً وولف « بوليس » يرافقنى فى تجوالى بحرية داخل كل سجن ..

كانت اللجنة كريمة معى فوافقت على كل طلباتى مع صرف علبة سجاير فى اليوم وها انذا

امامك وانا فى منتهى السعادة بصحبة هول حفيد الكلب هول الحقيقى واخلص واعز صديق لى ويؤانسنى فى سجنى القصير الجميل ..

كانت الساعة تقرب منتصف الليل والصول حامل المفاتيح يغط فى نوم عميق بينما لم تنقطع اكواب الشاى صناعة عصام جريوعة وقال لي احمد حجازى تعال معى اريك غرفة نومى .. هنا خلف هذا العنبر فذهبت معه الى عنبر الأيراد ووجدت زنزانة نظيفة جداً بها سرير وعلى بابها صندوق للسيد هول وبها كرسى وترابيزه وبطاطين نظيفة جداً وجديدة وكوب زجاج كبير به ورد بلدى من حديقه المامور نفسه . ثم رأيت مكتب مدير الإيراد والمستشفى فتحى بك دراز ولم يكن مثل غرفة حجازى . وقبل ان اعود للمستشفى وعدنى بحل مشكلة الزيارة وانه سوف يصحبنى فى جوله داخل السجن وطلب منى ان ارتدى القميص والبنطلون بدلاً من البيجامة وقد كان .

ففي الصباح حوالى الساعة العاشرة وبعد جولة السيد قطب ذهبت معه الى العنابر فى السجن الكبير ليمان طره .. نفس نظام جميع السجون وذهبت الى الورشة وقابلت المرحوم الفنان انور منسى زوج المطربة صباح وابو هويدا وذهبت مع حجازى الى عنبر صناعة وحياكة الملابس وتقابلت مع ابناء حينا في الظاهرية محمد ننا نام وحنفى رزق الخراط ابن المعلم رزق الخراط فتوة باكوس وكنت اعرفهما من قبل وطلبت من محمد ننا نام ان يبلغ اسرتى بأن تحضر لزيارتى فى طره حيث كانت عنده زيارة فى نفس اليوم وبالفعل فى صباح اليوم التالى كانت امى رحمها الله واقفة عند باب السجن ودخلت زيارة باسم احمد حجازى الذى حضر معها حتى سريرى فى عنبر المستشفى وأوصى الصول محمد وقال له .. زى ما قلت يا عم محمد الست دى أمى وتوالت زيارات الأسرة لى كل اسبوع بانتظام حيث كانت أمى تنزل ضيفه على ابنه عمى التى تملك منزلاً فى طره البلد وكان زوجها مدير ورش النجارة ويسكن فى بيتها واحد من الموظفين ولا يبعد السجن عن منزل ابنة عمى سوى بضعة امتار حيث يفصل مترو حلوان بين السجن والمنزل حتى اليوم واغرب بل اظرف زيارة لى كانت لما حضر خصيصاً من ليبيا عميد عائلة دوارة وهو المرحوم نويجى ابو دوارة ومعه أمر من حكومة الملك ادريس السنوسى يطلبى من الحكومة المصرية على اساس اننى ليبى ولبس من حق حكومة مصر اعتقال الليبيين .. ولكننى رفضت فأنا مصرى بالأب والأم والجد ولن افرط فى مصريتى .وتكررت نفس المحاولات حتى بعد خروجى وحتى بعد قيام الثورة الليبية فى الفاتح من سبتمبر سنة ١٩٦٩ .

شفيت تماماً من عملية الدوالى الناجحة بفضل الاستاذ الدكتور **عبد القادر الحسينى** وعدت الى الواحات **بقطار الصعيد** الفخم بديوان مخصوص بالدرجة الأولى حتى مدينة اسيوط **الجميلة** وكان الحرس الخاص بى هذه المرة على مستوى عال جداً مكون من شاويش معى فى الكلابشات و **صول وعسكرى بالسلاح وضابط برتبة صاغ** طيب القلب حنون لم يحرمنى من أى طلب طلبته .

ولأول مرة تكون الرحلة فى الصباح لأرى من نافذة القطار مدن الصعيد الجميلة **بنى سويف والمنيا واسيوط والنيل والنخيل** والناس وقد رأيت بوضوح هذه المرة الطريق **الصحراوى الذى يربط بين اسيوط وكل الواحات حتى سيوة .**

ووصلت الى عنبر رقم ٢ بالواحات لأجد فى انتظارى رحلة اخرى الى سجن اسيوط بعد ان تقدمت بشكوى اكثر من مرة قبيل رحيلى الى طره اشكو فيها رمال فى عيناى الأثنين وبعد يوم تقرر ترحيلى الى سجن اسيوط لازلة اللحمية من العنين وحرُمت من شلة الأنس مرة اخرى حيث **الثقافة والمعرفة والجامعة المجانية** تحت اشراف اعظم وافضل اساتذة لكافة افرع المعرفة والعلوم لاذهب وحيداً الى تجربة ذاتية جديد ونوعية من البشر جديدة ايضاً فى سجن اسيوط العجيب وكانت الرحله الثانية والاخيرة للعلاج ..

لقد تعلمت من احمد حجازى اعظم دروس الوطنية بالرغم من سجنه فى قضية تعاطى مخدرات إلا ان **احمد حجازى هو ضحية ظروف التخلف والجهل والحرمان** من البيئة النظيفة ولقد اثبت الرجل انه لم يفضل البقاء فى السجن يأساً من حياته .. فقد واتته الفرصة ليفر بمبلغ كبير يمثل اجور – **موظفى عموم سجن ليمان ابو زعبل اكثر من ثلاثين الفاً من الجنيهات بسعر سنة ١٩٥٦ أي ما يساوى خمسة ملايين بسعر اليوم** .. ومع ذلك قام الرجل بتسليم المبلغ **لمصلحة السجون وبرأ زمة ضابط شهيد اصبح فى ذمة الله ولم يحاسبه احد على ضياع هذا المبلغ الكبير** ، وكم من سرقات تمت واموال ضاعت اثناء الغارات الإسرائيلية الغاشمة ولكن **احمد حجازى الرجل البسيط الغيور** على شرفه وبلده ادرك بالفطرة ان مصر فى حاجة لكل قرش خاصة فى هذا الظرف العصيب .

ولو كان فعلها احد السياسيين او الشيوعيين لأوعزنا تصرفه بحكم ماله من ثقافة ونضال

ووعى سياسى .. لكن **احمد حجازى** فعلها عن طيب خاطر وشجاعة ابن البلد الشهم ومن هنا كان درس لى فى السلوك الوطنى المجرد من أى شعارات ، ومن ينكش فى التاريخ سوف يجد عشرات بل ملايين **احمد حجازى** .

ويعتبر احمد حجازى اعظم السجناء فى مدة حكمه (١٥٠) مائة وخمسين سنة واشرف مجرم لانه رفض فرصة لاتحدث كثيراً فى تاريخ المساجين .. بل هو اشرف إنسان لأنه ضحية ظروف ليس له دخل فيها مثل الملايين من ضحايا الفقر والجهل والمرض والتخلف وتعلمت منه ايضاً ان الوطنية ليست حكراً على احد بل هى ايمان داخلى يظهر عند الشدائد وعند المحن وبالذات المحن القومية التى يتعرض فيها الوطن للخطر القادم من الخارج .

ولقد قرأنا عن مثل هذا الموقف ابان حرب فيتنام عند حدوث الغارات الأمريكية حيث يأخذ كل موظف ما تحت يده من نقود معه ليعود بها بعد الغارة .. وكانت هذه تعليمات العم هو شى منه لتعليم الشعب معنى الامانة ومعنى الوطنية عندما يحث العدوان من الخارج .



فخري لبيب والموقف الشجاع

كانت الحياة تسير داخل سجن الواحات بشكل روتيني يومي ولا ينقصنا سوى الخروج للحياة الأكبر لولا حضور ضيفان غير مرغوب فيهما هما حسن المصيلحي رئيس مكتب مكافحة الشيوعية في مصر ومساعده احمد صالح وكانت الساعة الحادية عشر يوم ٢٢ فبراير ١٩٦١ فقد توقف العمل في المزرعة في هذا اليوم حتى من باقي مرافق السجن وطلب منا ان نجلس في عنابرنا لأن هناك افراج عن بعض المعتقلين .. وحضر احد الضباط ومعه كشف ينادي منه على اربعة اسماء فقط ثم اربعة أخر بعد قليل . وفي البداية لم يعد احد حتى بلغ العدد ٢٥٤ ومن القليلين الذين عادوا لنا عرفنا ان الموجود هو حسن المصلحي ومساعده أحمد صالح داوود .

جاء الدور على ومعي سليمان القائممقام وبعض الزملاء وكان الدور عليه في الحضور امام حسن المصيلحي لأول وأخر مرة .

كان رجلاً في الخمسين من العمر تقريباً لا هو بالأبيض ولا هو بالأسمر يلبس قميص حرير ابيض وبدلة بيضاء ويدخن كثيراً بينما كان احمد صالح داوود اسمر اللون تقريباً عريض الجسم نسبياً لا يدخن فقال المصيلحة ..

– يا حسن - انا قررت الإفراج عنك من هنا . من سجن الواحات زي ما افرجت حالاً عن زملائك منذ قليل لأن اهلك في اسكندرية حالتهم سيئة تسأل الله وابوك مريض وعاطل وتقدموا لي بعدة شكاوى من اجل الافراج عنك وها انذا سوف افرج عنك حالاً .. ؟!

لم اسمع صوت واحد من الذين سبقوني وهم كثيرين ولم المح أي خيال لأي واحد منهم وتوقعت ان تكون هناك سيارات تأخذ الزملاء المفرج عنهم الى بلادهم .. فقلت بكل صدق للرجل..

– انا شاكر فضلك يا بيه لأنك سوف تفرج عني اليوم .. فقال لي بعد ان قدم لي ورقة بيضاء في حجم ورقة الخطاب ..

– اكتب هنا يا حسن كلمتين فقط ..

– ماذا أكتب ؟

– اكتب ان الشيوعية كفر والحاد وان **الاتحاد السوفيتــى** دولــة استعمارية وان وان فقلت له..

– كيف اكتب هذا والاتحاد **السوفيتى** حول لنا مراكب القمح وهى فى عرض البحر ويعطى **لنا السلاح لنواجة اسرائيل ؟**

فقال لى بشخط وزعل شديد .

– قم من هنا . خلى الصحراء تأكلك يا .. لفظ خارج فأخذنى الضابط إلى طريق مؤدى الى داخل السجن وحجزنى فى مكتب بمفردى . وبعد اقل من خمس دقائق احضر الضابط الزميل **سليمان القائمقام** وهو يضحك فتظهر سنته الخلوعة ..

قلت له – ماذا فعلت معه فقال بلهجة نوبية صرفة – قال لى اكتب إن وقبل ان يكمل قلت له **انا بربرى لا اعرف اكتب ولا اقرأ** .. فقال .. نفس اللفظ الخارج . ثم ضحكنا ونحن نعود الى داخل السجن مرة اخرى .. **فقابلنا الزميل فخرى لبيب** عند مدخل الادارة قائلاً لى ..

– ماذا كان يريد هذا الرجل منك ؟؟ فحكينا له عما تم مع كل واحد فينا .

توجه فخرى لبيب جهة باب الادارة وقال بصوت عال جداً موجهاً كلامة لحسن المصيلحى ما معنـــاه .

(ان احداً لن يستجيب له وهو يحرص الناس على استنكار مبادئهم وان هذا الاسلوب لايخدم **مصر بل يخدم اعداء مصر مثل امريكا واسرائيل وقال فخرى موجهاً كلامه للزملاء انه لن يفرج عن احد انه يضحك عليكم وطلب من الجميع ان لا يذهب احداً الى حسن المصيلحى .**

ولقد سمع الرجل بنفسه كل هذا الكلام فقام على الفور وركب سيارة المباحث المنتظرة خارج السجن ليعود الى مدينة الخارجية ويركب الطائرة التى كانت فى انتظاره ليمر بها من فوق السجـــن .

وكانت السيارات قد حملت الزملاء الذين تجاوب بعضهم مع المصيلحى الى معتقل الفيوم لينتظروا موعد الافراج الحقيقى الذى بدأ قبيل خروجنا بعده اشهر قليلة ويومها قال عبد الملك يواقيم خليل عن بعض الزملاء .

(كتبوا عربى) وقال معين بسيسو (اركع للورقة)

لقد سبق لفخرى لبيب ان تصدى لأسماعيل همت من قبل كما تصدى لهذا الرجل وهذه المواقف ان دلت على شئ فإنما تدل على شجاعة وبطولة لهذا الزميل . ومن هذه المواقف نكتشف ان القائمين على التعذيب اجبن ما يكونوا عند مواجهة أى موقف .. وقد سبق أن وقف فى وجه همت الزميل عبد الخالق الشهاوى عندما تقدم وأخذ الزميل زكى عثمان من امامه وهو ضرير ، ولم ينطق همت .. كما تقدم من همت الزميل حمزة البسيونى فى اليوم نفسه وقال لهمت (ماذا استفدت من ضرب وتعذيب الناس؟؟ .. فقال له همت الآتى :

– انا عندما ادخل منزلى جميع اولادى يقفون ووجهم الى الحائط حتى اصرفهم ؟؟ ولم يفعل همت مع حمزة أى شئ ؟؟ ومعنى هذا ان الحديث والمقاومة مع هؤلاء الجلادين كانت سوف توقف أى مهزلة وعندما شعر همت يخوفنا منه فى حفلة الاستقبال بالأوردى تمادى فى تعذيبنا وكأن من قبلنا زعماء الحزب الذين سبقونا الى الاوردى بعدة أيام ولم يقاموا هم أيضاً .

لقد اثبتت هذه الاحداث ان الحبسة لم تخل من روح المقاومة سواء فى الفيوم او فى الأوردى أو فــى المحاريق او فــى السجن الحربى فقد تعرض النقابى محمد زرد للحرق بواسطة مرآه مفلطحة ومثل محمد مختار جمعة وأخرين ....

ويدل هذا على اننا لم نخلُ من تقديم ضحايا مثل هؤلاء الشهداء .

الأســـــــــم	المعتقـل	الســـنه	البلـــد
أحمد البكار	الفيوم	١٩٥٩	أسكندرية
فريد حــداد	ابو زعبل	١٩٥٩	شبرا
شهدى عطية الشافعى	ابو زعبل	١٩٦٠	القاهرة
رشــدى خليل	ابو زعبل	١٩٦٠	شبرا
على الديـــب	ابو زعبل	١٩٦٠	القاهرة
لويس اسحاق	الواحات	١٩٦٤	المنيا
عبد القادر مفتاح	الفيـوم	١٩٦٢	القاهرة

ومن ضمن الذين قابلتهم فى سجن الواحات من المساجين العاديين **ثلاثة من الاسكندرية** صدرت ضدهم احكام فى قضايا مخدرات .. **وهم عبده أمين ، محمد الورداني وعلى سيجارة** .. هكذا اسمه وهو زوج **شقيقة مطربة مشهورة فى الاسكندرية** .. وكنت اعرف منهم **عبده أمين** قبل الاعتقال فهو من حينا - **حى الرمل** - وكانت ادارة السجن حريصة على ارسال مساجين عاديين **لخدمة الشيوعيين** حتى لا يختلطوا بالعاملين فى مرافق السجن حسب ما هو متبع فى كل السجون وعندما حضرنا الى سجن الواحات كانوا هؤلاء الثلاثة فى خدمتنا وكم كانت سعادة **عبده أمين** عندما وجدنى وزملائى فى سجن الواحات أخذ يتباهى بنا **خاصة ابناء الاسكندرية** وبمجرد ان يتم فتح العنابر يحضر الثلاثة الى عنبرنا لخدمتنا ولكننا كنا لا نحتاج لخدمتهم ولكن تظاهرنا بأننا فى حاجة لهم حتى لا يحبسون فى عنبر الاخوان .. وفى بعض الحالات كنا نستفيد منهم فى الحصول على زجاجة جاز **من عنبر ٣** وهو عنبر الاخوان المسلمين عندما يحاصرنا **ابراهيم امام المورد الوحيد للوقود قبل التشكيل العصابى الذى كان زعيمه السيد جزجا وابراهيم ابو حديد وحسن المناويشى وحلمى عبد المجيد** وبعد ان تعرف **عبده امين** على اسباب اعتقالنا اعلن انه تاب عن تجارة المخدرات وذلك بعد مناقشة طويلة مع الزملاء فهم من خلالها ان المخدرات تأتى لنا من الخارج بهدف تحويل الشباب المصرى و العربى الى شباب مدمن وضايع وان الاستعمار والصهيونية العالمية هم المصدرون لنا هذه السموم قرر هو وزميليه ان يتوبوا عن تجارة المخدرات وبالفعل تابوا وخرجوا من السجن بافكار جديدة وروح جديدة ونظرة جديدة الى الشعب المصرى والى المجتمع وقرر **عبده أمين** ان يكون سياسياً ومنا ضلاً من اجل حياة افضل له ولبلده وبدأ **عبده امين** يحضر مدرسة محو الامية التى اقامها بعض الزملاء ولكنه كان يفضل حضور الندوات والمحاضرات التى كانت تتم وكثير ما احضر لنا الجرائد وقدمها **لوكالة واس** ولقد استطاع عبده امين ان يساعدنا فى كسر مخزن الدقيق واللبن البودرة الوارد من امريكا تبع مساعدات النقطة الرابعة التى ورثها صندوق النقد الدولى وبعد ان تعلم **عبده امين** بعض السياسة امتنع عن مساعدتنا بحجة انه سياسى ولا يجب ان يسرق من مخازن السجن لانه مفكر وصاحب منهج **ماركسى** فى التفكير ومازال حتى اليوم يناقش الناس فى المقاهى والشوارع من اجل اقناعهم بالأشتراكية ولكن على طريقته هو . وبما انه يجهل القراءة والكتابة ولم تفلح محاولات البعض معه فى محو أميته فقد ظل يردد ما سمعه من الشيوعيين **فى سجن الواحات منذ سنة ١٩٦٠** حتى يومنا هذا .. فقد قابلنى بالصدفة وكانت معى زوجتى واصر ان يناقشنى فى الشارع واخذ يتحدث عن الاتحاد

السوفييتي وانتصاراته ضد **الامريكان** .. وبعد ان فرغ من حديثه الحماسي .. **قلت له بأن الاتحاد السوفييتي** تفكك **وانتهى وحدث انهيار عظيم للمعسكر الاشتراكى فى دول شرق أوربا** لم يصدق ذلك وكاد ان يتهمنى **بالتحريفية** ولما علم ان **نهرو وشوأن لاى وتيتو ماتوا واخبرته باننا عام ١٩٩٤ ولسنا فى عام ١٩٦٠** قال دى انا عارفها كويس .

المهم ان عبده أمين يتجر الأن فى اللبان البلدى وهو يعتقد بأنه منافس خطير لشركة **سمارة** برغم ان كل امكاناته عبارة عن شنطة ٤٠ × ٤٠ سم بها كل منتجاته من اللبان البلدى يمر بها على **القهاوى وبعض الشواطئ** فى فصل الصيف وتاب توبة نصوحه عن تجارة المخدرات.

ولما سألته عن زميليه قال ..

– **محمد الوردانى** خرج من السجن واشتغل عربجى كارو ثم اشترى سيارة نصف نقل وهو الآن من كبار المعلمين وتاب تماماً عن تجارة الصنف .

اما على **سيجارة** فقد توفى الى رحمة الله بعد خروجه من السجن بفترة بعد ان فتح محل بقالة فى حى بحرى ومن ضمن سجناء الجريمة فى سجن الواحات **الشاب الصعيدى الظريف** ممتاز **عبد العال** الذى حكم عليه بالسجن ١٥ سنة **لأنه** قتل صديقه **ونيس فهمى** بسبب ان **ونيس** اخبر والد ممتاز بأن ممتاز تعلم التدخين .. ولما عرفت منه هذا السبب البسيط طلبت منه ان يحكى لى القصه من اولها فقال كان **ونيس فهمى صديقى الصدوق** وكنا نذهب **لمولد سيدي عبد الرحيم** معاً وكنت اشترى علبة سجاير **كوتاريللى** بقرش صاغ بها عشر سجاير ندخنها فى المولد ثم نعود معاً الى قريتنا .. وفى يوم فتشنى والدى ووجد معى سجاير فى جيب القفطان فضربنى بالكف على وجهى رحرمنى من المصروف وهو قرش صاغ فى اليوم وهذا القرش صاغ هو اجرى عن عملى فى الارض مع **والدى** ..

ولما تدخلت والدتى فى الموضوع وهى تدافع عنى قائلة لوالدى .

– من مين عرفت ان ولدك بيدخن ؟

– من **صاحبه ونيس فهمى** بعد ان اخبرنى بانهما يدخنان فى المولد .. !

– وماذا فى ذلك ؟؟ ما انت كمان تدخن ؟ أيش عجب ولدى ؟

– انا رجل البيت وكبير !

– ولو .. ما هو كمان رجل وبكره يكون عنده بيت واولاد زيك تمام .. ؟!

لقد سمع **ممتاز** هذا الحوار بين والديه وكاد هذا الحوار ان ينتهى بضرب **الوالد للوالدة** وقد اصرها **ممتاز** فى نفسه وقرر ان ينتقم من صديقه الذى وشى به عند والده وتسبب فى كل هذا النكد للأسره كلها ..

قلت لممتاز ولكن هذا سبب ضعيف، لا يستوجب قتل صديق وسوف يحاسبك ربنا على هذه الجريمة فقال ..

– لا ان ربنا قال فى كتابه العزيز

(الفتنة اشد من القتل) صدق الله العظيم . ثم واصل حديثه قائلاً ...

ان جريمتى وهى القتل اخف من جريمة ونيس وهى الفتنة .

قلت له

– ألست نادماً ؟ قال

– لا

وكنت اعتقد بأن **ممتاز** ضحية **الجهل** الذى سوف يزول مع انتشار التعليم المجانى بالذات فى وجه بحرى وكذا الريف المصرى ولكن خاب عشمى فقد زادت نسبة الأمية عن ذى قبل لا فى الريف فقط بل وفى المدينة ايضاً ومما يؤكد هذا انتشار الارهاب فى وجه **قبلى وبالذات فى المناطق الفقيرة خاصة فى قرى الصعيد الجوانى ومن يبحث** فى جذور الإرهاب سوف يجد ان السبب الأول والمهم هو التدهور الاقتصادى على مستوى مصر كلها .. فقد انخفضت الاجور بنسبة لا توائم ارتفاع الأسعار .. ويظهر ان نظرية **كارل ماركس** مازالت صحيحة وسوف نظل صحيحة الى مالا نهايـة . **(ان الاقتصاد محرك التاريخ) ..**

وعندما بتتحسن الحالة الاقتصادية من خلال زيادة الانتاج والحد من الواردات والبعد عن سياسة القروض وتصنيع الريف ورفع المعاناة عن الكادحين وازالة الخوف من بكره وايجاد شقه لكل شاب وعمل للجميع ساعتها فقط يستعيد الشعب قيمة التى ضاعت مع سياسة الانفتاح والتطبيع الاجبارى حسب النظام العالمى الجديد .

الرحلة العلاجية الثانية الى سجن اسيوط

وقاتل مأجور

كانت الحراسة المصاحبة لى أثناء ترحيلى الى سجن اسيوط مكونة من حوالى اربعة عساكر وركبنا الأتوبيس من امام السجن متجهين الى اسيوط واجلسنى الصول بجوار النافذة حتى يمكن السيطرة على اذا حاولت او فكرت فى الهرب وكانت جلستى بجوار النافذة فرصة اتاحت لى الفرجة على الطريق الجديد الذى رحم الناس من عزاب القطار الصغير ونظراً لنظافة وحداثة الطريق فقد قطع المسافة من المحاريق الى اسيوط فى ثــلاث ساعات بدلاً من اثنا عشره ساعة بالقطار البطيئ .

ولقد لاحظت نفس مالاحظته اثناء سير السيارة .. هياكل عظمية لبشر وحيوانات من مئات السنين على جانبى الطريق وفى نهاية المشوار وجدنا سيارة بوكس فى انتظارنا اقلتنا الى سجن اسيوط . وهو نفس نظام السجون من حيث المبانى والتصميمات والخلاف الوحيد من سجن الى سجن أخر هو نوعية الادارة وحسب ظروف البيئة والمستوى العام للجريمة ففى سجن اسيوط اغلب الاحكام فى قضايا قتل او الشروع فى قتل مع قليل من قضايا المخدرات وكثير من المعارك بين كبار عائلات اهل الصعيد . وبخلاف سجن مثل الاسكندرية الذى يغلب على طابعه قضايا المخدرات والتزوير والنفقة والخناقات على الميراث وغيره من مثل قضايا المدينة .

كان فى استقبالى **شاويش اسمه محمود سعيد** له خبرة سابقة فى معاملة السياسيين فقال للضابـط ..

– هذا المسجون لابس ملكى كيف وماذا يأكل ؟ ! فقال الضابط .

– يأكل سجنى لأنه معتقل على ذمة المباحث العامة ..كانت تعليمات المباحث ان يكون المعتقل او المسجون الشيوعى فى عزلة تامة عن باقى المساجين وبذلك وضعونى فى زنزانة بالدور الأول علوى فقد كنت الوحيد فى هذا السجن صرفوا الى اليمك فى هذا اليوم ثلاثة ارغفة وقطعة من الجبن الذى يشبه الحجر الجيرى وكنت فى منتهى السعادة فقد حل بى الجوع بعدرحلة طويلة بـدون طعام .

كان الغرض من حضورى الى سجن اسيوط هو العلاج من مرض اللحمية فى العينين

الاثنين من جراء العمل فى ابو زعبل وتطاير الزعبلينه وهى بودرة ناعمة من مخلفات ثقب الحجر ولكنها سامه حسب **كلام عابد** وبعد ان تم عرضى على **الدكتور ألفونس** قرر ان اذهب الى مستشفى رمد اسيوط ولم يأت موافقة المباحث إلا بعد عدة اشهر من موافقة طبيب السجن .

كنت الوحيد الذى يسكن الزنزانة رقم ٢٠ فى الصيف المقابل لزنازين المحكوم عليهم بالاعدام وكان يوجد اثنين من المحكوم عليهما بالاعدام .. شاب سنة عشرين سنة اسمه **محمد خلف** ورجل فى الاربعين من العمر اسمه **ابو ضيف سالم عيسى** وكان ممنوع التحدث مع المحكوم باعدامهما وكذلك ممنوع التحدث مع الشيوعيين اذا وجدوا فى سجن من السجون .. **وكان محمود سعيد** يعرف هذه التعليمات جيداً . وبدأت المتاعب من **ابو ضيف** بالنسبة **لمحمود سعيد** . وكان نظام المحكوم عليهم بالاعدام يتمثل فى الاتى .

ان يتم وضع كلبش فى يد واحدة للمحكوم عليه وفردة الكبش الاخرى مربوطة فى يد الحارس الذى يقف امام باب المحكوم عليه لمدة اربعة وعشرون ساعة متواصلة ويربط بين الكلبشين سلسلة حديد لامعة بطول ثلاثة امتار وعند النوم يتم فك الحديد من يد المحكوم عليه حتى الصباح ودائماً يحمل الحارس المنوط بحراسة المحكوم عليه المفتاح معه تحسباً لمحاولة انتحار او هرب ولا يستطيع الحارس تحويل نظرة عن المحكوم عليه ولو لمدة دقيقة وخدمة الحراسة لواحد منتظر الاعدام هى خدمة شاقة جداً ونظراً لصعوبة هذه الخدمة فهى دورية وبالتناوب على كل الجنود والشاويشة وبدأت مطالب **ابو ضيف** الصعبة - فقد سأل **محمود سعيد** عنى فقال له اننى سأسى وممنوع الحديث معى حسب تعليمات المباحث وكان ابو ضيف فى حالة شك من ناحيتى بسبب اهتمام المأمور وضباط السجن بوجودى فقد حضر المأمور بنفسه لمعاينة زنزانتى رقم ٢٠ عشرين ثم انصرف ومعه الضابط المسئول عن السجن ويسمى **الوكيل** .

وبسبب اهتمام ابو ضيف بوجودى انه اعتقد اننى اخطر منه على الحكومة والناس يعنى اجدع منه فأراد يعرف الحقيقة بنفسيه منى شخصياً فطلب من **محمود سعيد** ان يتكلم معنى ولكن الشاويش رفض طلبه . وفى اليوم التالى قرر **ابو ضيف** ان يضرب عن الطعام حتى يحضر المأمور بنفسه ولم تجدى معه محاولة **الدكتور ألفونس** ولا وكيل السجن واخيراً **حضر المأمور لمعى المطيعى** الى زنزانة **ابو ضيف** ثم سأله عن سبب امتناعه عن الأكل فقال له **ابو ضيف** ان السبب هو عدم السماح له بالتحدث معى لمعرفة اسباب سجنى وقد حاول

المأمور ان يقنع ابو ضيف بأن هذا مخالف لتعليمات المباحث دون جدوى واصر على طلبه وإلا لن يأكل . ؟!

تدخل وكيل السجن وقال للمأمور اترك لى الموضوع وانا اتصرف وبعد ان انصرف المأمور قال الوكيل لمحمود سعيد بأن يأخر عملية غلق زنزانتى بعد استلام اليمك فى المساء وان يأخذنى الى ابو ضيف على ان يتم الحوار فى وجود محمود سعيد وان تكون زنزانة ابو ضيف مغلقة تماماً.

وبعد استلام طعام العشاء اخذنى محمود سعيد لمقابلة ابو ضيف الذى احتج على غلق باب الزنزانة فهو يريد ان يعمل معى الواجب أى السجاير واخير فتح له الباب محمود سعيد وهو فى غاية القلق وحدث تعارف بينى وبين ابو ضيف الذى لم يفهم معنى كلمة شيوعى او سياسى وكل ما فهمه منى اننى معارض للحكومة . يعنى ضد الحكومة . وما دام ضد الحكومة ابقى رجل جدع واثناء الحديث سألنى ..

– ماقتلتش احداً فى حياتك .. ؟!

– لا واقتل بسبب ايه .. ؟

– طب انا قتلت ٣٦ ستة وثلاثين رجلاً .. !! ذهلت من ضخامة العدد فكرر الرقم مرة أخرى فقلت له ..

– من اجل هذا اخذت اعدام ؟! .. قال ابداً ليس من اجلهم بل من اجل كلب واحد هو الذى جلب على حكم الاعدام ؟! قلت

– كيف ؟ قال

أنا قاتل مأجور لمن يدفع وان هذا هو عملى الذى اتعيش منه ونظراً لعدم ثبوت الأدلة ضدى فقد حكُم على فى احدى القضايا بعشر سنوات اشغال شاقة فى ليمان ابو زعبل ولما انضرب السجن بالقنابل سنة ١٩٥٦ هربت مع من هرب من المساجين وعدت الى بلدى فى البدارى تبع اسيوط وسكنت الجبل مع المطاريد وكنت من حين لأخر ازور اولادى فى الليل وكانت الحكومة تبحث عن الهاربين من السجن وحضر الضابط ومعه شيخ البلد وسأل مرتى – زوجته – عنى فقالت له

انها لا تعرف عنى شيئاً فشاور شيخ البلد على بطن زوجتى وكانت حاملاً وقال لها ..

اذا كان **ابوضيف** غير موجود هنا فمن هو صاحب هذا الطفل واشار الى بطن الزوجة بيده اليمنى فتوارت الزوجة خجلاً من الموقف ثم ارسلت فى طلب **ابو ضيف** الذى عاد ووجدها تبكى وتطلبت منه ان يعيدها الى اهلها بعد ان سبب لها هذه **الفضيحة** وحكت له ما كان من **شيخ البلد** .. فسألها ..

– شاور كيف فقالت له بيده تركها وتوجه الى منزل **شيخ البلد** فى ساعة متأخرة من الليل وطرق الباب ولما سأل **شيخ البلد** عن الطارق قال له ..

– افتح يا **شيخ البلد** انا جاى اسلم نفسى علشان اتوب وفرح الرجل وصدقه وقام بفتح الباب **فطعنه ابو ضيف طعنة قاتلة** ثم يقطع ذراعيه ويحملهما معه عائداً الى زوجته ثم القى امامها ذراعا القتيل وقال لها ..

– أى ذراع التى شارو بها على بطنك ؟

ولسوء حظه تمكن الضابط من القبض عليه بعد ان استغاث اهل القتيل فى نفس الليلة ولما **قدم للمحاكمة حكمت المحكمة عليه بالاعدام شنقاً** ثم قدم نقض وهو الأن فى انتظار رأى محكمة **النقض وكان له** عشم **ابليس** فى الجنة فقد تم التصديق على الحكم عليه وانا مازلت فى سجن اسيوط وفى نفس اليوم قبل النقض بالنسبة للشاب الأخر الذى قتل رجلاً لانه صفع عمه امامه فلم يتمالك نفسه فدخل المنزل واحضر سكيناً وقتل الذى ضرب عمه وقد حدث لهذا الشاب ما يشبه الذهول وكاد ان يفقد عقله من شدة الفرحة ..

وكانت الساعة السادسة صباحاً عندما تم سحب **ابو ضيف** الى المشنقة ومن غرائب الصدف بأننى رأيت المشنقة اثناء ذهابى مع **محمود سعيد** الى الحلاق فقد مررنا على غرفة فى أخر حوش السجن فوجدنا **عشماوى** يقوم بتشحيم المشنقه ودهان نصف الحائط باللون الاسود فقال له **محمود سعيد** مداعباً ..

– ايه يا حضرة الصول . عندك شغل جديد ولا ايه ؟؟

فرد عليه عشماوى قائلاً ..

– ابداً عمل روتينى لا اكثر ..

وانتهت اسطورة ابو ضيف سالم عيسى سفاح البدارى .

ترددت على مستشفى الرمد فى اسيوط عدة مرات وذات يوم وجدت مجموعة من الزملاء حضروا تباعاً الى سجن اسيوط منهم على الشوباشى وسامى خشبة وزكى عثمان ومحمود ماجد ومهدى الحسينى وفؤاد عبد الحليم وكان كل ثلاثة فى زنزانة طولها ٢ × ١ متر وكان لابد من ان نفترق ولم يحصل ان تجمع مثل هذه الاعداد فى زنازين ضيقة فطلبت من المأمور بعد إذن الزملاء ان اعيش فى زنزانة بمفردى نظراً لطول قدماى فوافق المأمور وذات صباح حضر لتفتيش مفاجئ وطلب منى الخروج بره الزنزانة ودخل بنفسه يفتش عن أى ممنوعات مثل الأمواس والدخان الفرط ولم يجد شيئاً ولكنه وجد زجاجة ماء كولونيا الشبراويشى فارغة وبها قليل من الورد على شكل زهرية وارضية الزنزانة مغسولة ونظيفة جداً وجردل البول مغسول وجاف ويوجد غطاء على جردل الشرب فسألنى ..

– كيف حصلت على هذه الأشياء ؟ فسألت بدورى ..

– فيه حاجة ممنوعة فقال

– مش خطرة ولكن اعرف فقط فقلت وانا اكذب ..

– حصلت على زجاجة الكولونيا من حوش السجن بجوار غرفة الحلاقة وطلبت من الجناينى بعض الزهور فرفض غفلته واخذت الزهور لاننى احب لون الزهور .. اما النظافة هذه فهى مجهود ذاتى يوجد حيث اسكن بمفردى ولا يشاركنى احد فقال لمحمود سعيد خذ هذه الزجاجة برة فقلت لـــه .

– كنت اتعشم ان تجيب طلبى وان تسمح لى باخذ بعض الكتب من المكتبة وان تترك مزهرية الورد فهى التى تجعل وجودى منفرداً أمر محتمل .

فوافق المأمور الطيب على كل ما طلبته فقد كان لمعى المطيعى مأمور السجن شخصية مستقلة ولها احترامها وهو من ابناء محافظة اسيوط ومن بلدة مطيعة ومن اسرة معروفة وكانت ايام سجن اسيوط من أجمل ايام السجن عموماً وخلال تواجدى بسجن اسيوط قرأت كل المكتبة تقريباً وبها اورع الكتب والمجلدات وكان لهذه الفترة اطيب الاثر فى نفسى ثم رحل الزملاء وعدت مرة اخرى بمفردى واحرمت من حديث . ابو ضيف عن القتل وكان رحمه الله قد طلب منى ان اجهز له مكان فى الاسكندرية بعد الإفراج عنه ليبدأ حياة جديدة مع زوجته واولاده . ومن ايام اسيوط التى لن انســاهـــا :

لفتة كريمة من سيدة مصرية

صعيدية شجاعة لدرجة غير عادية فقد دأب المخبرون على تطفيش الناس من حوش المستشفى عند حضورى وفى هذا اليوم كان حوش المستشفى مزدحم بالزوار من اهالى المرضى ولفت نظر الناس أن كل هذه الزيطة من اجل فرد واحد فى يدية الحديد يرتدى بدلة مكرمشة بحكم الركنة وفجأة تقدمت سيدة منى وهى ترتدى ملس حرير يشبه الملس الفلاحى فى وجه بحرى وسألتنى بلهجة صعيدية صرفة ..

– تهمتك ايه ؟ وهنا تقدم منها أحد المخبرين وهو يحاول ضربها بالخيرزانه ويقول .

– بعدى عنه يامره فوقفت امامه بتحد صارم وقالت له وهى تمسك من يده العصى

– اخرس قطع لسانك والله ان لميت روحك لتكون اسود ليلة فى حياتك يا ابن ، ذهل المخبرون من جرأة السيدة وقال احد الواقفين بعد عنها يا واد .. ثم تقدم مخبر أخر وحاول منع السيدة بشكل لطيف ولكنها قالت لهم بعد ان تجمع عدداً من الناس حولنا ..

– لازم اعرف تهمته ايه ؟؟ فقلت لهم حسماً للموقف

– .. انا سياسى معارض للحكومة وجاى هنا للعلاج وانا شاكر لك موقفك الشجا ع فسألتنى عن بلدى ومدة الحكم وفى أى سجن فأجبت على كل الأسئلة واخيراً وهى تنصرف قالت لى بكل جـديـة ..

– عاوز سجاير شكراً معى عاوز تاكل .. ؟ شكراً جزيلاً ، كانت هذه أخر مرة اخرج فيها الى مستشفى الرمد وفى صباح اليوم التالى تم اغتيال **الرئيس كيندى** وحدث تحركات سريعة لمباحث اسيوط ثم رحلتنى الى سجن المحاريق بعد ذلك بقليل لاعود الى جامعتى المفتوحة .



الكيان الفلسطينى ملحمة مستمرة

الشعب الفلسطينى .. هو الشعب العربى الوحيد الذى كتب عليه ان يناضل من خارج ارضه بعد ان تم طرده من البلاد العربية الشقيقة حتى لايسبب حرجاً لبعض النظم خاصة نظم الطوق ولقد تعرضت قيادة هذا الشعب الى عمليات تصفية مستمرة من بعض النظم ويشهد على ذلك مذبحة **أيلول الاسود وتل الزعتر** والإصرار على خروجة من **لبنان** حتى استقرت القيادة فى **تونس** .. وفى تونس ايضاً تم تصفية **ابو جهاد** نفسه وهو زعيم الجناح العسكرى للفدائيين ولم تكن مطاردة هذا الشعب الاسطورى البطل بعيداً عن رغبة **اسرائيل وامريكا** . ولقد فاقت اسطورة هذا الشعب الصابر اسطورة شعب **ڤيتنام** . فقد كان شعب ڤيتنام يناضل من ارض ڤيتنامية اما الشعب الفلسطينى حرم من هذه الميزة التى تضمن نسبة ٥٠٪ لتحقيق بعض التقدم خاصة بعد أن ضاعت **غزة فى هزيمة سنة ١٩٦٧** حيث كانت غزة تحت السيارة المصرية وتطبق عليما نفس القوانين التى تطبق على الشعب المصرى فلما صدرت الأوامر باعتقال اعضاء الا حزاب والتنظيمات الشيوعية فى **مصر طُبقت** نفس الأوامر على اعضاء الحزب الشيوعى الفلسطينى ؟

واصبح الكيان الفلسطينى ضيفاً على الحكومة المصرية فى سجن المحاريق بالواحات الخارجة . ومن ابرز الشخصيات الفلسطينية التى تقابلت معها ومع حفظ الالقاب للجميع الشاعر معين **بسيسو وعطية مقداد والديب الهربيطى وعبد القادر يس وهم من قيادات الحزب الشيوعى الفلسطينى** وكان لهم نفس موقف الحزب الكبير داخل السجن مع احتفاظهم باستقلالهم عن باقى التنظيمات الأخرى .

ولقد كان معين بسيسو يكشف لنا عن صدره الذى يوجد به آثار اصابات حدثت له **برصاص** العصابات الصهيونية اثناء الحرب داخل **فلسطين** فى الاربعينات ولقد **أيد الزملاء الفلسطينيون** مطالب الاضراب ولم يدخلوا فيه . وعند ما تم فك الاضراب ساعدوا الزملاء على اجتياز مرحلة النقاهـــة .

وكانوا قبل الاعتقال يشغلون اهم المناصب فى **قطاع غزة** وكلهم على درجة عالية من الثقافة والمعرفة وكان الزملاء على علاقة طيبة بجميع **الشيوعيين** مما اكسبهم احترام الجميع .

وعندما حضر حسن المصيلحى واحمد صالح راوود الى سجن الواحات فى

شهر فبراير سنة ١٩٦١ لأغراء بعض الذين ضعفوا باستنكار مبادئهم واستجاب له البعض .. كتب معين **بسيسو** أروع قصائدة التى يقول فى مطلعهما ..

(اركع للورقة واغرز قلمك فى عينى طفلك) .

وكان **عبد القادر يس** . فلسطينى الجنسية مصرى المزاج وكان **عطية مقداد** خبيراً باساليب العمل السياسى والتنظيمى ويؤسفنى اننى لم اذكر باقى اسماء الكيان الذين كان لى شرف التعرف عليهم فى السجن وكانت فرصة لاتعوض حين التقيت بهم وتعاملت معهم ليضيفوا التى كما اضاف لى غيرهم من المناضلين الشرفاء كثيراً من المعرفه والثقافة .

وعندما يكتب **تاريخ كفاح الشعب الفلسطينى** بعد الانتصار على الصهيونيه سوف يعرف البشر قدر وعظمة هذا الشعب العظيم بصرف النظر عما يحدث الأن من تكتيكات ومساومات فأن المعركة الفاصلة قادمة لاريب فيها سواء من جانب ابناء العم أو من جانب الشعوب العربية .



الهـروب الصغيـر

اصبحت لنا سيطرة شبه كاملة على سجن المحاريق بالواحات الخارجة بعد نجاح الاضراب عن الطعام الذى قاده الحزب الكبير وبعد تقرير مندوب الرئيس الذى حضر مع سمير ناجى للتحقيق فى اسباب الأضراب وكان تقريره فى صالح الشيوعيين وبعد ذلك تغير المأمور نفسه وكذلك الضباط الى الاحسن وبعد أن تبينت إدارة السجن ان هؤلاء النزلاء لهم شأن خاص مع الدولة وليسوا من السجناء العاديين وكنا نذهب الى مزرعة السجن بدون حراسة تقريباً ولنا فى جميع مرافق السجن زملاء فرن مطبخ مغسلة مزرعة ذلك بالاضافة الى النشاط الثقافى والفنى والفكرى الذى بدأ يجذب بعض الضباط والجنود حتى بعض المساجين العاديين الذين هم فى خدمة المعتقلين والمسجونين الشيوعيين وايضاً بسبب النشاط الرياضى مثل كرة القدم والسلة ورفع الأثقال الخ ..

وكان الجو السياسى العام خارج السجن بدأ فى التحسن بعض الشئ فتحسنت سياسة الرئيس بالمعسكر الاشتراكى خاصة الحديث عن قرب تحويل مجرى السعد او مجرى النيل بعد اتمام بناء السد العظيم وانحازت سياسة الحكومة الى الفئات الشعبية بعد حركة الانفصال السورى عن مصر وبيان ٣٠ مارس ومؤتمر القوى الشعبية وقرارات يوليو وكانت عمليات افراج محدودة قد بدأت بالفعل وساد اعتقاد بأن مسألة الافراج اصبحت مسألة وقت .

وفى وسط هذا الجو المفعم بالأمل فى افراج قريب حدث ان هرب زميلان ولم يعرف احداً بهذا الهروب الصغير إلا عندما قام الزملاء بعملية التتميم الروتينية اليومية فتبين ان العدد ناقص اثنين ولكن غير معروفين وكان لابد من اخطار الضابط المسئول عن التمام بأن العدد مضبوط تم تم غلق الباب الرئيسى للسجن وبالفعل تم ابلاغ الضابط بأن العدد تمام وبعد انصراف الضابط بدأ الزملاء عملية التمام من جديد ولكن بالإسم هذه المرة ... وقبل الساعة التاسعة اكتشف الزملاء ان الدكتور ابراهيم ارنست هرارى والزميل محمد عويضة هما الهاربان وكانت الشبهات قد حامت فى اول الأمر حولى وحول عادل حسونه وذلك بسبب تعاملنا مع عساكر الجنزير ولكن بعد اكتشاف الزميلين اطمئن الزملاء وكان خبر الهروب الذى تسرب الى الفرف بشكل شبه سرى دون ذكر الاسماء اعتقدنا جميعاً بأن الهاربيين هما الدكتور فؤاد مرسى وابو يوسف نظراً لوضعهما القيادى داخل وخارج مصر ولكن فى اليوم التالى خرجنا

الى المزرعة بشكل عادى جداً وعرف الجميع بأن هوارى وعويضة هما الهاربان وبدأت عمليات النقاش فى المزرعة بشكل حساس جداً عن كيفية تبليغ الإدارة عن الهاربين على مستوى كل الزملاء واستمرت المناقشات لليوم الثالث على التوالى . ! وكان القرار فى النهاية هو عدم اخطار الإدارة بعملية الهروب حتى يتمكن الزميلان من قطع مسافة كافية تسمح لهما بالافلات من الوقوع فى ايدى المباحث العامة ودفاعاً عن الزميلين ظهرت مقولة لماركس مفادها الآتى :-

(حيثما يوجد السجن توجد فكرة الهرب) وبذلك يجب ان نعطى للزميلين الفرصة .

ولقد قيل الكثير فى موضوع هذا الهروب خاصة ان هوارى قد ارسل برقية الى السجن لمن يهمه الأمر يفهم منه انه وصل الأسكندرية واستقل الباخرة الى بلاد النور والبنور .. فرنسا ..

هذا ما قيل وقتها دون أى سند أو دليل ولكن عدد غير قليل وأنا منهم قد حدث لهم نوع من الاشمئناط بسبب هذا الهروب الصغير الذى تسبب فى تعكير الجو داخل السجن ولم تهدأ المباحث إلا بعد ان ثارت لنفسها باغتيال احد القيادات قبيل الافراج بأيام قليلة وهو الشهيد لويس اسحاق الذى مات بطلق نارى فى مناوشه مفتعله داخل سجن الواحات الخارجة ليلحق بمن سبقه من الشهداء وقد تم اغتيال لويس اسحاق فى نفس اليوم الذى غادرنا فيه سجن المحاريق بعد الافراج عنا فقد حضر مع الزملاء المسجونين لوداعنا عند باب الادارة وإنتهز مندوب المباحث فرصة تجمع هذا العدد من الزملاء لوداعنا فأختلق معركة معهم كان من نتائج هذه المعركة استشهاد لويس واصابة الدكتور اسماعيل بعيار نارى وآخرين .

كان هوارى يقوم بأعمال لا يوافق عليها اغلب الزملاء مثل الاصرار على القاء القمامة خارج سور السجن جهة المكان المخصص للصرف الصحى لجميع مرافق السجن خلف السور الشرقى للسجن ثم يحضر الخبز من الفرن ليحصل على افضل واكبر عدد الارغفة ثم يتجه الى المزرعة بمفردة ليدرس المنطقة دراسة دقيقة وكل هذا لم يخطر على بال احد ان هوارى يخطط للهرب وعند العصر كان يخرج من العنبر الى خلف المسرح ليمارس رياضة السويدى ورفع الاثقال وقد ابتكر عدة اوزان بواسطة صفائح جبنه خالية قام بصب كمية من الصلصال بداخل كل صفيحة ذلك بالاضافة الى الدسك الحديد الموجود اصلاً بالسجن .

وعندما حاول السيد جزجا ان يقوم هو باحضار الخبز باعتباره مسؤل عن العمل فى الفرن لم يسمح له هرارى بذلك فدب مع جزجا خناقه لرب السماء بسبب تدخل جزجا فى صميم اختصاصه واعتقد الجميع ان هرارى يتفانى فى خدمة الزملاء !؟ ولكنه فى الحقيقة كان يستطلع المنطقة من اقرب نقطة الى الشارع فقد كان الفرن يقع بجانب السور القبلى ويستطيع أى انسان ان يرى الشارع اذا وقف على حجر او كوم من الرمال وكان هرارى لا يختلط بعدد كبير من الزملاء وعلاقاته محدودة جداً ويسكن مع عادل مائير فى غرفة واحدة واستطاع هوارى ان يشترى بعض القماش من التيل الأبيض وطلب من زميل يجيد الحياكه ان يفصل له بنطلون ابيض واغدق على الزميل السجاير الونجز فقام الزميل بكل المطلوب منه فصنع له بنطلون ابيض وكاسكته بيضاء واستطاع الحصول على نظارة شمس سوداء من النوع الفخم وكل هذا فى تكتم شديد جداً وعندما كان يذهب الى المزرعة قرب الظهر وبمفرده دون حراسة كان يرتدى ملابس مهلهلة تماماً تكشف عن بعض اجزاء من جسده وغير نظيفة من اجل التمويه على الجميع . فمن يشك انه سوف يهرب وهو على هذه الحالة البائسة جداً وكان يحمل دائماً تحت باطه لفة من القماش الأزرق غير نظيفة ايضاً واثناء سيره فى اتجاه المزرعة كان يخرج من هذه اللفة بعض الخبز ويأكل منه وهو يسير ببطئ شديد فى خط سير متعرج ولقد تصادف اننى كنت خارجاً من عند عنبر جنود الجنزير فرأيته على هذا الحال فسرت خلفه عن غير قصد اتعجب من هذا الرجل عالم الآثار والمحامى الشهير ويسير بمفرده فى الذهاب والعودة الى المزرعة وبما أنه كان أخر واحد يأتى الى المزرعة .. فقد كان أخر واحد يعود من المزرعة وكان حريصاً على الذهاب الى حوض السباحة - بركة الماء - التى لم يشارك فى حفرها لأخذ حمامه وكان يتعمد ذلك يومياً بعد ان تكون فى طريقنا الى السجن وعندما كان يصل الى المزرعة اختار مكان معين يجلس فيه بمفرده بعد حصوله على كمية من الخضروات الناضجة مثل الطماطم والفول والبصل والفجل الخ وعند سماع صفارة الجنزير إيذاناً بموعد انتهاء العمل فى المزرعة يبدأ هو فى التحرك صوب البركه بشكل متكاسل وقد اعتاد الجميع منه هذا السلوك اليومى دون ان يشك فيه أى انسان ليعود وحده الى السجن ثم يتوجه مباشرة الى الفرن لاحضار الخبز وهكذا وهو مواظب بشكل دائم على تمرينات السويدى وكثيراً ما كان ينام على ظهره ليقوم زميل أخر بوضع الحديد على قدميه لتقوية الساقين وعضلات البطن ولم يشارك مرة واحدة فى ندوة أو محاضرة أو حفلة فهو دائماً مشغول بمهام اكبر .

يــوم الهـــروب

كنت قادماً من السجن فى طريقى الى المزرعة بعد ان قمت بزيارة قصيرة لأحد اصدقائى من جنود الجنزير وكان اليوم مشمساً مع قليل من الهواء وكان صدقى العسكرى يسير بجوارى فى اتجاه المزرعة وقد لمحنا سيارة سوداء تقف على الطريق المسفلت قرب نهاية المزرعة يفصل بين المزرعة والطريق ما يقرب من الكيلو متر تقريباً تغطية الاحراش وبالذات اشجار السكران القصيرة وبعض شجيرات عباد الشمس المتفرقة ولم يخطر على بالى ان السيارة فى انتظار احد فهى بعيدة عن نقطة السجن تماماً ولكنها تقف فى اقرب نقطة الى المزرعة وفى ذلك اليوم كان هرارى يقف مدة طويلة عند منطقة الصرف الصحى واعتقد انه كان يتبادل الاشارات مع السيارة حتى استقرت عند المنطقة التى اشرت اليها ..

وقرب الساعة الواحدة والنصف ظهراً حضر الى المزرعة وهو يحمل اللفة اياها وجلس تحت شجرة خروع يأكل او يتظاهر بالاكل وعندما سمع صفارة انتهاء العمل توجه الى بركة المياه واطال فيها الاستحمام وخرج منها يغتسل فى مياه القناة الصغيرة القادمة من الماكينة مباشرة وفى نفس الوقت كان الزملاء يعودون الى السجن وقبلهم عساكر الجنزير وعندما دخل الجميع من بوابة المزرعة أى الى السجن قام هرارى وتوجه حيث كان يأكل وجلس خلف شجر الخروع وعندما تأكد ان لا احد يراه بدأ يتجه نحو الطريق الاسلفت الذى تقف عليه السيارة السوداء .

ولم ير احد الزميل محمد عويضه فى هذا اليوم إلا فى الصباح وبعد ذلك اختفى تماماً وكان لابد من وجود عويضة مع هرارى او أى زميل أخر له وجه مصرى يجيد الحديث عند اللزوم فقد كان هرارى وهو يهودى مصرى اقرب فى الشبه الى الخواجات ولابد من دليل ورفيق طوال الرحلة وقد سمعنا كثيراً من الأقاويل ومنها على سبيل المثال انه كانت السيارة تتغير عند كل محافظة بسيارة اخرى حتى وصل الزميلان الى القاهرة ثم ذهب عويضة الى جهة اخرى اما هرارى فقد توجه الى الأسكندرية رأساً ليستقل الباخرة الى فرنسا بجواز سفر فرنسى بعد ان ارتدى الملابس المعدة بعناية لهذا الغرض ثم ارسل برقية تفيد بسلامة الوصول من مدينة النور والبنور لمن يهمة الأمر فى سجن الواحات الخارجة .

وفى اليوم الثالث تم ابلاغ الإدارة بغياب زميلين وبدأ كان الأمر مفاجئ لنا فقام الضابط التوباتجى بعمل التمام بنفسه اكثر من مرة حتى تأكد غياب زميلين وتركه الزملاء لكى يكتشف

اسماء الزميلين بنفسه زيادة فى كسب الوقت لصالح الهاربين وفى خلال هذه الايام الثلاثة كنا قد أمنا المخابئ وأخذنا كافة الاحتياطات واستعد الجميع لأى موقف تأخذ الادارة التى باتت فى موقف لاتحسد عليه بسبب هذا الهروب الصغير .

وانا اقول انه **هروب صغير** لأنه لا يستحق اكثر من هذا فقد اعتقد الجميع فى أول الأمر ان الذى هرب هو **فؤاد مرسى** او **ابو سيف** او **اسماعيل صبرى** او **محمد شطا** او **زكى مراد** فهروب واحد من هؤلاء له معنى واحد انه سوف يخدم على قضية الافراج وسوف يثبت للنظام قدرة قيادة **الحركة الشيوعية** على الخروج من السجن لابهدف التمتع بالحياة خارج السجن ولكن بهدف مواصلة **النضال والكفاح** من اجل نفس **القضية** .. قضية الديمقراطية . وكنت اعتقد فى قرارة نفسى ان الزميليين الهاربيين هما **فخرى لبيب** و**محمود امين العالم** باعتبارهما اكثر شباباً من القيادات الاخرى .. ولكن خاب ظنى .

وفى نظرى ان هذا الهروب هروباً صغيراً لأنه لم يتم فى مكان مثل **الأوردى** فلو حدث هذا الهروب من **الأوردى** لكان له عظيم التقدير والاحترام فى نظرى لأن الذى خطط ودبر ويسر الهروب من الواحات كان يستطيع ان يد برو يخطط لمثل هذه العملية فى **الأوردى** لأن الهروب من **الأوردى** هو التحدى الوحيد لإدارة المعتقل التى كانت لا يشغلها شاغل غير التعذيب والإذلال والقتل فقد كنت اسعد الناس لو تم هذا الهروب من **ابو زعبل** .. وكان ثمن هذا الهروب هو ضحية جديدة (**لويس اسحاق**) لم يكن هناك داع لها فقد كانت الحبسة فى النزع الأخير واصبح الافراج قاب قوسين او ادنـــى ..

تكهرب الجو ولم نخرج للمزرعة واخطرت **المباحث العامة فى محافظة اسيوط** على اساس ان الهروب تم فى هذه الليلة .. بل فى هذه الساعة وحضرت قوات جديدة بعدها بيومين وبدأنا مغلق الغرف على انفسنا وتغيرت الاقفال **وتحول السجن الى سجن حقيقى** واظهر **الدكتور اسماعيل صبرى وفخرى لبيب براعة ودبلوماسية فى التعامل مع الإدارة وكنا نقضى الوقت فى مناقشة عبقرية المنفذ وذكاء الهاربين** وقلت المحاضرات وحضر لنا مجموعة من الضابط من رجال المباحث العامه ومنهم من كان بالملابس العادية ومنهم من كان بالملابس الميرى .

ولم يطل الأمر فبدأت كشوف الافراج تأتى تباعاً فقد تم ترحيل مجموعات الى الفيوم

ومن الفيوم الى لسجن الحربى حتى تم تصفية سجن الواحات من جميع المعتقلين فى اول ابريل سنة ١٩٦٤ .

وبعدها بعدة اشهر تقرر خروج المحكوم عليهم فى قضايا شيوعية ولكن المباحث العامة ارادت ان تثأر لعملية الهروب فضبرت جر شكل الزملاء بدون أى سبب يذكر فأطلقت الرصاص على الدكتور اسماعيل صبرى مما اصابة فى ذراعه ثم كانت الرصاصة التى اصابت الزميل لويس اسحاق قاتلة .

وظل الزميل عويضة هارباً حتى بعد الإفراج الحزين .

يـا عطشجـــى القطـــر الميـــــ ـــــرى وقـــف واستنـــى شويـــة
عالسلـــم طـــالـــع طيـــرى وانـــا شايلـه برمـــش عنيـــه
قطـــرك عمـــال يتنهـــد وضلـــ ـــوعه حـديد فـــى حـــديد
ايـــش حـــال قلبـــى المتسهـــ ـــد ايش حـــال والشوق بيـزيـد
يـــا عطشجـــــى الـــ قـــــطر الميـــــرى
بقالنـــا كـتيـــر نستنــ ـــى ايـــامنا الحلـــوه تجينـــا
نزلنـــا قبـــل الجنـــة ونـــ ـــكمـــل علـــــى رجليـــنا
يـــا عطشجـــى القطـــ ـــر الميـــرى - كـــورس

تاليف مصطفى كمال حسن فؤاد
الكاتب والصحفى بالواحات سنة ١٩٦٣



اغنية من واقع الظروف
الواحات الخارجة سنة ١٩٦٢

اعلـــى كمـــان اعلـــى كمـــان	خلـــى شـــواشى الفجـــر تبـــان
يـــا منـــور مـــن عنـد اســوان	طـــل علينـــا واعلـــى كمـــان
انـــا بنـــا أسطـــى وفنـــان	يامـــا بنيـــت عـــالارض نجـــوم
اهـــرامـى تشهـــد لـــى زمـــان	والســـد بيشهـــد لـــى اليـــوم
علـــى الحيـــط جنـــب الحـــيط	بكـــره الغلـــه حتملـــى الغيـــط
بكـرة القطـن فـــى غطنـــا يـــنور	ومصـــانعنا عجلهـــا يـــدور
وانـــت يـــا ســـد بتعلـــى وتكـــبر	زى ضنـــانا فـــى الاحضـــان
الفجـــر فـــى كـــف الغـــزال	والجنـــة بيـــد العمـــال
وانـــت يـــا ســـد اسوان يـــا منـــور	النيـــل بيـــردد مـــوال
يـــا منـــور مـــن عنـــد اســـوان	تطل عليـــنا واعلـــى كمـــان

كـــــورس

تاليف الكاتب الصحفى

مصطفى كمال حسن فؤاد



الافــراج الحزيــن

بعد هروب الخواجة هرارى بصاحبه وجه مصرى اصيل لزوم الرحلة خيم الوجوم على الاغلبية ولكن لم يستنكر احداً توقيت الهروب وتوقع الجميع ضرب ما تحقق من مكاسب التى تحققت بفضل الاضراب الكبير وحدث بالفعل ان منعنا من الذهاب للمزرعة التى كنا نعتبرها من اعمال السخرة ثم تحولت بعد ذلك الى جزء من نظام حياتنا اليومى بالاضافة الى ما نحققه من وفرة غذائية من إنتاج ايدينا وقد لعبت دبلوماسية الزملاء مع الادارة دوراً عظيماً حتى لاتسوء العلاقة بيننا وبينهم وتولى الضابط فتحى قتا التعامل مع الشيوعيين وهو معروف بانه من رجال المباحث العامه وهو ايضاً يعرف كيف يتعامل مع السياسيين ولكن وهذا هام جداً ان شعور خفى عندى وعند بعض الزملاء بأن المباحث لن تترك حادث الهروب يمر دون رد سـريع فقـد غادر حسن المصيلحى السجن من الواحات شبه مطروداً من الشيوعيين وها هو حادث هروب اثنين من المعتقلين من سجن تحيط به الصحراء من كل جانب ويبعد عن الطريق المسفلت ما يزيد عن الكيلو متر تقريباً وبالتأكيد قد نما الى علم المباحث خبر وصول هوارى الى فرنسا قبل ذلك مما يجعل جهاز المباحث فى وضع لايحسد عليه بل يكشف ان هذا الجهاز لا يجيد سوى التعذيب حتى الموت فقط ولكنه عاجزاً عن حماية سجنه أى سجن المباحث العامة فحيثما يكون هناك سجناً للسياسيين تكون المباحث وهذا نظام ابتدعته القاهرة فى تعاملها مع اصحاب الرأى المخالف .. ولكن هذه المبادئ التى تحمى الإنسان المسجون فى مصر ضرب بها عرض الحائط فى عهد الثورة اعتبارا من سنة ١٩٥٦ حيث اوقفت حكومة الثورة المبلغ الذى كان يحصل عليه المسجون السياسى طوال مدة اعتقاله التى لا تزيد عن ٣ ثلاثة اشهر تجدد مرة واحدة فقط فى حالة الضرورة وإذا لم يقدم المعتقل الى المحاكمة يتم الإفراج عنه مع تعويضه عما اصابه من ضرر مادى وادبى بالاضافة الى حق كل معتقل فى اختيار المطعم الذى يرغب فى تناول طعامه منه بخلاف علبة سجاير فى اليوم من النوع المحترم . وتحولت السجون الخاصة بالسياسيين الى سجون تابعة لجهاز المباحث .. حتى تحقيقات النيابه كانت تحضرها المباحث ولا يستطيع المحقق ان يعارض هذا الاسلوب الذى يؤثر على سير التحقيق فى طريقة الصحيح .

ومن حق كل معتقل ان يفكر فى الهرب من المعتقل بشرط ان يكون الهروب فى خدمة القضية او الفكر الذى دخل من اجله المعتقل واقصد بذلك نوع الاعتقال السياسى كما حدث معنا واذا كان الهروب سوف يضر بالزملاء او بالقضية فلا داعى لان المسجون العادى الذى دخل السجن بسبب

سرقة زوج حمام او سرقه خله هو فقط الذى يهرب من اجل نفسه فقط بصرف النظر عما يحدث لغيره وبدأ الملل يسيطر على الحياة فى السجن وكنا نكتفى بانباء واس فهى الوحيدة التى استمرت بعد توقف الجرائد الناطقة والمسموعة وبات الجميع فى انتظار اخبار الافراج . .

كثر **الهنجورى** فى الطرقات وكثر الكلام عن اتصالات تجرى مع **الرئيس عبد الناصر** وكانت القيادات تجتمع ثم يخرج البعض فى غاية الضيق والبعض الاخر وهو فى قمة الانتشاء وكنت لا اعلم ولا اعتقد ان بعض هذه الاجتماعات كانت هى المقدمة **لحل الحزب بل وحل كل التنظيمات** الشيوعية فى مصر وكان الزملاء فى حدتو وافقوا على الحل فهذا يتفق تماماً مع خطهم السياسى المعلن بأن فى فمه **السلطة مجموعة اشتراكية بقيادة جمال عبد الناصر** وكان هناك خارج السجن مد ثورى لم يحدث من قبل فقد تحددت زيارة **الرئيس السوفيتى – خروشوف** – ليفتتح حفل تحويل مجرى النيل عند السد العظيم وكثر الحديث عن مزيد من الانجازات الوطنية لصالح الفئات الشعبية وباختصار قد كانت كل الظروف تحتم تصفيه المعتقلات والسجون السياسية فى مصر وبدء مرحلة جديد تحقق ما يتمناه الشعب من ديمقراطية تواكب الانجازات الاجتماعية التى تحققت مثل توزيع الارض على الفلاحين ومنع الفصل التعسفى من الشركات وفى تمثيل العاملين فى مجالس ادارة الشركات والنقابات الخ ومن الحقيقة ان عدة اجهزة كانت غير راضية عما يحدث فى مصر ولا عن انجازات جديدة ولا عن الافراج عن السياسيين من أى نوع وكان واضحاً ان ما تم من انجازات عظيمة ينقصها غطاء يحقق ديمقراطية الفلاح اجتماعياً لان حصول أى فلاح على قطعة أرض يعيش منها هو تحرير لهذا الفلاح من سيطرة الاقطاعى المتحكم فى رزق وحياة الفلاح واسرته لذلك كان ينقص هذه الخطوة الاجتماعية الغطاء السياسى وهو حرية تكوين الاحزاب السياسية التى يمكنها ان تحمى هذه الانجازات الاجتماعية الوطنية .

كان الكيان الفلسطينى هو اول المغادرين لسجن المحاريق ثم بدأت تتوالى كشوف الافراج يوم بعد يوم بعد يوم وعند كل ترحيل لعدد من الزملاء يتعانق الجميع وتسيل الدموع من هول الفراق والطبطبة فوق الظهر وفرصة اللقاء مع الحياة من جديد والحزن على من رحل فى سبيل القضية كنت بحكم الظروف فى أخر دفعة تغادر – سجن المحاريق من المعتقلين وكان معى فى هذه **الدفعة زكى عثمان وحمزه السيونى وعادل حسونه وعدداً كبيراً من ابناء الاسكندرية وباقى** المحافظات وعندما توجهنا الى باب الإدارة للخروج من السجن حدثت مشادة

بين بعض الضباط وبين الزملاء المحكوم عليهم الذين خرجوا لوداعنا وكادت هذه المشادة ان تتحول الى معركة خطيرة ومازلنا داخل السجن فأمر مندوب المباحث باخراجنا بسرعة حتى لا ننضم الى زملائنا اذا حدث فى الأمور أمور وعندما جلسنا فى السيارات الواقفة امام السجن كنا نسمع ما يدور من شجار بين الزملاء وبين ادارة السجن . وتحركت بنا السيارات فى اتجاه اسيوط ونحن فى غاية القلق وتوقعت حدوث شئ من جانب هذه الادارة .

كانت رحلة الافراج هذه لا تختلف كثيراً عن باقى الرحلات السيئة وكانت دفعتنا هى الدفعة الوحيدة تقريباً التى لم توضع فى الحجلة ولكن من سبقنا من الزملاء كانوا يوضعون فى الحجلات كما لو كانوا غير مفرج عنهم وكانت السيارات مغلقة من كل جانب ماعدا عدة فتحات ضيقة لإدخال قليل من الهواء فقط لا غير وبإختصار كانت رحلة الافراج من سوء الرحلات ولا يتفق هدف الرحله مع سوء المعاملة حتى ساعة الافراج .

وصلنا سجن اسيوط يوم واحد ابريل سنة ١٩٦٤ الساعة الخامسة بعد الظهر وفى صباح اليوم الثانى خرجنا من السجن الساعة السابقة صباح يوم ٢ ابريل لنركب القطار الى القاهرة فى عربات مقفلة تماماً من عربات نقل المواشى وكل هذه المدة منذ غادرنا سجن المحاريق الى اليوم الثانى بدون طعام وكان عذاب الجوع ارحم من عذاب الرحلة نفسها فكيف نكون مفرج عنا ونعامل هذه المعاملة السيئة ؟!

لم ننم فى سجن اسيوط فقد تركونا بضاعة امانة لدى مأمور السجن من المساء حتى الصباح فى حوش سجن اسيوط الذى اعرفه تماماً .

وصلنا الى القاهرة لنجد فى انتظارنا سيارات نقل المساجين المغلقة بقفل من الخارج وبعد مسيرة نصف ساعة تقريباً وصلنا الى السجن الحربى وسط حراسة مشددة لا تتفق مع كلمة الافراج بأى حال من الأحوال .

ادخلونا زنازين انفرادى كل واحد فى زنزانة ضيقة مساحتها ٢×١ متر فكانت اقدامى تصل الى باب الزنزانة وكانت الساعة تقارب العاشرة مساء وايضاً بدون طعام ؟؟ كما لو ان الدولة تستخسر فينا الأكل لأننا سوف نفارقها بعد قليل .

وعندما انتصف الليل بدانا نسمع اصوات غريبة مثل ...

فى عرض - النبى - نسيت خلاص - حرمت يا بيه جاى - حا اموت وصوت ارتطام بالأرض وكثيراً من أصوات الاستغاثة التى توحى بأن صاحبها على وشك ان يموت . وكان يمر عسكرى كل نصف دقيقة ليضرب باب الزنزانة بكعب البندقية ضربات شديدة جداً متلاحقة ثم ينادى.. - انت يا مسجون - كله - تمام عندك - كل تمام يا دفعة - انا مش دفعة انا عفريت .. ؟! ولم تتوقف هذه الاعمال المزعجة إلا بعد اذان الفجر ولم ينم أحد فى هذه الليلة الليلاء ويظهر أنهم أرادو أن يعرفونا بأن الحبسة القادمة سوف تكون فى السجن الحربى ؟! ويظهر ايضا إنهم ارادو ان نمر على اغلب سجون جمهورية مصر العربية ومن نفسى فقد ذهبت الى السجون الاتيـــة ..

١ - سجن مركز دمنهور

٢ - سجن القلعه

٣ - سجن الواحات

٤ - سجن طره

٥ - سجن ابوزعبل

٦ - سجن اسيوط

٧ - سجن الحربى ذلك بالاضافة الى معتقل العزب

٨ - معتقل العزب بالفيوم وهو لايقل بشاعة عن أى سجن بل افظع .. وفى مساء اليوم التالى على وجودنا فى السجن الحربى وبدون طعام ايضاً اخذونا ولأول مرة بدون قيود لنركب قطار مصر الاسكندرية وهو عبارة عن درجة ثالثة كله واسمه القشاش لنصل الى الاسكندرية فى فجر يوم ١٩٦٤/٤/٤ ونحن فى حراسة شاويش واحد بدون سلاح ويحمل فقط كشــوف باسمــاء المفــرج عنهـم لنصـل الى ديـوان مديـرية الأمـن السـاعـة الرابعـة صباحاً .

قام الصول الموجود بمديرية الأمن باستلامنا من الشاويش الذى عاد الى القاهرة وطلب منا الصول ان ننزل الى سجن المديرية . وعندما ذهبنا الى هذا البدروم العفن الذى تفوح منه رائحة البول وخلافه فرفضنا دخول هذه المقبرة القذرة وعدنا الي نفس المكتب الذى كنا به منذ قليل

واحتلينا المكتب برغم اعتراض الصول الذى لم يقتنع بأننا مفرج عنا ولسنا مساجين .؟!

وبدأ الصول يستدعى الحرس الليلى ليسيطر على الموقف ولكن احد الجنود اخبر الضابط النوباتجى الذى كان يغط فى نوم عميق بأن الصول على شوك الدخول فى معركة مع بعض النـــاس .. ؟!

حضر الضابط وسأل عما يحدث فأخبره الصول بأننا مساجين ونرفض النزول الى السجن؟! تقدم الدكتور حمزة من الضابط وقال له ..

– حضرة الضابط .. نحن كنا فى المعتقل من خمس سنوات واليوم نحن مفرج عنا بعد قليل وهذا الصول مصر على وضعنا فى البدروم وانت لا يرضيك هذا واننا سوف نرفض حتى لو عدنا الى المعتقل مرة أخرى .. قال الضابط للصول بلهجه أمره ..

– ودعهم يجلسون فى حجرة السلاح او أتركهم فى هذا المكتب حتى الصباح .. فشكر حمزة الضابط على حسن تصرفه ثم جلسنا على مقاعد من الجلد لأول مرة وقام كل منا الاتصال تليفونياً من التليفون الموجود بالمكتب ثم قام حمزة بعمل تليفون الى شقيقته وطلب منها احضار طعام لعدد عشرة من لزملاء وبعد اقل من ساعه حضرت شقيقة الدكتور ومعها اكثر من فرد يحملون لنا الطعام المكون من الفراخ المحمرة واللحم بكميات كبيرة ثم قدمنا الى الجنود والصول كميات من البطاطس المحمرة والدجاج واللحوم وكانت اجمل واطعم وجبة اكلتها فى حياتى لانها جاءت بعد ما يقرب من٥٦ ساعة بدون طعام ولا انسى منظر الزملاء عندما حضر الطعام فقد كانت عمليات الانقضاض تشبه الصواعق فى عنفوانها حضر والدى ووالدتى وهم يحملون لنا السجاير والهريسه التى احبها . كما حضر بعض اسر باقى الزملاء وكان لابد من نقلنا الى مكان اخر حتى يتمكن موظفو مديرية الامن من ممارسة اشغالهم فأخذونا الى المكاتب العلوية بحوش المديرية فوق مكاتب الرخص الخاصة بالسيارات ولكن احد الموظفين من تلاميذ المباحث تعامل معنا كما لو كنا من المجرمين فتصدى له عادل حسونه وشاركه الزملاء وكبر الموضوع وتحول الى محضر جنحه ضد عادل حسونه حيث اتهمه الموظف بأنه اعتدى عليه بالقول اثناء تأدية عمله وشهد جميع الزملاء مع عادل ضد الموظف الفتت ثم بدأ عملية التوجيه الى ادارة المباحث العامة فى شارع الفراعنة فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم ١٩٦٤/٤/٤ .

طوال الرحلة لم افارق زكى عثمان .. لأنه صديقى وجارى واستاذى فقد تعرفت

عليه فى اوائل الخمسينات قبل ان يفقد بصره تماماً فقد رأيته وهو يوقع بامضائه على بعض الاوراق وكان فى عز شبابه عند قدومه من محافظة المنيا للعلاج فى الاسكندرية حيث كان شقيقه فهمى عثمان يسكن بها وفى نفس حينا فى الظاهرية وحجر النواتية خلف شركة النحاس من اعمال قسم الرمل .

وكانت اخر محاولة لعلاج زكى عثمان من اجل استرداد بصره فى الواحات الخارجة فقد كان المطلوب ان تجرى عملية فى العصب البصرى قبل ان يصاب بالشلل التام ولكن المباحث العامة لم توافق على سفر زكى عثمان للخارج من اجل العلاج وكانت المحاولة الأولى فى عام سنة ١٩٥٥ والمحاولة الثانية اثناء فترة الاعتقال . والمحاولة الأخيرة كانت فى الستينات بعد الافراج وفى كل هذه المحاولات كانت المباحث تعرقل اجراء هذه العملية علماً بأن هناك توصية من كبار اساتذة الرمد بأجرائها ولكن ماذا يفعل انسان فقد بصره وسجن وعذب وخرج من المعتقل وهو فى سن الشيخوخة فضاعت فرصة العلاج اكثر من مرة على المناضل زكى عثمان احمد الزيات .

كان زكى ملازم لى طول مرحلة الافراج منذ أن غادرنا سجن المحاريق فى اول أبريل ١٩٦٤ ولما ذهبنا الى المباحث فى الاسكندرية قرر السيد / عبد الهادى السيد مفتش المباحث ان يتحدث مع كل فرد على حدة فدخل زكى وبعده انا فقد تقابلت مع عبد الهادى السيد لأول مرة بعد ان اصبح هو المسئول عن جهاز المباحث خلفاً لممدوح سالم والسيد فهمى وكان الرجل فى منتهى الظرف وهو يعرض علية اية مساعدة احتاج اليها فشكرته على حسن استقباله لى ولزكى عثمان ثم خرجنا من المباحث فى تمام الساعة الخامسة بعد الظهر وكنت اعتقد بأن زكى مازال يسكن فى حى حجر النواتية ولكنه طلب منى ان اسير فى شارع السلطان حسين دون أى كلام ؟؟ لماذا يا ابو الزيك ؟ .. هو كده امشى

ثم طلب منى ان اقرأ له ارقام المنازل وفهمت انه يطلب رقم ١٤ شقة ٢ وبعد ان طرقنا باب الشقة فوجئت بالاخت فوزية والاخ فتحى والاخ فوزى يستقبلوننا بالاحضان فقد انتقلت الأسرة الى هذا السكن الجديد حتى اليوم (١٤ شارع السلطان حسين) ثم تركت زكى عثمان مع افراد اسرته وخرجت بمفردى لأول مرة منذ خمس سنوات وبضعة ايام وحققت أمنية طالما راودتنى طوال رحلة الافراج .. وهى ان اجلس فى مقهى محطة الرمل واتناول فنجان

من القهوة مع سيجارة وانا انظر الى البشر فى ذهابهم وايابهم ولقد ضايقنى جداً ان الناس لم تلحظ اننى قادم من الواحات بعد رحلة عذاب بدأت فى ٢٨ مارس سنة ١٩٥٩ حتى ٤ ابريل سنة ١٩٦٤ .

بحثت عن ما معى من نقود فوجدت خمسة جنيهات كنت قد خبأتها فى ياقة الجاكته اثناء وجودى فى سجن طره فأستقليت سيارة تاكسى الى منزلى حيث قابلنى ابناء حينا بكل الحب والعطف لدرجة البكاء . وعندما دخلت شقتنا كانت ام كلثوم تغنى خدنى لحنانك خدنى ارتميت فى حضن امى وبكى أبى وشقيقاتى واخى محمد وباقى اسرتى الكبيرة فقد حضر الجميع لمقابلتى بعد ان فقدوا الأمل فى رؤيتى مرة اخرى ولكن عمر الشقى بقى حسبما يقول المثل الشعبى القديم . لنبدأ كفاح العودة الى الحياة مرة اخرى ولهذا حديث اخر .

ولكن ما حز فى نفسى هو ما حدث فى سجن المحاريق للزميل لويس اسحاق الذى اغتالته رصاصات غادرة مقصودة للثأر من عملية الهروب الذى حدثت من سجن المحاريق وبذلك تكون الحبسة قد بدأت بموت الشهيد محمد عثمان الذى مات فى قسم شرطة قسم ثان محافظة الغربية طنطا ولم اتشرف بلقائه فقد علمت بموته من احد الزملاء وانتهت الحبسة بموت لويس اسحاق على ارض المحاريق بالوادى الجديد وبذلك لم اشعر ابداً باننا خرجنا افراج لانه كان افراجاً حزيناً ولذلك سميته بالافراج الحزين ..



الفهرس

رقم الايداع ٩٥/٧٠٨٥

I.S.B.N
977-5040-36-1